

روبيرتسن

# التطور النفسي

في

الألف الفادمة

ترجمة نذرة الياسازجي



Bibliotheca Alexandrina



0004779



روبيرلنسن

التطور النفسي

في

الألف الفادمة

ترجمة نذرة الياسازجي

دار الغريال  
دمشق - القصور ٦١



يوجد حد مطلق في اللانهائي.  
الصغير يتوقف عنده احتمال.  
تجزئته ، وذلك لأن الوحدة.  
اللامنقسمة للجوهر الخالص.  
تتجاوز هذا الحد \*

روبير لنسن

الغلاف تصميم : أكرم أقدار

## محتويات الكتاب

ص	
٧	مقدمة المترجم .....
٩	١ - مقدمة .....
	□ الجزء الأول :
٢٣	١ - المعضلة العالمية معضلة فردية .....
٢٦	٢ - الفردي والجمعي .....
٢٩	٣ - الشعور والاشعور .....
٣٦	٤ - توازن الوظائف النفسية .....
٣٩	٥ - الغايات التي يرمي اليها توازن الفكر - الشعور .....
٤٦	٦ - دور الأحلام وفقاً ليونغ وكريشنا مورتى .....
٥١	٧ - تجاوز المعضلات .....
٥٤	٨ - التحقيق يتم في كيائنا - كما نحن .....
٥٨	٩ - التباينات في وجهتي نظر يونغ وكريشنا مورتى .....
	□ الجزء الثاني :
٧٥	١٠ - كريشنا مورتى ومعضلة الذاكرة .....
٨٥	١١ - صور النفس في منظور كريشنا مورتى .....
٩١	١٢ - كريشنا مورتى والتحول الروحي .....
٩٨	١٣ - كريشنا مورتى وموضوع القدسية .....
	١٤ - الحركة الخالقة المبدعة ، الحركة الكلية ، التلقائية
١٠٥	والميكانيكية .....
١١٠	١٥ - الأبدى الحاضر اللازمى أو السرمدي .....
١١٢	١٦ - كريشنا مورتى والعلم الحديث .....
١٢٩	١٧ - « الموعد » العظيم .....
١٣٥	الملاحق .....



# مقدمة المترجم

يجيب روبير لنسن ، في هذا الكتاب ، على الأسئلة الكبرى : من أين  
أتينا ؟ من نحن ؟ الى أين نمضي ؟

لا يكتفي المؤلف بعرض وجهة نظره الخاصة ، بل يبسط أيضاً وجهات  
نظر علماء وفلاسفة مرموقين ، توطدت صداقته مع بعضهم ، استشفوا  
المجازفة المذهلة التي يقوم بها الوعي الانساني المتحرر من الضيق والقلق  
الذي تثيره الأزمات المعاصرة .

يخلص روبير لنسن الى ضرورة تقضي بتحقيق تحول نفسي  
وتطور عقلي كما يراه في كتابات وبحوث عرفان علماء وحكماء برنستون ،  
ودراسات كارل يونغ في الشعور واللا شعور ، واختبارات الفيزيائيين  
دافيد بوهم وفريتجوف كابرا التي أشارت الى وجود كل منطو ، هو  
باطن ، يستمد الظاهر أو الخارج وجوده منه ، وبحوث جان شارون التي  
أقامت الدليل على وجود زمكان نفسي يقابل زمكانا فيزيقيا ، وحكمة  
كريشنامورتى المتمثلة في تجاوز حالة التوازن المنشودة في الشعور واللاشعور  
الى حقيقة جوهرية ، ومعرفة ستيفان لوباسكو وكارلو سواريز التي  
تركزت على دراسة الذاكرة الكونية والنظام مقابل المصادفة ، واكتشافات  
العلماء جوزفسون وويغنر وغاردنر وسنوستاد ، حاملي جائزة نوبل ،  
وغيرهم ، أمثال بريرام وهويلر وكوزيرف ، ممن أقروا بتحول نفسي  
وروحى في الوقت الذي تعبر البشرية عتبة الألف القادمة .

روبير لنسن ، مؤلف الكتاب ، فيلسوف متفائل يعاين التحول القادم ،  
في نطاق النفس والروح والعقل والشعور والعلم ، عبر تطور ينتقل فيه  
الانسان المحتجز في قوقعة « الأنا » الى « الكيان » الذي يشير الى نهاية  
الأنا والذات ، ويؤدي الى انبثاق فجر الوعي الكوني .

نلدره اليازجي

دمشق ١٩٨٣





# مقدمة

## الحاجة إلى علم نفس الأعماق

عقبت علوم النفس القديمة وطرائق التحليل النفسي العائدة إلى المدرسة الفرويدية علوم 'نفس وطرائق تحليل نفسي' سميت «علم نفس الأعماق» • وكان كارل غوستاف يونغ وشارل بودوان الملهمين الرئيسيين لهذا العلم في أوروبا • ويعود الفضل لهذين العالمين اللذين أوضحا الدور الهام الذي يلعبه النظام الروحي الذي أهمله سيغموند فرويد بعض الشيء والعوامل الأخرى التي أسندت إليه أو نسبت له •

ولما كنا نقف على عتبة الألف الثالثة ، نودّع نهاية الألفين ، ونشاهد التقدم الذي يحرزه العلم والتقنية كل يوم ويمد الإنسان بنصر جديد على المكان والزمان ، فإن أيقاعات الوجود الانساني وتواتراته تبدو وكأنها تترسب في حقيقة جوهرية •

ولا شك أن الفتنة أو الجذب الذي تمارسه الانتصارات الخارجية تنقص الاهتمام بالقيم الداخلية وتقلل من أهمية نفعها وخيرها • فالإنسان الحديث كائن منتزع من بيئته ، كائن استؤصلت جذوره ، بحسب المعاني المادية والنفسية المتضمنة في الاصطلاح •

وفي نهاية القرن العشرين يلوح العالم كله وكأنه يرقص على فوهة بركان • فالثورات المتواصلة وتسارع التيارات الفكرية التي يواجهها تحدث اصطفااء في النماذج النفسية المختلفة للجنس البشري • فلا غرابة أن نشاهد تشابهات غريبة بين الظواهر المادية والنفسية • وتتجلى هذه التشابهات ، كنتيجة حقة ، من وحدة وترابط مستوئني الطاقة ، النفسية والمادية ، بحيث يتكامل كل منهما على الآخر اتكالا متبادلا •

وإذا كان الأمر كذلك ، فإن السرعة التي تتلاحق بها الأحداث الحالية تجعلنا نفكر بالدوامات السريعة النابذة - المبعدة عن المركز - التي تختار أو تصطفى العناصر المكونة ذات الخلطات السائلة التي توضح أو تبرز مركبات ذات كثافات أو أثقال نوعية ذرية مختلفة . وعلى هذا الشكل يمكننا أن ندرك بوضوح عملية تحديد تخوم مناطق المركبات المصطفاة من خلال تنسيق أو نظام الكثافة . وبالمثل ، فإن الأحداث المأساوية والتوترات المضطربة التي تثير الناس وتحركهم في فترات الانتقال أو التحول ، كتلك التي نعيشها اليوم ونحن نعبر عتبة الألف الثالثة ، تتصرف وكأنها فعل اصطفاي على الصعيد النفسي . فالنماذج البشرية التي تنتسب إلى «كثافات أو أثقال نوعية» نفسية مختلفة قد استهدفت الأنظار ، وتوضحت . ويمكننا تقسيمها إلى ثلاثة أصناف بحيث يتمدد تعيين حدود الصنفين الأولين بوضوح .

يعيّن الصنف الأول طور نشأة أو مولد « الأنثى » ؛ والصنف الثاني يتلو الصنف الأول ويعيّن طور نضج أو إيناع « الأنثى » . أما الصنف الثالث فإنه يعيّن طور تجاوز « الأنثى » ؛ وفي غضون ذلك يتحقق تبدل أو تحول نفسي .

يتصف الطور الأول بأنه مرحلة سابقة للفردية ، توجه الكائن البشري شطر فرديته . ويتصف الطور الثاني بأنه مرحلة بناء تفرّد أكثر اعداداً وأفضل تكويناً من سابقتها . ويتصف الطور الثالث بأنه مرحلة بلوغ الكمال الانساني . وجدير بالذكر ان هذه المرحلة الأخيرة تتحقق من خلال تجاوز كل ما هو أناني ، شخصي أو فردي ، متوخية النفع والخير لما هو شامل وكلّي . ومع أن هذه المرحلة قضية طبيعية تماماً ، لكن الذين يحققونها قلة نادرة .

★ ★ ★

تشير المرحلة التي يجتازها مولد أو بدء « الأنثى » إلى ان الشعور بالوعي الفردي يُعد ذاته للألم والعناء . « فالأنثى » لا تفكر بنفسها ، أي عن طريق ذاتها ؛ وعلى غير ذلك ، تتماثل ، أو توحد هويتها ، مع المجموعة التي تكون جزءاً منها . وقد تكون هذه المجموعة عرقاً ، دولة ، جماعة سياسية ، ديانة ، طائفة ، أو مجرد فرقة رياضية بسيطة . وجدير بالذكر ان هذا التوحيد أو التماثل يكون ، في واقعه الأصلي ، أكثر أهمية من الطبيعية ، والأفكار أو البنى التي تشكل الموضوع .

ويشتهر طور مولد « الأنا » بروح القطيع ، وبالعقلية القبلية التي تشدد على الاعتراف بأهمية الوجود في وسط المجتمعات التي تؤكد أو تدعي بأنها متحضرة . لذا ، لا يفكر الكائن البشري ، في ظل أوضاع كهذه ، بنفسه أو يتصرف من خلالها . فهو يطيع طاعة عمياء الكلمات التي تتفوه بها الأنظمة السياسية ، الدينية أو الخلقية . وتقوم حياته على الخضوع والمحاكاة . ولئن كان هذا الوضع يسود المجتمعات القديمة وغالبية الكائنات البشرية ، لكن الصبغة ذاتها لا تزال تصبغ ، في أيامنا هذه ، عقلية أولئك الخاضعين الذين يعانون من وطأة وضع شبيه دون أن يعارضوا أو يقاوموا التعاويذ التي تفتتن بها الحركات التي تتصل « بالجمهير » . وليس هؤلاء الذين يكابدون عبء هذه الحركات سوى ضحايا رصدتها وأعدتها سلفاً أنواع الحكم الاستبدادي وما يتولد منها من عنف وظلم وقسوة .

وكما قلنا ، ان طور نضج « الأنا » يتلو مرحلة مولدها ونشأتها . وفي نمو وتطور هذه المرحلة الجديدة يستيقظ الحس النقدي أو ادراك الخطر القائم . وعندئذ ، تبدأ « الأنا » في التعمق بوعي نفسها ، فتؤكد ذاتها وتنزع الى الاستقلال أو الى سيادة ذاتية آخذة في التقدم . وتأسى الانصياع بسهولة للكلمات التي يعتمدها النظام القائم وللعقائد السياسية أو الدينية . وتستهل الأنا مبدأ التفكير الذاتي ، عالمة بأنها ليست مجرد حيوان بسيط على هيئة انسان ، يخضع خضوعاً عشوائياً للأوامر والنواهي التي عايرتها الأنظمة ووحدت نمطها .

وعلى الرغم من هذا ، قد تقترب الأنا ، بادئ الأمر ، أخطاء ؛ ولكن مثل هذه الأخطاء لا تحول دون وضع سرورة أو تطور يرسخ الأصالة النفسية وتعمق جذورها فتضعها موضع التنفيذ ، بحيث أنها تدفعها الى الحركة . وفي هذه الحال تنزع الأنا الى الانتقال من طور المحاكاة الى طور الخلق والابداع .

وجدير بالذكر ، ان الكائن الذي يتصف بنضج نفسي ينأى عن النظر الى نفسه باعتبارها مركز العالم . فهو حريص على استهلال سياق حياته في ادراك ان ارجاع أو رد كل شيء الى ذاته أمر يثير السخرية . وبالإضافة الى هذا ، يتجه الى الارتباط والاندماج بالموضع الصحيح الذي يحتله في التسلسل الرتبي المعقد للكائنات والأشياء . ولا يكتفي بما حققه ، بل يعيد التأمل والتبصر في الحضارة التي ولد فيها وترعرع في وسطها ، فيعيها بعمق .

وإذا ما حقق هذا التأمل العميق بقيم حضارته ، تأكد أن الأسلوب الذي تعبّر فيه الأحداث الواقعية عن ذاتها ، والأزمات ، وأنواع العنف تشكل مجموعاً أو كلاً من العناصر المخصصة على نحو خاص ، التي تمده بإمكان التفكير والتبصر ، كما تزوده بالشعور بالوعي . وهكذا ، تتمثل المهمة الأساسية للمقاومة على عاتق الحكومات والسلطات السياسية والأديان في الأسهم أو المشاركة في أحداث الأمن والطمأنينة ، واستتباب السلام ، وتحقيق الازدهار والسعادة .

لكن الواقع يشير الى غير ذلك ؛ فقد حلّ البؤس محل الازدهار والرخاء ، وسادت الأوضاع البشرية أزمات اقتصادية وسياسية واجتماعية تزداد حدتها يوماً بعد يوم . ولم تنج الديانات من هذه الأزمات ؛ فقد كانت ، طوال العصور التاريخية ، ذريعة لاشعال نار الاضطهاد ومسرّحاً لأعمال القسوة التي يندى جبين الانسانية منها خجلاً . ولا يفوتنا أن نذكر ان الأزمات الفعلية التي عاصرت جيلاً من الأجيال تُحدث أو تولد حالة من التوتر ووضعاً من فقدان التوازن يتصف باتساع لا يسمح بوجود مكان أو موضوع في العالم يستطيع فيه الانسان القول بأنه يحيا حياة اطمئنان حقيقي أو أمانة وسلامة حقّة .

ونتساءل : كيف لا تحقيق التعاسة بالانسان ونحن نشاهد على مسرح الألفي سنة المنصرمة ، كما نخبرنا الاحصاءات الحديثة ، أكثر من خمسة آلاف حرب تندلع وتزداد حدة وخطورة . فمنذ بداية العصر الذري وتدشينه الدرامي في Hiroshima ، عام ١٩٤٤ ، أضحت وسائل وطرق التدمير مخيفة الى حد يستحيل فيه على أية جهة من الجهات المتحاربة البقاء على قيد الحياة أو الافتخار بنشوة الانتصار . كيف لا يكون هذا الوضع واقعياً ونحن نشهد ، عند عتبة الألف الثالثة ، فئات تناوئ بعضها وتكيد لبعضها بفعل ما تمتلئ به من عداوة ، وتتهيا ، بل ترسم وتخطط ، لأكثر مذابح التاريخ فداحة وأشدّها فظاعة .

وكيفما التفتنا من حولنا ، نشاهد أفواجا من الرجال والنساء والشباب يعلنون ضراحة عن خيبة أملهم بالمؤسسات التي تذلتهم وتسحقهم في الوقت الذي كان يتوجب عليها أن تقدم لهم العون وتحررهم من قيود وعبوديات اجتماعية كثرة . وفي كل مكان ، نجد أناساً يرتابون ويشتهبون ، ثم يتنبهون ويستيقظون . ومثل أولئك الناس ينفضلون عن نفسانية القطيع البشري التي تقودهم الى الهاوية وإلى التدمير الذاتي . وان كنا نحسب عددهم في عام ١٩٢٠ بمئة ألف ، فلن نتوانى عن الاعتراف بأن

عدددهم سيببلغ مئة مليون عند عتبة الألف الثالثة . وسوف يرفضون القيام بدور اللعبة الوحشية أو الجهنمية المسؤولة ، الى حد ما ، عن أنواع الشقاء والبؤس المادي والخلقي .

ولا يدهشنا أن نعلم ان الاخفاقات المؤلمة التي تشير الى التعارض القائم بين الوقائع اليومية والوعود الجميلة ، والمنظور الذي نرى فيه الفواجع الجديدة ، سواء كانت ايكولوجية أو اقتصادية وسياسية ، تسهم كل يوم في تحقيق شعور بالوعي لدى الكائنات البشرية . وان من اتصف منهم بالشجاعة والذكاء والوعي وارتاب في القيم السالفة والحاضرة كلها ينشطون في ذواتهم سرورة أو تطوراً يتميز بنضج نفسي قادر على أن يكون تمهيداً أو مقدمة لعملية تحرر داخلية .

ألا تحدثنا السنون الخمسون الفائتة عن سياق الحوادث ! ألا يبعث فينا حديث السنين الخمسين ومشاهدة أحداثها المتعاقبة تشاؤماً معيناً خاصاً بارتباط العلل والمعلولات على المستوى المادي : أزمت ، حروب ، تلوثات . ولا غرو ان الغالبية العظمى من بني البشر يشاركونني هذا الاحساس . وفي رأينا ، ان هذا التشاؤم سيتخلى عن مكانه ليحل محله تفاؤل يتصل بالتطور النفسي للكائن البشري . وعلى هذا الأساس ، تتبين لنا بوضوح ، ونحن ننظر الى ما يقع بعد أنقراض عهد قديم يتقوض وينهار ، ولادة عهد جديد لن تفسده الانانية بكل ما أوتيت من قوة .

ويؤسفنا القول ان قيمنا الخلقية والدينية والاجتماعية كلها قد شُيِّدت على مفهوم « الانا » بوصفها حقيقة مطلقة ، كما رسخت قاعدتها على تعظيم أو تأليه الفكر .

والحق يقال ان الطور المتميز بالنضج النفسي لا يُعد طوراً نهائياً للتطور الانساني . ولئن كانت الغالبية العظمى من أنصار فرويد أو يونغ ينظرون اليه نظرة الطور النهائي ، أو الأقصى ، لكن هذه النظرة لا تنفي وجود تيار فكري آخر مختلف تمام الاختلاف . فلقد كان هذا التيار قائماً كأسلوب فكري لدى حكماء الشرق القدامى ، وبرز ، أو توضح ، على يد العلماء المعاصرين الذين تميزوا بسمعة وشهرة عالمية .

وفي الواقع ، يستوجب طور « النضج » في بداياته عناصر متنافرة أو غير متطابقة . لذا ، نخطيء في اعتقادنا ان هذا الطور هو بالضرورة طور انسجام أو تألف كلي مجرد أو خالٍ من كل توتر ونزاع نفسي داخلي .

ولئن كانت ولادة « الأنأ » تشير الى نشأة الشعور بالوعي من حيث أنها أعدت اعداداً أولياً ، فان طور نضج « الأنأ » ، بالمقابل ، ليس هو طور حرية الارادة فحسب بل طور الاثبات والتركيز ، طور المطالبة والادعاء . ويشتمل هذا الطور ، وبخاصة في بداياته ، على العنف ، الاثبات والتوكيد المفرط للذات .

ثمة تعليم ماثور يأتينا من الشرق ، يؤكد أننا سنجد أنفسنا في قلب هذا الطور . وينقر هذا التعليم بوجود عشرين :

١ - عصر كالي يوغا ، عصر الحديد ، والدم ، والعنف ، والمجاهدات الفردية والجماعية ، يعقبه عصر آخر هو :

٢ - عصر ساتيا يوغا ، عصر الانسجام والتآلف . وفي سياق هذا العصر الأخير سنتعاضد من أجل تفوق على الذوات ، وبالتالي سنشاهد أقول التوترات والنزاعات الداخلية الملزمة لها . وسوف يسهم التطور العاجل للعلوم والثقافة الجديدة التي تنتج عنه في أحداث وعي . يشعر بوحدة الكون .

وعلى مستوى الروح ، تتوضح الدلائل المبشرة بادراك شبيهة للقيم في الوقت الذي نقف على عتبة الألف الثالثة . وفي سياق نهاية هذا الطور . من النضج ، ستمي « الأنأ » على نحو غامض هشاشة وضعف حدودها وتدرج صفتها المتناقضة .

أما التطورات الهامة في نطاق العلم والتقنية فانها ستقيم الدليل لكل انسان يتصف بثقافة متوسطة على الصفة الزائفة لمذهب المركزية البشرية - الانسان هو حقيقة الكون المركزية - الذي يضع الانسان في مركز الكون ويضمن له موضع الصدارة المميزة . وفي هذا الصدد يكتب ريمون روييه في كتاب « غنوص برنستون » (١) : « يعد مذهب المركزية البشرية جرحاً من الجراح التي يتألم منها العالم الحديث . ويتوجب على هذا المذهب التخلي عن مكانه « لمركزية كونية » .

وفي هذه المركزية الكونية ، يعرف الكائن البشري نفسه على نحو أفضل ، ويضع نفسه في المكان اللائق الذي يشغله في الكون ، ويمهد لنفسه سبيل تجاوز الحدود الضيقة والمتصلبة لشعوره الأنأ - ني . ويبدأ ، في الوقت المناسب ، في ادراك وحدة الحياة فيما وراء تعددية الأشكال . وفي



هذه اللحظة يتعين فجر الطور الثالث للتطور النفسي والروحي للكائن البشري : طور تجاوز « الأنا » \*

وسوف يتأمل الكائن الانساني ، وهو يقف أمام وضوح الاختلالات الناشئة عن النمو أو التطوير المقصور على الجانب العقلي وعن تقسيمه وتجزئته ، المسؤولة عن التوكيد الصارم للذات ، ضرورة تحول أو تجاوز سيورات الفكر الاعتيادية المألوفة ، والتحليل والتجزئة \*

وعلى هذا الأساس ، سوف تنزع « الأنا » الى ابانة التطورات أو السيرورات العميقة التي تشرف على وجودها وتبدأ في ادراك ظروف وأوضاع سجنها ادراكاً غامضاً ؛ كما وستدرك اتساع تناقضاتها واشراطاتها - وفي وسط هذه الأمور تكتشف أهمية فعل الذاكرة والحضور الثابت والمثابر للصورة التي تمتلكها عن ذاتها - ومنذ ذلك الوقت ، ينفتح أمامها طريق يُعرف بتطور يشل تلك الفكرة المشوشة التي سيطرت عليها وزودتها بيقين يشير الى أنها كيان منفصل ، معزول ومنقسم الى أجزاء متباينة عديدة - وكما يعلن كريشنا مورتى ويردد : « أنها تدرك الباطل بما هو باطل » \* وفي هذا الإدراك الشامل ، المباشر ، يتحقق التحول أو التبدل النفسي والروحي الذي يتجاوز من خلاله الكائن الحي البشري طور النضج لينتقل الى طور التفوق على الذات \*

ولن يتورع الكائن البشري عن اكتشاف طبيعته الحققة في ضوء نور يبهره ومجبة تملأ كيانه - ومن الآن فصاعداً ، يحتل هذا الاكتشاف ، في سلوكه الكلي ورؤيته الداخلية ، مكان الصدارة والأولوية ، ويتبوأ الأفضلية في النظام الطبيعي للأشياء - ولقد أوجز حكماء الصين القدامى اتباع مدرسة « شانغ تسونغ » هذا الاكتشاف أو التحقيق في كلمات ثلاث « العودة الى النفس » \*\*\*

★ ★ ★

ثمة ما يشير الى ان الهفوة التي ارتكبها الانسان في اعتباره بعض المعالم السالبة للوظيفة العقلية والافراط الطائش الذي يدل على عدم التبصر في تطبيق التقنية الحديثة ، قضيتان تحولان دون حل دقيق وصحيح للمشكلات الخطيرة ، مثل التلوث والأزمات الناشئة عنه ، ما لم نجد مخارج أو سبلا ملازمة للبنى الاقتصادية الفعلية والواقعية الحالية - وكذلك ، ليس ثمة حل للتهديدات التي تبلغ حد التدمير الذاتي لكوكب الأرض الناتجة عن الكوارث المتفاقمة للتلوث ما لم نأخذ بعين الاعتبار القوانين البيولوجية العظمى التي تضع الانسان والطبيعة والكائنات الحية برمتها

في قلب كل عضوي واحد تكون فيه الأقسام والأجزاء في وضع يسمح لها باستقلالية تامة لا تقبل الفصل والتفكك •

ولئن اعترفنا بما حققه العلم والتكنولوجيا من ازدهار هام وأساسي، لكن هذا الاعتراف لا يحول دون الإقرار بأنهما أسهما ، طيلة العصور الفائتة ، في اتساع حقل الشعور بالصرف بالفردية والإقليمية والقومية • ولا يغرب عن بالنا ان تطوير وسائل الاتصال ، والطيران ، والراديو ، ونمو الوسائط التي تسير الفضاء ، والصواريخ المرسلّة الى السيارات ، تتغلب على الصعوبات القائمة في العوائق الاصطناعية التي شيدها الجهل والمصلحة الدنيئة المستحوذان على الكائنات البشرية • لذا ، لا نبالغ اذا قلنا ان « عصر المركزية الكونية » قد ولد صبيحة اليوم الذي سار فيه الرواد الأوائل على القمر ، وانبثق الى الوجود في تلك اللحظة التي بدا فيها كوكب الأرض ، كما شوهد في الصور الفوتوغرافية الأولية ، بهيئة كرة صغيرة تائهة في ضخامة الفضام • واذا كان الجال كذلك ، فسوف تقيم كل نفس ، وهي تقف على عتبة الألف الثالثة وتجهل وحدة العالم ، الدليل على أنها نفس متقهقرة رجعية تعارض التقدم • وعلى الرغم من المعالم الاصطناعية المحدودة ، فلا بد وأن تلزم التهديدات الضاغطة المزعجة الكائنات البشرية على الاتحاد تفادياً للهلاك والدمار • والحقيقة ، ان مثل هذا الاتحاد لا يخرج عن كونه وحدة عابرة ان لم تكن اصطناعية •

ومع ذلك ، نرى كيف ان وسائل تدمير العصر الذري والتقدم المتحقق في طرق التدمير الكيميائية والجرثومية المربعة وفي أشعة اللآزر جعلت الانسانية تقف أمام خيار صعب طرحه اينشتاين : الاتحاد أو الإبادة والهلاك •

ومهما يكن ، فان الضرورة الملحة لتأمل الأحداث الواقعة على المستوى العالمي توسع الوعي الفردي وتعمقه • وان مثل هذا الاتساع يُعد الأحداث العالمية تلاجطة بأجساس يدرك على نحو شامل أو كوني ، ويسير بها ، بالمفارقة والتباين ، الى وعي هشاشة وضعف حدودها الإنسا - نية والشعور بسجيئها الضيقة أو المنجملّة •

وجدير بالذكر ان نمو التقنية والسرعة المتنامية لايقاعات الوجود الإنساني الناجمة عنهما يؤولان الى أوضاع محالة ، غير معقولة وظاهرية التناقض • وكلما تغلب الانسان بتقنيته على عقبتى أو عائقى الزمان والمكان ، تضاعف زمانه ، وأصبح أكثر فأكثر على الصعيد النفسى عبداً لقيم الزمان •

بناءً على ما تقدم ، يتضاءل الزمن الذي يتطلبه الكائن البشري ليعي طبيعته الحقّة وتبرير وجوده تبريراً جوهرياً • ولا نبالغ في قولنا أن هذا الوضع الذي يجد نفسه متورطاً فيه يحتجزه داخل دائرة مغلقة • وهكذا يؤدي القصور في النضج النفسي والروحي إلى إقامة فجوة واسعة بين التقدم العقلي والتقني من جانب والتقدم الخلقي والنفسي من جانب آخر • ولا شك أن هذا القصور أو العوز يُرد إلى تباين نجده في أصل كل اختلال أو فقدان للتوازن في المجالين الفيزيقي والنفسي •

ولو أخذنا ، على سبيل المثال ، بلایا التلوث المتفاقمة لأدركنا بأنها حصيلة نقص في البصيرة وانعدام اليقظة لدى التطبيق العملي للاكتشافات التقنية • ولا شك ، أن هذا النقص في التمييز والبصيرة يجر الإنسان إلى سلسلة من الأفعال والسلوكات تخل بعمق التوازنات الكبرى في الطبيعة • والواقع ، أن هذا الاختلال يتصل بخطأ تصرفاته وعدم استجابته لما يحيط به •

ولئن عرّف أنصار فرويد أو أنصار يونغ علم النفس بأنه علم السلوك ، فإنه يفيدنا أن تلقى الأضواء التي يحملها لنا على أشكاله الأكثر كمالاتاً وتطوراً • وفي هذه الحال ، نعتبر هذه الأشكال فكرة الوحدة الجوهرية ، الحيوية والأساسية للكون ، ونأملها بوصفها كلاً أو جملة عضوية غير منقسمة • ولسوف يؤدي تطور الفيزياء والبيولوجيا ، وهما تعبران عتبة الألف الثالثة ، إلى توضيح هذه الفكرة • وبمقتضى هذه الوحدة الجوهرية وهذا الترابط والاتكال المتبادل سيولد كل اضطراب بشري بتوازنات الطبيعة الكبرى صدمة تزعزع البشرية كلها في الأجل القريب •

ولا يخفى علينا أن عدد الأطباء الذين يطبقون الأثر الذي تخلفه الحياة النفسية في الحياة العضوية لمعالجة الأمراض يتزايد يوماً بعد يوم • وقد استفاد الصناعيون ومدراء المشاريع أيضاً من هذه الواقعة فعملوا على زيادة مكاسبهم وتحقيق ذواتهم • وهكذا يدرس فيزيائيون بارزون في مخابريهم طبيعة الفكر وقدراته ويسعون إلى تحديد وتعريف طبيعة الطاقات النفسية في ضوء نظريات الفيزياء الكوانتية وتحت الكوانتية •

★ ★ ★

يُعد تاريخ تطور الفكر القضية المطروحة خلال دورة واحدة • وليس الانطلاق الكبير الذي يحققه العلم والتقنية في أساسهما إلا تطويراً

للفكر • لكن فقدان التوازن الناتج من التطبيقات السيئة للعلم والتقنية يلزم الكائنات البشرية على معرفة واكتشاف طبيعة ، دور وحدود الوظيفة العقلية بشكل أفضل • فقد عُد التطور الفكري والتقني ، منذ ديكارت الى يومنا هذا ، موضوع ارتباط المعلولات بالعلل • ويكون هذا التطور المرتبط بما بلغته صلة المسببات بالأسباب دراسة ممتعة تتم من خلال الحاصلات ظاهرية التناقض التي أفضى اليها •

واذا ما عدنا الى ديكارت وجدنا ان عقله الذي امتاز بعلمه أو طريقته التحليلية والتجريبية كان قادراً على احداث سيورة أو سياق التجريبية العلمية التي تحدّرت منها الكشف الكبرى التي امتدت على قرنين من الزمن • ووفق الانسان بسرعة الى التعايل على امكانات أو كمونات المادة غير المحدودة في تطبيقها • ولقد أحدث التقدم الخارق لمعاملات الانتاج الذي عقب اكتشاف المحرك البخاري والنفط والكهرباء ثورات اقتصادية وسياسية واجتماعية يشوبها الاضطراب •

ولا شك ان مثل هذا الوضع الذي تميز بتغيراته الخارجية أدى بدوره الى نشوء النظريات الماركسية • فقد سبق أن أخذت الروح الانسانية بالثورة الأولى للأحداث الخارجية والقيم التي أنشأها الفكر ذاته • وما ان انقضت تلك الوهلة الأولى حتى أجهد بعض المفكرين الفلاسفة وعلماء الاجتماع والاقتصاديين أنفسهم وصمموا القضاء على العضلات التي لم تُطرح سابقاً في التاريخ بمثل هذه القوة وهذه السرعة • وأخيراً ، ظهر على المسرح علماء نفس أدركوا ضرورة توجيه البحوث والاستقصاءات المعمقة الى دراسة السلوك الانساني والبواعث أو الدوافع العويصة الغامضة التي تُشرف أو تهيمن على هذا السلوك •

ومنذ عام ١٩٢٠ ، تسارعت الأحداث ، الأمر الذي جعل ارتقاء أنواع التقدم التقني شيئاً مربعاً وصاعقاً • وفي هذه الحقبة ، تم تقدير القدرة التي يبذلها الانسان في عمله عن طريق الاتقان القائم في الآلة بعشرين ضعف عما كانت عليه في عصور ما قبل التاريخ • وبلغت في عام ١٩٤٠ أربعمئة ضعفاً • ومع ذلك ، لا ننسى الأزمات الخطيرة والجسيمة التي وقعت في عام ١٩٢٨ ، والحرب العالمية الثانية التي اندلعت عام ١٩٣٩ •

وجدير بالذكر أن المجال أو الحقل الصناعي لم يكن قد امتد الى استطاعات أو قدرات خارقة غير مألوفة أقبل عليها عصر الذرة الذي بدأ

عام ١٩٤٤ • وعلى أساس هذا الاستهلاك سيبلغ المعامل ، في عام ١٩٨١ ، رقماً ضخماً يصل الى سبعة آلاف • وهكذا نبتعد كثيراً عن الحقبة الاقتصادية التي اصطلح على تسميتها « الندرة » ، والتي تجلت للعيان في الأزمنة الأولى من التاريخ الانساني •

واذا كانت الحال كذلك ، أمكننا القول ، على نحو نظري وبشكل يتعذر دحضه ، ان شعوب العالم كله قادرة على العيش في وفرة كبرى • ولكن ، يتوجب علينا أن نذكر ما تبيّنه جاك ديبوان النصير المتحمس لاقتصاد التوزيع العادل للثروة عندما أوضح في عبارته ما يلي : « يحدث هذا النظام الاقتصادي الوفرة ، انما يوزع البؤس » •

وعلى الرغم من ان ٧٥٪ من البشر يعيشون في أحضان الشقاء ويمانون من الجوع ، فما زلنا نشاهد كيف يُحرق البن والقمح ، وكيف يلقي بالحليب في الأنهار ، وكيف تُتلف آلاف أطنان الخضرة والبقول والثمار الريانة الغضة •

واذا كان الأمر كما يبدو ، فيمكننا القول ان التعاسة المهيمنة على عصرنا واللامعقول الذي يعيث بزماننا يتولدان من تنمية أحادية الجانب للملكة تفكيرنا ومن استخدام أو انتفاع غير وافي لكفاءاتنا واستعداداتنا • ويرد هذا كله الى كون الانسان ضحية فقدان التوازن في تطوير وتنمية وظائفه وخاصياته النفسية • ولا يقل هذا السبب أهمية عن سبب آخر يتمثل في ان طرائق ومناهج تربيتنا لا تقيم وزناً لتطوير الحس ، والوجدان والشعور والملكات أو المواهب الإبداعية الخالقة • وهكذا نرى أننا — نية ماثلة في قاعدة النزاعات الفردية والجماعية •

يعالج هذا الكتاب المضلات المطروحة في الفقرة السابقة معتمداً على أفكار علماء نفس ، وعلماء ومفكرين أمثال كارل غوستاف يونغ ، شارل بودوان ، كارل روجرز ، اريك فروم ، دافيد شانبرغ ، فريتجوف كابرا ، دافيد بوهم وكريشنا مورتى • ولقد كان بعضهم ، في السابق ، وبعضهم الآخر ، في الحاضر ، أصدقائي •

وأخيراً ، تُعد هذه الدراسة التي ينطوي عليها هذا الكتاب خلاصة لاجاباتهم التي ألهمتنى وضع هذا المؤلف •





# القسم الأول



- ١ -

## المعضلة العالمية معضلة فردية

لا يتسع هذا الكتاب لدراسة كاملة تُعرض فيها العلاقة القائمة بين علم نفس يونغ وتعليم كريشنا مورتى وذلك لأن مثل هذه الدراسة تتوخى الدقة وتتطلب فهماً عميقاً ونظرة شاملة • وسوف تقتصر على عرض بعض المعالم التي تبرز التشابه والتكامل بقدر ما تبرز التفاوت والتباين بين آراء الرجلين •

يعلن كريشنا مورتى في مواضع كثيرة من كتاباته ان « معضلة العالم هي معضلة الفرد ذاته » • وفي نظره ان تعديل أو تبديل الهياكل الخارجية والبنى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والقانونية تعديلاً أو تبديلاً ليس الا اصلاً « للسطح » ، أمر لا يجدي كثيراً ، لأنه لا يباشر في تحويل جذري لقلوب وأرواح الناس الذين قُدر لهم أو أُتيح لهم الانتفاع بهذه البنى الجديدة •

يذكر كريشنا مورتى في كتابه « يقظة الوعي » ما يلي : (٢)

« ينبغي علينا أن ندرك الواقع الذي يشير ، في حقيقة أمره ، الى اننا العالم وان العالم هو نحن • وان هذا الوعي أو الشعور يشتمل على احساس كبير بالمسؤولية •

« اننا مدفوعون لأن ننسى ان المجتمع ، أي الثقافة التي نحيا في وسطها ، تتحكم بنا وتكيفنا بشروطها • • وهي حصيلة الجهود ، وصراع الأدميين ، والألم ، والشقاء الانساني • ولا شك ان الواحد منا يمثل هذه الثقافة •

« واذا كنا نحس بهذه الثقافة على هذا النحو وليس كما لو كانت مفهوماً عقلانياً • • فانما لنحيا الواقع حقاً وحقيقة ، ونستقصي جوهر العلاقات البشرية •

« وكما يبدو لي ، ان الخطأ الذي نقترفه عندما نعمل على فهم هذه العلاقات مرده الى اجهاد أنفسنا من أجل اقامة نظام في العالم على نحو نظري أو تقني ( ٠٠٠٠ ) بحيث نقف عاجزين عن الحيلولة دون تفاقم الفساد والانحلال » .

واذا تساءلنا عن وضع الانسان وهو يجتاز عتبة الألف الثالثة ، أجبننا ، كما يبدو لنا ، ان الفساد ، وتعاطي المخدرات ، والعنف ، والقنوط أمور تطرح ذاتها على طبقات المجتمع منذ بداية هذا القرن .

هنالك اختصاصيون عديدون ، مخلصون وصادقون ، ومفعمون بالارادة الطيبة يتقدمون بمناهج اصلاحية ، وبصيغ متعلقة بحقولهم أو مجالاتهم الخاصة . لكنهم يعجزون عن انشاء رؤية عالمية للمعضلة ، تنبصر في الوقت نفسه معالمها الخارجية والداخلية .

ولما كان يونغ قد تأكد من النماء المتزايد للأزمة العالمية التي تمتد الى مجالات متنوعة ، فقد وضّح أيضاً أهمية تحول نفسي للأفراد . كتب يونغ (٣) :

« بقدر ما تكون التجمعات مجرد تكومات أو تكتلات للأفراد ، كذلك تكون معضلاتهم ، بالقياس ذاته ، تكومات أو تكتلات للمعضلات الفردية .

« ان معضلات من هذا النوع لا تعرف الحل بأي شكل من الأشكال عن طريق تشريع أو تبديل في الاسم والعنوان . وليس من سبيل الى حلها الا من خلال تبديل شامل للموقف أو الوضع » .

« ولا يشيّد هذا الموقف أو الوضع الشامل بمعونة الدعاية أو الاشاعة التي تقوم بها حشود الناس وكتل الجموع ، كما وأنها لا تقوم على أساس من القوة . فهو يبدأ بتحول أو تبديل يبرز في الأفراد الى الوجود . ويتجلى من خلال تبديل اثاراتهم ونفوراتهم الشخصية ، وأسلوب أو طريقة تصورهم للحياة ، وادراكهم لقيمهم . أما تراكم تبدلات فردية كهذه ، فانه يقود وحده الى حل للتجمع البشري » .

يتماثل موقف كل من يونغ وكريشنا مورتى تماثلاً كبيراً . فهما يعرضان حلاً شاملاً لمعضلات العالم عن طريق تبديل نفسي للأفراد .

يصرح كريشنا مورتى بما يلي (٤) :

« اننا نحيا في وضع من الفوضى والارتباك يتجلى في العالم الخارجي . ويتحمل كل واحد منا مسؤولية هذه الشدة والضيق » .

« ولما كنا مسببي هذه الفاجعة فيتوجب على كل فرد منا أن يجابهها \*  
وهذا هو ما أدعوه الأسلوب الجديد في التفكير ووجهة النظر الجديدة » \*

من الأهمية بمكان أن نشير في هذا المجال الى أن « الأسلوب الجديد في التفكير » الذي ذكره كريشنا مورتى ينتج من معرفة الذات التي تنطوي على شعور بالوعي ضمن سيرورة الفكر \* وهذا يعني أن الشعور بالوعي يرتبط بسياق كشف ذاتي بسيط وعسر في آن واحد \*

يتحدث كريشنا مورتى عن هذه الحكمة بما يلي (٥) :

« تعد معرفة الذات عملية غاية في الصعوبة ؛ ويكون الأمر أكثر سهولة ان كنا نتبع منهجاً أو مذهباً لا يتطلب منا سوى القليل من التفكير \*

« ان كنا نسعى الى عرض وتحليل نشاطات وأعمال وجودنا اليومي ، فلا بد من تبني تأمل وتبصر وتفكير ووعي وجلاء يعجز الكثيرون عن استعماله ، وتتميز القلة بقدرة على الاستفادة منه وتحقيقه في آن واحد ؛ انهم يفضلون اصلاح المجتمع بدلا من فهم واحتواء نشاطاتهم الخاصة ، ومشاعرهم وعواطفهم وأحاسيسهم التي يتميزون بها ، التي هي ، مع ذلك ، سبب الضيق والشدة وعلة الدمار والخراب » \*

ولا يغيب عن بالنا ، في هذه الحال ، أن الأولوية الأساسية التي يرتبها كريشنا مورتى ويونغ على التحول النفسي والروحي للكائن البشري لا تحمّلها تبعة رفض فكري منهجي لكل تحقيق محسوس واقعي في الحقلين الاقتصادي والاجتماعي \*

ولا يضيرنا في هذا الصدد أن نتذكر أن كريشنا مورتى هو الملهم الذي يقف خلف تأسيس مدارس جديدة عديدة انبثقت منها التطويرات والتنميات التي نشاهدها في بلاد الهند وبريطانيا والولايات المتحدة وكندا \*

- ٢ -

## الفردى والجمعى

يبدل يونغ وكريشنا مورتى جهديهما في سبيل توجيهنا الى مجتمع منسجم متناسق ينبثق الى الوجود نتيجة لبناء موقف جديد في الفرد يستوحيه من شعور أكثر عمقاً بالقيم لا يتنافى مع وجود الفردى والجماعى، وفيه يكمل الواحد منهما الآخر \*

يحدثنا دكتور جولان جاكوبى<sup>(٦)</sup> عن الدور أو الواجب الذى تقترحه علينا أو تطرحه علينا كتابات كارل يونغ التى تركز على : « اعادة الوثائق بين النقيضين ، الفرد والجماعة ، من أجل تأليف شخصية تكاملية توحده الاثنين في الة ووثام » \*

وفي رأي كريشنا مورتى ، يستحيل علينا تحقيق هذه « الشخصية التكاملية » ما لم نحقق معرفة النفس على نحو صميمي \* ويؤكد كريشنا مورتى ان هذه المعرفة لا تبان على حقيقتها الا من خلال صلتنا بالغير وعلاقتنا بأمثالنا ، وعن طريق ممارسة اهتمام أو تيقظ ساهر أثناء ردود أفعالنا أو انمكاساتنا اللا ارادية ، وأفكارنا ، وأحاسيسنا ، وحركاتنا وسلوكياتنا وكلامنا \*

اذن ، فالصعوبة كلها تكمن في القدرة على ممارسة خاصة من خصائص الانتباه اليقظ ، طليق من آليات أو لا ارادات الذاكرة ومن أحكام القيمة التى تنجم عنها \* وفي هذا الوضوح الجلي الناتج عن خاصة الاهتمام اليقظ ، يعي الفرد تحديداته واشراطاته ، فينعتق ويتحرر \* ولا شك ان وضعاً من هذا النوع يقضي به الى وضوح وشفافية حالة من يقظة داخلية تُعرف بانعتاقها من الحدود الاعتيادية التى رسمتها الأنا \* وعندئذ ، يعي الوحدة الجوهرية القائمة في صميم الكائنات والأشياء \*

- ٢٦ -



وفي رأي كريشنا مورتى ان معرفة الذات عرفاناً صميمياً تنطوي على وعي تام واضح بتجزئة بنيتنا النفسية الى عناصر أو مجموعات تنشأ بينها توترات نزاعية أو تناقضية أو تعارضية \*

ولا يفتأ كريشنا مورتى يجذب انتباهنا الى واقع اليم يتمثل في أننا ، كثيراً ما ، نحسب أنفسنا متميزين عن أفكارنا ، وتأثراتنا ، وانفعالاتنا ، والصورة التي نكوها عن أنفسنا \* ويلج ، بل يصر ، على أن الواقع لا يشير الى وجود فصل بين الاثنين : المفكر وأفكاره \* وبشكل عام ، لا نمسح أفكارنا وردود أفعالنا أو انمكاساتنا اللاارادية أية أهمية في حين انها تكون عناصر ملهمة ، موحية ورؤية على نحو جوهري وأساسى \*

وإذا كان الأمر كذلك ، فلا يحق لنا أن نخط ممارسة هذا الانتباه اليقظ مع سياق الانفراد والعزلة ، أو مع سيورة الهرب والتملص والرفض \* أما الخير فيكمين في النقيض \* غير أن العديدين وسوست لهم نفوسهم وظنوا أن المنهج الذي اقترحه كريشنا مورتى آل الى نوع من الانكفاء على الذات أو الى عزلة وانفراد صلف في برج عاجي ؛ لكن الحقيقة هي أن تعليم كريشنا مورتى ، مع ما يبدو عليه من تناقض ظاهري ، يستدعي نزعة فردانية في موضوعاته ، انما ينطوي بوضوح على شمولية وفردانية فوقية في كليته \* ولئن كانت نقطة انطلاقه الفكري تتركز على مستوى الكائن البشري الفردي الحريص على التحديدات والاشراطات التي تحتجزه ، لكن غايته تتمثل في تجاوز الذات والتفوق عليها ، وفي انحلالها في نهاية المطاف \* وهكذا لا يستغرق الكائن البشري في عدم فكري ، تحتي ، سديمي أو ضبابي أياً كان \* وعلى غير هذا ، يحقق جلاء داخلياً ينهار فيه ، على نحو قطعي ، قناع الانفصال والتفريق \* وان هذا التحقيق يتوافق ، بصورة ما ، مع ما أشار اليه ريمون رويه وعنى به « تجلي أو رؤية الموضوع أو الوجه الأوجد للكون » (٧) \*

★ ★ ★

يبذل كريشنا مورتى جهداً ، تماماً كما يبذل يونغ ، لبيد سود الفهم الذي بمقتضاه نزح الكثيرون الى معارضة أو تعارض الفرد والمجتمع \* ويكتب عن هذا الموضوع ما يلي :

« في رأيي ، تحتل أهمية الفرد مكاناً رفيعاً سامياً ؛ وفي هذا الاصطلاح لا أقصد الفرد الذي يعارض المجتمع \* ولما كنا نعتبر الفرد ووظيفته في

المجتمع ، فيتوجب علينا أن نعتبر كلية كيانه ، ونحجم عن اعتبار نشاطه الفردي الذي يمكن أن يقف من المجتمع موقف العداء (٨) » •

« الكينونة تعني أن يكون للكيان صلة بالآخرين ، ذلك ان الكائن المعزول غير موجود • وعلاقتنا البشرية هي مجرد وضع من النزاع الداخلي والخارجي : واتساع النزاع الداخلي يتحول الى نزاع عالمي شامل • فلا يمكن أن يكون الفرد والعالم كائنين منفصلين ، كما لا يمكن أن تنفصل قضيته عن قضية العالم ؛ فهما واحد ؛ وينتج من هذا أنه يحمل العالم فيه ، اذ يستحيل وجود هذا العالم الا بوجوده • اذن ، فالعزلة أو الانفصال غير موجود ، والانسان ليس موضوعاً منفصلاً عن الآخرين ؛ وعلى غير ذلك ، هو كيان مرتبط بالمجتمع (٩) » •

يكشف لنا التطور الحديث الذي حصل في نطاق الفيزياء والبيولوجيا في القرن العشرين عن الحقيقة التالية : كل نقطة من نقاط الكون تتضمن مع كل ما هو موجود في الكون • وتعد كتابات كبار فيزيائيي الحقبة الأخيرة من تاريخ العالم ، أمثال فريديجوف كابرا (١٠) ، ودافيد بوهم (١١) ، دلائل مفعمة في هذا المجال لأنها تشكل كتابات أساسية ومراجع نعود إليها مرة بعد أخرى •

تقيم كتابات هذين العالمين الحكيمين الدليل على وجود سيورة تفاعل واتكال متبادل أي ارتباط كلي بين العناصر المكونة للمادة في الكون كله • وعلى هذا الأساس ، تمد المفاهيم والأفكار القديمة التي جعلت من العزلة والانفصال مقولة لها أفكاراً وهمية بتمامها ، لأنها كانت حصيلة ادراك بصري لنطاقات أو حدود معينة أو نتيجة لفكرة تشير الى وجود انفصال بين الموضوعات •

ان وضوح الوحدة أو التفاعل – وحدة الكون وتفاعله – اللذين آتينا على ذكرهما في الفقرة السابقة ، لا تعوق مسألة التضج النفسي والروحي لدى الكائن الانساني طالما ان كل فرد يقوم بعملية التحول في غضون تحقيق الانتباه أو الاهتمام اليقظ الكامل • ومنذ البدء ، يشمل هذا التحقيق تأصيلاً أو رسوخاً نفسياً لكل كائن بشري باتجاه أعماقه ليفضي الى اكتشاف الوثائق الذي يربطه بالكل الذي لا يقبل الانفصال عنه •

انطلاقاً من هذا الاكتشاف يظهر جلاء ضياء يزيل الحدود الوهمية التي يعتقد الانسان أنه سجينها • وفي هذه اللحظة ، لا يجد نفسه معارضاً للعالم أو متميزاً أو منفصلاً عنه • وكما عبّر ريمبو : يكون « في العالم وللعالم » •

## - ٣ - الشعور واللاشعور

يعتقد كريشنا مورتى ويونغ أن القسم الواعي من حياتنا النفسية لا يشكل الا جزءاً زهيداً • وفيما يتعلق بكريشنا مورتى تتكون « أنا » من تنضيد أو تراكب معقد لطبقات مختلفة من الوعي • ويعتقد هذا الحكيم أننا لا نعرف الا القسم السطحي أو الظاهري معرفة واضحة نسبياً ؛ كما يعتقد أن هذا الوعي المحيطي أو الخارجي بالاضافة الى مجموع الطبقات العميقة التي تشكل اللاشعور أو اللاوعي ليست الا ذكريات واشراطات تعود لماض قصي جداً يرقى الى الأصول الأولى للحياة •

يكتب كريشنا مورتى مبيناً قصده (١٢) :

« الغالبية العظمى من الناس يعملون على حل معضلاتهم بطريقة سطحية ••• بواسطة هذا الجزء الصغير من الروح الذي ندعوه الشعور ؛ والحال ان شعورنا شبيه بجبل ثلجي تغمر أعماق البحر جزءه الأكبر ، الأمر الذي يسمح لقسم ضئيل منه بالظهور على السطح » •

اننا نمتلك وعياً لهذه الطبقة الخارجية السطحية ، وعياً هو « معرفة غامضة مبهمة ومضطربة ، فيما يشق علينا ادراك القسم الداخلي الكبير ، وهو اللاشعور العميق ، الا بصعوبة كبرى ؛ وليس بمستطاعنا وعي هذا الجانب العميق الا عبر الأحلام » •

« وان كنا نريد حقاً أن نفهم معضلتنا ، انما ليتوجب علينا ، أول بأول ، أن نبدد أو نزيل غموض وإبهام الشعور ، وذلك عندما نعيه بأدراك وتجرد أكثر مما ينبغي • وبعد ذلك ، تستطيع الروح الداخلية أن تظهر ناتئة في هذه الفرجة للوعي البين الواضح » •

أما فيما يتعلق برأي يونغ ، فليس الشعور الا خلفاً أو ولداً متخلفاً  
أو متأخراً أو متباطئاً للشعور \*

قال كارل يونغ (١٣) : « دلّني تجربتي أنني أتنبه الى مجموعة  
معقدة من أفكار تشكل مركز حقلي الواعي ، وتبدو بأنها تتصف بتواصل  
كبير وتمائل كبير » \*

« فالأنا » ، في تصور يونغ ، هي معلم جزئي و سطحي لكلية الحياة  
النفسية \*

وفي رأيه ان هذه الكلية هي « الشخصية الكاملة » التي تلقب  
بـ « النفس » \* وهكذا تُحد « الأنا » بالشعور بينما تُعد « النفس » كلية  
الشعور والاشعور \* وعلى هذا الأساس يعتبر يونغ هذه الكلية الأخيرة  
القاعدة الأساسية الجوهرية لكل نفسانية فردية \*

وفي هذا الصدد يحدثنا عالم نفس زوريخ :

« يسبق الاشعور الشعور \* ويؤلف المعطى أو اليقين الأولي البدئي  
الذي لا يفتأ الشعور يتدفق منه \* وتتألف مضامين الاشعور من الكيفيات  
أو الأشكال النموذجية لردود أفعال الانسانية وانعكاساتها اللا ارادية منذ  
تشكل أصولها في الظروف النفسية الأكثر تبديلاً : الكفاح ضد قوى الطبيعة  
في سبيل البقاء ، مقاومة القوى الفائقة ، العلاقات بين الجنسين ، السلوكات  
المتأرجحة بين الكراهية والحب ، الموقف من الموت ، المخاوف بأشكالها  
المتنوعة (١٤) » \*

حقيقة الأمر هي ان اللاوعي يتشكل من المجلد الكلي لهذه الذاكرات  
المختلفة المدونة قبل وعبر التاريخ الانساني \*

وهكذا ، يحدد يونغ بوضوح السيرة الخاصة بكل من الشعور  
والاشعور ، والدور المتبادل لطبيعتهما ووظيفتهما في المقطعين التاليين :

« يدرك الاشعور ، بحدوس ومشاعر سببية ، وأحاسيس وأفكار  
تماماً كما يدرك الشعور \* ولا يختلف الشعور في وظيفته الأساسية ضمن  
نطاق النفس عن الاشعور الا في نقطة هامة تلخص كما يلي : على الرغم  
مما تُعرف به شدة وقوة وتركيز الشعور ، لكن الواقع يشير الى أنه وقتي  
زائل ويتلاشى ، ليس الا ، مع الحاضر المباشر ومخيطة الخاص \* وفي طبيعته،  
لا يمتلك الشعور الا مواد التجربة الفردية الموزعة على مدى عشرات

السنين • وما ذاكرته لبقية الكيان سوى ذاكرة اصطناعية تتألف في جوهرها من وثيقة مطبوعة • لذا ، يختلف اللاشعور عن الشعور اختلافاً كبيراً •

« وبالمقابل ، لا يعرف اللاشعور الشدة والتركيز ، بل يُعرف بما هو شفق في أساسه ضارب إلى العتمة والابهام • فهو يبلغ في مداه اتساعاً ضخماً ، ويتألف من هيئة ظاهرية التناقض ، ومن عناصر شديدة التباين تتصرف بكتلة غير متعينة من الإدراكات الحسية المصعّدة ، وذخيرة خارقة من المطابقات المتوضعة في غضون حيوات الأجداد والأسلاف الذين ، بواسطة وجودهم الوحيد ، أسهموا في تمايز النوع(١٥) » •

يتصدى كريشنا مورتي ، كما تصدى يونغ من قبله ، لوجود التنزيذات أو المطابقات المتوضعة خلال الماضي بحيث أن التراكم على هيئة طبقات متعاقبة يشكل تعقيد الأنا الضخم •

وفي رأي كريشنا مورتي أن الذاكرة لا تشتمل على مستوى الشعور المحيطي المحدث من « الوثيقة المطبوعة » فحسب ، بل تتعداه إلى احتواء المستوى الأكثر عمقاً ، حيث نجد خبراتنا ، نجاحاتنا ، اخفاقاتنا مسجلة بالإضافة إلى نجاحات و اخفاقات وآلام جميع الأحياء الذين سبقونا منذ الأصول البعيدة للحياة • وعندما تشاء العلوم أن تقتفي الأصول الأولية للذاكرة لتحدد زمانها ، تعود إلى هذا العهد والزمان البعيد •

وقد تحدث يونغ عن هذا التطور في سيرورة الاستدكار أو ترسيخ الأحداث في الذاكرة بالأسلوب ذاته الذي تحدث عنه كريشنا مورتي • ولقد بسط يونغ تعليقه وشرحه البليغ على النحو التالي :

« لو اتصف اللاشعور بقدرة على التشخيص أو التجسيد لاتخذ لذاته معالم كائن بشري جماعي يغيش على هامش التمييز أو التخصيص بين الجنسين ، الصبا والشيخوخة ، الولادة والموت ، معضداً بالخبرة الانسانية التي تناهز خلود مليون أو مليونين من السنين • وسوف يخلق هذا الكائن بلا منازع فوق تقلبات الزمن •

« وتتجه أحلام هذا الكائن الحالم إلى الماضي القديم ، ويكون وسيط وحي للتنبؤات الفريدة التي لا مثيل لها ، وذلك بفضل خبرته التي تتجاوز كل حد وقياس • ويرد هذا كله إلى سبب هو أنه عاش حياة الفرد ، والأسرة ، والقبائل والشعوب عدداً لا يحصى من المرات ، الأمر الذي

يساعده على معرفة ايقاعات الصيرورة ، تألقها وانحلالها وتفسخها  
باحساس حي(١٦) ، \*

★ ★ ★

تعمق يونغ في دراسة الصلات القائمة بين الشعور السطحي الذي  
كوّنته ذكريات الكائن البشري طيلة حياته الحاضرة وبين اللاشعور الفسيح  
الذي كوّنته شبكة أو ضفيرة الذكريات الجماعية المتراكمة عبر ملايين  
السنين \*

ولقد أقام عالم نفس زوريخ الدليل على وجود مبدأ تعويض بين  
الشعور واللاشعور \* ويفسر سير أو عمل مبدأ التعويض بعلم الطاقات أو  
النشاطات النفسية \* وبالفعل ، يقيم هذا العلم الدليل على وجود مبدأ  
حفظ الطاقة ، إذ يكشف عن بعض التشابهات مع قوانين حفظ الطاقة  
المعروفة في الفيزياء \* ففي كل يوم يبين لنا التقدم الذي تحرزه الفيزياء  
أن الطاقة النفسية طاقة مادية وأن الحد الفاصل بين أعماق العالم الفيزيقي  
والعالم النفسي ظاهرية أكثر منها حقيقية \*

ويتجلى مبدأ التعويض المذكور في ردود أفعال أو انعكاسات لا ارادية  
مألوفة يسهل ملاحظتها عند الأشخاص الفطنين الذين يحللون مضامين  
أحلامهم \* وفي غالب الأحيان ، يجر الاحباط المستمر الذي ينشأ من ملذات  
غذائية أو جنسية في حياتنا اليومية الواعية الى أحلام تتجلى فيها صور  
أو أحاسيس تحدث اشباعا للرغبات التي لم تُستجب \*

يعتقد كريشنا مورتى أن سياق الفكر الذي تحياه على نحو فعلي  
الغالبية العظمى من الكائنات الحية ناقص ومشوش \* وفي رأيه أن النتائج  
تنحو بوضوح ليس فقط عن وجهة نظر يونغ بل عن وجهة نظر غالبية علماء  
النفس والمحللين النفسيين المعاصرين \*

ولكن كريشنا مورتى لا يتورع عن التنبيه الى وجود سياق فكري  
متناغم وكامل تتحدد فيه كل حركة من حركات الفكر في اللحظة الحاضرة  
ولا تترك أية بقية \* ويتطلب هذا السياق سيرورة فعل وعمل تام لا يترك  
مجالا لتحقيق أية رغبة في المستقبل \* ولا تزول الأحلام الا بتحقيق سياق  
أو تطور للفكر من هذا النوع \* ولا شك أن انعدام الحاجة لمبدأ التعويض  
يجعل ظهوره عديم الجدوى \*

وجدير بالملاحظة أن النوم الذي لا يرافقه حلم هو تلك الحالة التي  
تندعم فيها الثنائية ، تماماً كما تعلمنا المثل السامية للحكمة الهندوسية  
والبوذية \*

★ ★ ★

تكشف لنا تعاليم كريشنا مورتى ، بعد دراستها دراسة معمقة ، عن  
وجود مبدأ **حفظ الطاقة النفسية** \* ومع ذلك ، تبدو التماثلات بين ما يقدمه  
كريشنا مورتى ويونغ في هذا الحقل ظاهرياً أكثر منها واقعية وحقيقية \*  
لذا ، نعمل على اظهار التفاوتات القائمة بينهما في هذا المجال :

في تعليم يونغ ، تشتمل النفس على كلية الشعور والاشعور \* وان  
كان يونغ يعتبر تحقيق « الشخص المتكامل يتم في اقامة التوافق بين الوظائف  
النفسية » مرحلة نهائية أو قمة التطور النفسي للكائن البشري ، فان  
كريشنا مورتى ، على غير ذلك ، يتأمل كلية الشعور والاشعور فيرى أنها  
ضفيرة ضخمة من الذاكرات تشكل عقبة كبرى تصد كل تطور روحي تال \*  
وبطبيعة الحال ، ليست « الأنا » في نظر كريشنا مورتى و « النفس » في نظر  
يونغ سوى اشراطات يتوجب على الانسان تجاوزها لواقع هو أنها « حصائل »  
الماضي \* ففي منظور كريشنا مورتى ، لا تكون الحقيقة الجوهرية  
« حصيلة » بل ان توالدها يتم على نحو ذاتي \*

يتابع كريشنا مورتى تعليمه مشيراً الى أن مبدأ التمييز المتمثل  
« بالشعور – الالاشعور » ينتج من ميل فطري ينزع الى الحفاظ على  
الذات التحتية على نحو حيوي أصلي \* فهو ، في نظره ، مجرد انكاس  
أو عمل لا ارادي لدفاع ذاتي تقوم به كلية النفسانية المتنبهة بشكل خاص  
للحفاظ على تواصلها ، وأمنها ، بحيث أنه يفاقم أو يضخم ، في كل لحظة ،  
ماضيه ونشاطاته الحاضرة بالاضافة الى مضامين الالاشعور الجمعي \*

وان هذا السياق الدائم لنمو وتكاثر الذاكرات لهو قضية وضّحها  
علماء ومفكرون حاليون ، أمثال جان شارون ، وأطلقوا عليها اسم  
« الانتروبي السالبة » التي تحصل في مكان – زمان نفسي (١٧) \*

يجاهر كريشنا مورتى بضخامة الذات \* ويمتدّد أنها تنشر تفرعاتها  
وتشعباتها لغاية مستويات النفسانية العميقة \* وتتوضع هذه المستويات  
في مثل هذه الأعماق وتمتلك دقة ولطافة وتضطلع بمهمة منحها طبائع

وميزات التعالي والتسامي الروحي تتجاوز « الأنا » . وهذه وجهة نظر أسلمت العديد من الفلاسفة والمفكرين والمتدينين الى اقامة تعارض بين « أنا » سفلى مقبلة و « أنا » عليا ليست كذلك .

لكن كريشنا مورتى يتنكر لهذا التصنيف خوفاً من الوقوع في شرك لا فكاك منه . ويعتقد أن مثل هذا التقسيم يؤول بنا الى تجزئة الذات الى عناصر مختلفة متناقضة ومنفصلة لا تلبث أن تكشف عن توترات صراعية بينها . ومن جهة أخرى ، تشكل هذه التوترات المتصارعة لعبة الذات وتكون المظهر الجلي لغريزة بقائها ورغبتها في الاستمرار .

وبكلمة وجيزة ، تقوم « الأنا » في رأي كريشنا مورتى كما وفي رأي الذين يالفون الفلسفات والتصنيفات الشرقية ، مقام الذات . فالأنا كما هي مدركة في البراهمانية والبوذية وحكمة الفيدانتا ، تشتمل على الفردية المستمرة ، أو الباقية نسبياً ، التي تجتاز أو تعبر دورة سمساراً ، أي طوافى الولادات ، الحيوات والميتات المتتابة .

ويهاجم كريشنا مورتى على نحو غير مباشر الأصل الأول للأنا ، ليس في معالمها السطحية الظاهرية الواعية أو السفلى فحسب ، بل في معالمها الحاذقة ، اللاواعية ، أي « العليا » . ولئن كانت الذات هي ذات حياة واحدة أو تتابع وجودات ، فانها ، في صميمها ، نزاعية ، ووهمية لا تتصف بالدوام . ووفق ما يعرضه الفيزيائي دافيد بوهم ، ليست الأنا سوى لحظة وقتية زائلة في صدر الكلية الواحدة ، المتعددة في أبعادها واللامتناهية في سعتها .

اذن ، تتضمن الأنا العليا أو الدنيا في بلوغ نهاية سياق للتداعي النفسي وتجمع ذكريات تباشر في العمل باستمرار . ويوجه هذا السياق من التداعي قوى لا ترد أو لا تقاوم ظاهرياً . فهي ، في بدئها ، غريزة بقاء أو رغبة بقاء ، وبالتالي ، وهي متضمنة في الأولى ، قوة اعتياد تواظب على مقياس سرعة مكتسبة . وفي هاتين القوتين يلعب سياق أو سيروية الانتروبي السالبة دوراً هاماً أساسياً .

وبالفعل ، تحب « أنا » كريشنا مورتى ، التي تقابلها « نفس » يونغ الى حد ما ، أن تشعر بأنها كيان مستديم ، موهوب بنوع من أنواع الرسوخ النفسي . ويزودها هذا الشعور بالرسوخ والمتانة النفسية بالاثارة العقلية ، بالأحاسيس والانفعالات . وأن كثافة هذه العناصر



الثلاثة تضفي على الأنا أحاسيس الاستمرار والانزلاق المتواصل في الديمومة والبقاء الذي يلذ لها ويرضيها \*

لكن كريشنا مورتى ينقض رضى الذات ويعتبره وضعاً زائفاً ومصدراً للنزاع والتصارع \* ولهذا السبب ، يردد كريشنا مورتى حيناً بعد حين قائلاً « ان مثل هذا التواصل مدعاة للحجز والانغلاق » \*

وعلى هذا الأساس ، تتلاحق الحياة الانسانية في تواتر مسيرة عقيمة تظل مقصورة بصرامة على المدرك والمعلوم ، وعلى الذاكرة \* وفي هذه الحال لا نتمالك أنفسنا من التشديد على التوازي أو الاتجاه المتماثل القائم بين موقف كريشنا مورتى ازاء الفعل المعطل للذاكرة والفعل الذي يطرحه بعض المتدينين الذين يتصدون للفعل السالب المتمثل في « الانسان العتيق » \*

أما ضرورة سلخ وتجريد الانسان العتيق ببداية كلية فانها تناظر الضرورة التي يذكرها مراراً كريشنا مورتى عندما يدعونا الى تحررنا من سلطان المعلوم والمدرك ، ومن ذاكرات الماضي والسيرورات الميكانيكية والمكررة أي الانعكاسية للفكر \* وتتوافق هذه الفكرة مع المعنى الحقيقي المتضمن في الحكمة الشهيرة « لا توضع خمرة جديدة في زق أو قربة عتيقة » \*

أما طبيعة الذاكرة والفكر وسيرورتهما والطريقة التي تؤدي الى الانعتاق من سلطانهما فقد درسناهما دراسة وافية ومفصلة في كتاب آخر (١٨) \*

وأخيراً نقول ان كريشنا مورتى ينظر الى « الأنا » السفلى و « الأنا » العليا بوصفهما نهايتين أو نتيجتين لسياق الذاكرة \* وبالمقابل ، نجد أن الحقيقة التي يعنيها أو يشير اليها من خلال الأبدى اللازم هي تلك الحقيقة التي تقع الى أبعد من الذاكرة \*

- ٤ -

## توازن الوظائف النفسية

تشير الدراسة المقارنة الى وجود تشابه بين نتائج فكر يونغ وكريشنا مورتى • فكلاهما يشددان على ضرورة وجود توازن في الوظائف النفسية • فمن جانب ، يصنف يونغ الوظائف النفسية في مقولات ثلاث : الفكر ، الحدس ، الشعور والاحساس • ويعرّف يونغ الشعور والفكر بأنهما وظيفتان عقليتان ، كما يعرف الاحساس والحدس بأنهما وظيفتان لا عقلانيتان •

يقول يونغ : الفكر وظيفة تنزع الى ادراك العالم بفعل المعرفة • وهو ، بالاضافة الى ما ذُكر ، وظيفة تكيف وتوافق مع العالم تتجه الى تفسير ما تجده أو تواجهه بأسلوب منطقي •

ويلحف كريشنا مورتى على أن سيرورة الفكر سياق من التقديرات تبعاً للمعلوم المدرك • وتتصف هذه السيرورة بأنها حكم قيمة وخبرة يبنى على ذكريات الماضي الشعورية واللاشعورية • وخلافاً للفكر الذي يقيم صلات مجردة ويستخلص نتائج منطقية ، يتناول الشعور العالم فيقيمه تبعاً لما هو مقبول وسائغ لديه أو غير مقبول وغير سائغ •

وبكلمة وجيزة ، يتفق يونغ وكريشنا مورتى على هذه النقطة فيقولان ان الفكر والشعور ينشئان من التقدير أو التقييم ، والمقارنة والتشبيه • فالفكر يقبل أو يرفض تبعاً لما يقيمه صواباً أم خطأ وذلك بالاسناد الى خلفية من أحكام القيم • أما الشعور فانه يقبل أو يرفض تبعاً لانفعالات اللذة أو الكرب والكدر •

ويعيّن يونغ الاحساس والحدس بأنهما وظيفتان لا عقلانيتان على غير ما يحدد الفكر والشعور بوظيفتين عقليتين ، وذلك لأن الاحساس

والحدس لا ينتفعان بالأحكام ولا يباشران بتقديرات وتقييمات أو بخبرات واختيارات • فالحدس والاحساس لا يعلنان ، انما يتناولان الأشياء كما هي ، بحيث يكون أحدهما بعداً مجرداً والآخر بعداً واقعياً ، دون توسط الاستدلال أو المحاكمة • وليس من سبيل الى توسط الآلية العقلية على نحو شعور بالوعي أو المقارنات الا بعد قووات الألوان •

لهذا السبب يستعمل بعض مناهج بوذية زن الاحساس بوصفه وسيط « مثول في الحاضر » • ومع ذلك ، يعد الاحساس ادراكاً حسيّاً أو تمييزاً يتصور المعلم الخارجي للأشياء ، انما لا يدرك منها الا خاصياتها أو تفرداتها الظاهرية والمحيطية الخارجية • لذا كان حقل بحثه مرتبطاً بدقة بالمعلم الخارجي للأشياء حتى ولو كان مجعلاً أو موجزاً على نحو نسبي - بحيث يدعوه جانبيه خاصية الموجود الواقعي • واذا كانت الحال كذلك ، علمنا أن الشعور يدرك التجزئة ولا يفهم الكل • وهذا يعني أن الشعور لا يفهم الا الجزء ويعجز عن فهم الشامل • وهكذا نخلص الى القول أن الحدس الحقيقي أكثر باطنية وضمنية وشمولاً •

ويعبر الكسي كاريل : « يدرك الحدس تلقائياً ودون الاعتماد على حيل الاستدلال والمحاكمة الصلات التي توحد بينها أجزاء الكل • وكثيراً ما يكون للأجزاء معنى ومبرر للوجود في حال مباشرة هذه الصلات بعملها » •

وفي رأي يونغ ، يعد الحدس ادراكاً أو تمييزاً داخلياً يعود لاستطاعات أو لامكانات ملازمة للأشياء ويتحقق خارج كل استدلال أو محاكمة •

وهكذا نبسط بصمت وهدوء ، ودون تعليق ، التفسيرات العديدة لوظيفة الحدس • ويتبصر كل مؤلف هذا الموضوع وفق المعالم المختلفة التي يستثنىها •

ولا يغيب عن بالنا أن يونغ قد وضع مبدأ التعويض بين القطبين : « الفكر - الشعور » و « الاحساس - الحدس » • ويعتبر يونغ أن الانتظام المتناسق لمبدأ التعويض ضروري أو شرط لازم للتوازن النفسي للكائن الانساني • أما كريسنا مورتى فيصر على ضرورة التوازن بين وظائفنا النفسية المختلفة • والتوازن ، في منظوره ، هو استهلال تحول روحي وتجاوز للذات • لكن يونغ يرفض التأمل في هذا المنظور •

يقول كريشنا مورتى ما معناه أن الحب تسهيل لحركة الفكر •  
ويضيف قائلاً « يشبه القلب المجرد من المحبة ساقية جافة لا قدرة لها على  
ري ضفافها » •

وفي رأيه ، يتحقق الحدس بالتوازن القائم بين العقل والحب •  
والعقل ، في هذا السياق ، ينضوي تحت الاصطلاح الذي استعمله كريشنا  
مورتى طيلة سنوات كثيرة وهو « الروح - القلب » • وان تحقيق هذا  
التوازن ، في نظر كريشنا مورتى ، يكمن في استهلال شعور كلي وشامل  
بالوعي ، ينطلق في تحول نفساني حقيقي ، في أثناءه تتسامى الذات •

وبحلول عام ١٩٣٠ بلغ كريشنا مورتى كمال تعريف وتعيين الحدس،  
فقال : « الحدس هو القدرة على الكشف عن الحقيقة السرية ، العميقة  
المغلقة للأشياء والكائنات التي هي أبعد من ظاهراتها ؛ الحدس هو الملكة  
التي تساعدنا على التمييز بين الجوهرى الأصلي والثانوي الملحق •

- ٥ -

## الغايات التي يرمي إليها توازن الفكر - الشعور

يهدف اتزان العقل والمجبة ، الفكر والشعور الى تسويغ أو اجازة استخدامهما من قبل حقيقة أو وظيفة فائقة ، رفيعة المنزلة • ولئن كان الفكر منسقا بشكل أو بآخر ، انما يتطلب التنسيق والترابط عن طريق وظيفة أو حقيقة ينتفع بها لأنها تتجاوزه •

وعلى هذا الأساس ، يعتبر كريشنا مورتى الشعور ، تماما كما يعتبره يونغ ، في ارتباطه الوثيق الباطني العميق مع الفكر في سيورة الأنا • وفي زعمه أن تمايزاتهما الفوقية هي أصل كل الصراعات المولدة للتوترات النفسية • أما الحل الوحيد للاختلالات الناتجة فيكمن في نظام داخلي يصدر عن معرفة معمقة للنفس • وهذه المعرفة تنفتح على امكانية تجاوز الذات والتسامي عليها •

يذكر يونغ في الصفحة ١٩ من كتابه « الانسان يكتشف روحه » هذه الضرورة ذاتها • ويكتب بهذا الصدد : « يتوجب علينا أن نوجه عليلنا الى هذا الحقل أو المنطقة حيث تحدث هذه الولادة المبدعة الخالقة التي « تمازق البحر » ، وتعدد ، بمعناها الحقيقي العميق ، علة الانفكاكات أو الانفصامات التي تظهر على السطح » •

ويمترف كريشنا مورتى أن الحرية الحققة هي تلك التي تنطلق من هذا الاكتشاف للموجود الحقيقي والواقعي • لكن الدراسة المعمقة لهاتين الفكرتين تكشف لنا ، مرة ثانية ، عن أن التشابهات بينهما ظاهرية أكثر منها حقيقية أو واقعية • ويمكننا القول ، ان هذه التشابهات موجودة في بداية المجرى الذي يقودنا الى أعماق الداخل أو الباطن • وعلى مدى

- ٣٩ -

الطريق يحدث تشعب وتفرع هام من جهة امكانيات المصير الانساني ،  
وصيانة الذات ، والتحول النفسي والروحي .

وبالفعل ، ترشد تجربة يونغ الكائن البشري باتجاه اكتشاف الصلة  
التي تربطه بالحقيقة – الواحدة للأعماق . ولا نبالغ اذا قلنا أن هذه  
التجربة تقوم في جوهر غالبية التجارب الروحية . فالتجربة الروحية ،  
بالنسبة ليونغ وغالبية الأديان ، هي تجربة مشاركة أو وحدة شعور في  
غضونها تظل ثنائية الفكر – المتأمل أو الذات المفكرة والحقيقة الكونية  
الكلية سليمة ، كاملة في عمقها وجوهرها على الرغم من التغيرات والتوافقات  
الظاهرة « على السطح » .

لكن كريشنا مورتى لا يأخذ بهذا المبدأ . فهو يرى أن ثنائية الذات  
المفكرة والحقيقة الكلية تزول وتختفي . وهكذا ، لا تكون هذه التجربة  
مجرد مشاركة بالمعنى الحرفي للكلمة ، تبقى الكيان الذي يختبرها سليماً  
ومفتحاً . فهي ، على غير ذلك ، تتضمن في تصعيد خالص وبسيط للكيان  
على المستوى النفسي بحيث لا يبقى مكان إلا للحقيقي الجوهرى ، ويؤدي  
بالنتيجة الى التكامل . وفي أثناء هذا التطور أو السيرورة تشغل الحقيقة  
مكان الأولوية ، وهو المكان الذي يخصها في النظام الطبيعي الكامل للكائنات  
والأشياء .

★ ★ ★

يتضح لنا التوازن بين الفكر والشعور في مثال بسيط غاية البساطة ،  
يقيم الدليل على وجود حقيقة روحية سامية مفارقة تضمهما وتشملهما  
وتهيمن عليهما في الوقت الذي لا تكون رهينة السمات النوعية والعينية  
للفكر والشعور ، وطليقة من الذكاء والفطنة والحب كما ندركها ونفهمها .

وفي هذه الموازنة ، التي لا ترتبط إلا بنا ، تقارن الحقيقة السامية –  
التي يعيئها كريشنا مورتى بحصافة واحتراس بالفاظ مثل اللامعلوم أو  
اللازمي ، أو اللا نهاية ، أو مالا يقاس ، أو الغيرة – بالنور الأبيض .  
وليس هذا « النور » إلا ما كان عليه قبل تحليل الموشور له في الطيف المضيء  
الى ألوانه السبعة الأساسية .

وعلى هذا الأساس ، يمكننا اعتبار الكائن الانساني محولا لطاقات  
تتحلل فيه ومن خلاله الحقيقة – الواحدة بحيث تبوح أو تكشف بعضاً من  
مكونات قواها الجوهرية . أما مكونات النور الأبيض فهي الأحمر ،  
البرتقالي ، الأصفر ، الأخضر ، الأزرق الخ .

تكون هذه المكونات ، وهي في الحقيقة – الواحدة ، مجرد كيفيات وخصائص نفسية ، مثل الذكاء ، الوعي ، المحبة الخ . فإذا كانت الألوان مثل الأزرق ، الأخضر ، الأحمر ، والأصفر الخ لا تتوضح أو تبان وتتفرق الا بتدخل أو وساطة الموشور ، فان الحقيقة الجوهرية ذاتها ليست هي الذكاء والوعي والمحبة والشعور والفكر كما تظهر أو تتجلى على هيئة التجزئة أو الانقسام الذي نألفه .

وفي اعتبارات كثيرة يُعد الضوء الأبيض تأليفاً أو تحققاً للوانات – ألق الألوان – خاصة معتقة أو محررة من ألوانها النوعية أو العينية المحددة . ويظل هذا الضوء المبدأ الخالص للتألق والاشراق . وقس على ذلك ، تكون الحقيقة الجوهرية – التي لا نحملها وحدنا في ذاتنا ، بل تعد الحقيقة الوحيدة للكائنات والأشياء – امتلاء وكمالاً ، غير منقسمة ، متجانسة ، وخاصة من الصفات النفسية النوعية أو العينية ، كالحب والذكاء ، التي تظهر لنا على هيئة تقسيم أو فصل مألوف لدينا . وإذا ما تعقبنا مقارنتنا هذه الى عمقها ، لمسنا الفائدة أو النفع من عرض أو شرح ما يتبع .

وفي هذا الصدد نتساءل : ماذا يحصل لو افترضنا أن الأشعة المضيئة التي تولد طيف الألوان الأساسية عكست مساراتها ؟ انها تبلغ ، بادئ الأمر ، سطح الموشور . ولو تخيلنا امكانية اختراقها الى داخل أو باطن الموشور ، عابرة على الدوام مسار الضوء الأبيض الأولي بشكل معكوس ، لوجدنا أنها تخرج من باطن الموشور وتنبعث من الجانب الآخر ، عند مستوى تلاقي الأشعة الأولية للضوء الأبيض في كمال التألق أو الاشراق غير المنقسم .

وإذا كنا نتوخى كمال الوضوح ، قلنا بأنه يتوجب علينا ، وقد بلغنا هذا الموضع ، أن نقوم بإضافة مفارقة أو ظاهرة التناقض . وان كان حقاً أن ما يستحضر يقبل التحقق ، فلا بد وأن يكمن اعتبار الحقيقة في أنها توجب ذاتها بذاتها في خاصية أسبقيتها وأولويتها بسيادة أو سلطان لا « نكون » هنالك ، منذ هذه اللحظة ، على المستوى النفسي . ولقد ذكر كريشنا مورتى هذا الأمر كثيراً ، في كتاباته ، وصرّح بجلاء في حديث له عن واحد من تأملاته بما يلي : « أنت الكل . أنت النور وجمال المحبة » . أما عبارة « أنت جزء من الكل » ، فهي عبارة خاطئة . فالكلمة « أنت » لا تلائم المعنى وذلك لأن الحقيقة تشير الى ان كلمة « أنت » وشبه عبارة « لست هناك » و « لست موجوداً » . . . أمر يدعو الى الفصل بين كلمتي

« أنت » و « أنا » • والواقع ان الانقسام أو الفصل غير موجود في هذا السكون وهذا الصمت الغريب (١٩) » •

يلح كريشنا مورتى على لا وجود أي انقسام أو فصل ، أو تجزؤ على مستوى الحقيقة الجوهرية • ويتحاشى التحدث في الفكر والشعور بوصفهما وظيفتين منفصلتين •

★ ★ ★

هنالك ايضاحات أو تفسيرات تفرض ذاتها علينا منذ اللحظة التي نستخدم كلمات مثل « الذكاء » أو « الوعي » أو « الحقيقة الفائقة » • ولقد تمسكنا في استعدادات أو تكرارات شتى بواقع هو أن كريشنا مورتى يستعمل على نحو نادر هذه التعبيرات وغيرها فيحترز من استخدام كلمة « الله » •

وكما ذكرنا في أكثر من مكان والحننا عن قصد أن الفكر في نظر كريشنا مورتى ليس هو الوعي أو الذكاء • فهو يذكر أن الفكر غير قادر على معرفة الحقيقة • ويصرح في هذا السياق : « أيها الانسان ، ماذا يمكنك أن تعرف ؟ انك لا تستطيع أن تعرف الا ما كان ماضياً ، وما كان سكونياً ، وما كان ميتاً • انك تعجز عن ادراك الحقيقة التي تستمر في خلقها وابداعها وحياتها (٢٠) » •

ومن هذا يتضح أن الذكاء - الوعي - الذي يتحدث عنه كريشنا مورتى يتجاوز كل الشروح والتفسيرات والتعليقات القائمة في القسم الأعظم من الفلسفات التقليدية • لذا ، لا يمكننا تعريف الذكاء كما نعرفه في موضع آخر لأنه حقيقة متعددة الأبعاد تتجاوز ما نعرضه في مقولاتنا عن التمالي والمحايثة وتشتمل عليهما • ويرفض كريشنا مورتى التحدث عنه • ولكنه يصرح بما يريد قوله عن هذا الموضوع :

« انك لا تدرك الوعي الا من خلال محتواه ؛ ومحتوى الوعي هو ما يحدث في هذا العالم الذي تشكل قسماً من قسّميه • وان كنت تفرغ نفسك من هذا كله ، فلا يعني أنك تحيا دون وعي • وان كان الأمر كذلك ، فانما يعني أنك تحيا في بُعد يختلف تماماً • وان كنت تعجز عن انشاء فرضية عن موضوع بهذا البُعد ، فيتوجب عليك أن تترك هذا الأمر للعلماء والحكماء والفلاسفة • وما يمكنك أن تفعله هو أن تعرف امكان عدم تحديد الروح أو عدم اشراطها ، وذلك لتتسم بالصفاء والوضوح واليقظة (٢١) » •



وما نحن نتساءل : كيف يمكننا أن لا نحدد الروح أو لا نشرطها ؟  
وفي هذا السؤال يكمن على نحو جزئي ما يدعو كريشنا مورتى « سؤال  
مستحيل ومتعذر » لواقع أن الفكر الذي يجرب إدارة هذا الاشراف ليس  
هو في هذا الوضع الفعلي لانتظام العمل وتسييره الا اشرافاً وعنصر  
تحديد واشراط .

وفي ضوء هذه المعطيات نلتزم بتطبيق الانتباه واليقظة لدى دراسة  
طبيعة الفكر ذاته . ولما كان كريشنا مورتى ويونغ يجذبان انتباهنا الى  
أهمية الذاكرة في السيرة العقلية ، في الشعور والاشعور ، فانهما يختلفان  
في النتائج التي يخرجان بها .

ويتجاوز كريشنا مورتى يونغ في اصراره على الصفة الاشرافية  
للذاكرة ، ويستعيد دائماً الضرورة الملحة لانعتاق ما يدعو « المعلوم  
المدرک » . ويعتبر أن الصلابة أو الشدة الظاهرية النفسية للأنا تنتج من  
العبء الضخم الذي خلفته ذكريات الماضي . لذلك تكمن القضية الرئيسة  
للتحقق الداخلي في أن ننتهي لتحقيق تحول كامل لثرواتنا الروحية العائدة  
لحقيقة لا زمنية معتقة من صفات الاستمرار والبقاء كما نالفهما .

أما سيروورة التامل التي يقترحها كريشنا مورتى فتتضمن ، أول بأول ،  
توافق الشعور والاشعور ، وبالتالي ، تشتمل على تحرر من السلطان  
الكبير للذاكرات التي تشكل لوازم القاعدة والأساس . وتحتوي هذه  
الذاكرات بصمات أو آثار الماضي ، وطاقات الزمان ، ورغبات غامضة  
للتواصل والدوام ، والبقاء . وفي هذه الصورة نشاهد تعارضاً بين  
الحضور الأبدي اللازمي للحقيقة الروحية والصرح الضخم للماضي  
والزمان الذي يكون أو يؤلف الكائن البشري .

في هذا المجال نستعيد ، عن قصد ، الاصطلاح الذي ورد في كتاب  
« غنوص برنستون » الذي يصف الكائن البشري بأنه يمتلك ملايين الزمان  
والذاكرة . تلكم هي الأسباب التي من أجلها يؤثر الاشعور فينا أكثر مما  
نرفض الاقرار والتسليم بهذا الأمر .

ويشير يونغ الى أن الانسان المادي لا يمتلك ملكات أو مواهب ، بل  
ان هذه المواهب هي التي تمتلكه . وبوجه آخر نعبر ، تماماً كما عبّر  
برغسون ، بأننا لا نفعل بأنفسنا أولاً نؤثر فيها بقدر ما نتأثر بها وتؤثر

فينا • وهكذا ، فان الحرية الحقيقية تكمن في الواقع الذي لا نتصرف فيه وفق الفرائز والمحركات الارتكاسية المثابرة للاشعور الذي يحتجزنا في الشعور المحدود للذات ، واستمرارها الوهمي ، وتوتراتها النزاعية المتعارضة •

بناء على ما تقدم ، يتطلب هذا الموضوع جهداً كبيراً في سبيل تمهيد الأرض ورفع الأنقاض ، وفصل أو عزل تداعي صورنا وأحاسيسنا النفسية الدقيقة الحاذقة • وفي الواقع ، نتوقع أن « ننقض » أكثر مما نعمل ؛ هذا لأن الحقيقة لا تتركب أو تبني بذاتها بل ان بناءها أو تأليفها يتوقف علينا • وبالإضافة الى ما ذكرنا ، لا يمكننا اخضاعها بفعل الارادة ، وذلك لأنها تكشف عن باطنها وداخلها •

في المحادثات التي تمت في مدراس عام ١٩٤٧ صرح كريشنا مورتى برأيه في العبارة التالية : « انك لا تستطيع أن تختار الحقيقة ، لأن الحقيقة هي التي تختارك » •

ولا شك أن تفسير هذه العبارة في ضوء اختيار ينشأ عنه كائن رباني يعيّن مختاربه تفسير غير معقول • فلا جدوى من تفسير وجهة نظر كريشنا مورتى على هذا النحو النقيض • والواقع هو أن العبارة تتضمن معنى مختلفاً تماماً • فهي ، بالدرجة الأولى ، تشير الى أن كل ما نفعله يفسّر بمعنى أنه فعل الارادة ، بالمعنى التجميعي للتعبير، المنبثق من الكيان النفسي الذي نعتقد أننا نكونه • لذا ، يتوجب علينا أن نحقق حالات من الجاهزية والتهيؤ بحيث تستطيع الحقيقة أن تفعل فينا ، فتتم فينا • وبطريقة أخرى نقول ، لا نستطيع أن نفعل أو نؤثر في الحقيقة العميقة لكياننا وكل الأشياء • والحال أننا نمتلك القدرة على تحقيق وضوح ذاتي لسيرورة فكرنا الخاص الذي ينقذنا من وهم كوننا كياناً نفسياً متميزاً أو مغايراً • ويمد هذا الوهم العقبة الوحيدة التي تقف في وجه التهيؤ الداخلي • ومتى تبدد هذا الوهم ، أصبحت الفرصة متاحة للحقيقة لتفعل فينا •

والحق يقال ان كل محاولة تصدر من الذات أو من الكيان بقصد العمل أو الحصول من أي نوع كان ، تحتجزنا ، كما تبين وجهة النظر القديمة التي ألفناها ، في حلقة التواصل المغلقة التي نجد أنفسنا سجناء في داخلها • وذلك هو السبب الذي دعا كريشنا مورتى الى اقامة فرق بين التحول الراديكالي أو التبذل الجذري وبين ما يدعو « التواصل المعدّل والمتطور » •

وما دام سياق الاختيار ، وإرادة الفعل ، مهما كان ، بالمعنى التجمعي للكلمة قائماً وموجوداً ، فإن حالة الغموض والحيرة تتأبد أي تدوم . فالاختيار ينشئ ما يدعو كريشنا مورتى « التواصل المعدل » . وبفعل التغيرات المتتالية التي تنبثق من إرادته واختياراته ، يحافظ الكيان على سلامته وكماله في تواصله .

وتتصف الخبرات أو الحالات الناتجة من السيرورات المشروطة بالاختبار والذاكرات التي نجدها متضمنة بأنها حالات « ذاتية النزوع والتطلع » . وسوف تبقى الحالات سجيئة التواصل الظاهري للشعور ، وتوطد انطباع أو إحساس الانزلاق المتسق في ديمومة هذا الإحساس .

وفي معتقد كريشنا مورتى ، تتحقق اليقظة الداخلية لدى توقف أو انقطاع كل خبرة ذاتية النزوع والاسقاط . وفي رأيه أن هذه اليقظة لا تنتج من جهودنا الشخصية ومبادراتنا العقلية الخاصة . وأن مثل هذه الجهود والمبادرات لا تحدث إلا تغيرات سطحية تتحقق في الحيز المحدود للذات وتعمل على توطيدها . ويتجه قصد كريشنا مورتى إلى إطلاق تسمية « التواصل المطورة أو المعدلة » على هذه التغيرات السطحية . فلا جامع بين هذه التواصلات المعدلة والتحول الأساسي الناشئة من انعتاق اشراطات الذات التي تفعل فيها أو تؤثر فيها الحقيقة ذاتها .

تلكم هي الأسباب التي تدعو كريشنا مورتى إلى الإصرار على أهمية استنباط بواعث عميقة تشرف على أفعالنا وأفكارنا . وما دامت هذه البواعث تنبثق من الذات ، فانهما تكلبنا في الشبكة المعقدة للسببية والثنائية . وهكذا ، يشتمل التبدل الروحي على انعتاق بات نهائي من سلطانها على ، أو تأثيرها في ، حياتنا الداخلية .

- ٦ -

## دور الأحلام وفقاً ليونغ وكريشنا مورتى

تشكل دراسة فاعلية ومضمون الأحلام ، في نظر يونغ ، الأداة الرئيسة للعلاج في التحليل النفسي . فالأحلام ، بالنسبة له ، هي الطريقة الملائمة والطبيعية التي تسمح بالافضاء الى مضامين اللاشعور . يصرح يونغ : « ان استبعاد فرضية اللاشعور يجعل من الحلم كتلة أو ركماً من بقايا أو نطف متناثرة مبعثرة ، وفضالات أو حثالات الحياة اليومية » .

ويختلف منهج يونغ عن غيره من المناهج في أن يونغ لا يتأمل ظاهرات الحلم فيرى فيها نتائجاً أو حصيلة للنزاعات أو التعارضات الشخصية فحسب بل مشاركة في مضمون اللاشعور الجمعي .

ويعتبر يونغ أن مدارس علم النفس ، التي لا تتناول في بحثها سوى الشعور ، تعجز عن توضيح محتويات الحلم ووظيفته أي عمله . فالحلم ، وفق هذا المفهوم ، يتعلق بفاعلية خاصة ، مستقلة عن الإرادة وعن طموحات أو أمنيات الأنا . وفي هذه الحال ، يجرد الحلم من القصد ، دون أن نحرمه ، لهذا السبب ، من مدلولاته ومعانيه واختباراته المفيدة . وهكذا يعبر يونغ عن وجهة نظره في العبارة التالية : « لا نحلم ... بل « نهذي » » .

اذن ، فدراسة مبدأ التعويض الذي وضعه يونغ في نظريته عن النفسانية الفعالة أي الطاقة يلقي ضوءاً على سيرورة ومعنى أو مدلول الأحلام . وفي رأيه ، تتألف الفاعلية الشعورية للأنا من عدد هام من التوترات النفسية بحيث ان اتساعها مجهول على نحو عام : توترات سببها تارجح أفكار بلغت حد الفوضى والاختلال أو ولّت وجهها شطر وجهات متناقضة ، واضطراب الأحاسيس والانفعالات ، والأهواء ،

والرغبات ، وأنواع التوق أو الحنين الخفية ، والمطامح أو الأطماع التي لم تُشبع ، والحماية الذاتية المرتبطة بالفرائض العدوانية العديدة ، الجسدية منها والنفسية ، الناتجة عن فقدان التوازن الاجتماعي ، السياسي ، الاقتصادي ، والحروب والعنف المتزايد ، والمخاوف بأنواعها ، والتلوث الخ . ومجمل القول أن اختلال الأمن وفقدان الطمأنينة يكمن في كل الحقول والمجالات .

ولا يتوانى كريشنا مورتى عن طرح أو ذكر مفهوم أو فكرة التوتر النفسي الدائمة اللازمة للفاعلية العقلية . فالفكر ، في معظمه ، تعبير عن غريزة حفظ وصيانة « الأنسا » ، ورغبته في « الحدوث والسيرورة » ، وتطلعه الى « التملك » والتسلط . ولا شك أن الغالبية العظمى من بني البشر تقرن فعل « تملك » بزيادة التملك والسعي الى الشهرة . ونتيجة لهذا تتشكل شبكة أو ضفيرة من التوترات المتضمنة في جهد يهدف الى التملك ، زيادة التملك ، وحب الظهور .

لكن كريشنا مورتى ، بالاضافة الى يونغ ، يقترح علينا أن نقرن أو نصل فعل « الكون » بملحقاته . أما الطريقة المطروحة التي يتبصران بها هذا الفعل فتختلف اختلافاً ضئيلاً . وبدون تصريف فعل « الكون » يظل المناخ النفسي للكائن البشري خاضعاً لارباك وارهاق التوترات المتناقضة . أما تصريف فعلي « تملك » أو « آل الى » فانه يحدث موقفاً أو وضعاً داخلياً نسقطه من شعور أو لا شعور باتجاه المستقبل في سبيل تحقيق ما نتمنى أن نصيره أو نتملكه في المستقبل .

والحق يقال أن ما ذكرناه بالاضافة الى تجزؤ النفسانية الى اتجاهات أو ميول متنوعة متناقضة ، يتضمن كل أنواع « المآل » و « التملك » التي تتعارض في غالبيتها . وموجز القول هو أن حياة النفسانية الشعورية واللاشعورية تستوجب حشداً من التوترات المتناقضة المشوشة التي لاتعرف الترتيب والنظام .

ولا شك أن التوترات الأكثر جلاء تتموضع على مستوى المحيط الخارجي الشعوري ، الأمر الذي يجعلها غالباً على خلاف أو تنافر مع العمق اللاشعوري . ففي الرقاد يظل القسم الأكبر من النشاط أو الفاعلية العقلية الشعورية معلقة . ويشير غياب التوترات التي تتضمنها الى تسهيل أو تهيئة ظهور الفاعليات التعويضية للاشعور . والواقع هو أن طبقات اللاشعور العميقة تستطيع التمدد الى السطح دائماً في حالات الانبساط

والاطمئنان • وتدل الكشوف الهامة التي أجراها العلماء في هذا المجال أن النتائج التي توصلوا إليها في بحوثهم لا تتحقق في فترات التوترات الكبرى بل في مراحل أو حالات الهدوء والاستقرار والانفراج • وفي النوم الهادئ المستقر يرسل اللاشعور رسائل أو تبليغات تعويضية أو تصحيحية بشأن التجاوزات والافراطات والارهاقات أو أخطاء الشعور • وتتجلى هذه التبليغات في هيئة رموز ، صور ، وأشخاص متنوعين وحيوانات •

يعتبر يونغ والعديد من علماء التحليل النفسي أن غالبية الأشخاص الغرباء الذين يظهرون في أحلامنا ليسوا في حقيقتهم ، إلا تجليات للمعالم المتنوعة المجزأة لذواتنا التي نتجاهل وجودها أو نففلها • ويستحيل علينا ، في دراسة وجيزة من هذا النوع ، أن نفسر بالتفصيل الأحلام ضمن الاطار الذي قدمته وجهة نظر يونغ • ولذا ، نرشد القارئ الذي يهتم بهذا الموضوع للعودة الى مراجع البحث المذكورة في نهاية هذا الكتاب •

نعود الآن الى كريشنا مورتى لنتبين كيف يتصور دور الشعور واللاشعور بشكل مماثل ، بما فيه الكفاية ، لتصور يونغ • يصرح كريشنا مورتى :

« ينشغل الشعور الواعي على نحو نشيط فاعل طيلة اليوم بأمور كثيرة تبدى في كسب المال ، أو روتين العمل ، أو مشاغل تقنية الخ •

« وعندما نستسلم للنوم ، ماذا يحدث لنا ؟ تكون الروح السطحية هادئة نسبياً ؛ لكننا لا ننسى أن الشعور لا يشتمل ببساطة على رقاد سطحي • فالنوم يتمثل في أنواع عديدة من طبقات الرقاد • ويتمتع كل نوع من أنواع الرقاد بوعيه الخاص المستقل • ومتى هدأت طبقة الرقاد السطحي ، أسقطت الطبقات الأخرى ذاتها على هذه الطبقة وظهرت فيها ؛ وعندئذ نقول بأننا نعلم •

« هنالك ، بحكم الطبيعة ، أحلام سطحية وأحلام أخرى تتميز بالمعنى والادراك • وتنشأ الأحلام السطحية من ردود أفعال الجسد أو انعكاساته اللاارادية كعسر الهضم أو التخمة على سبيل المثال • أما الأحلام الأخرى فهي رسائل أو تبليغات قادمة من طبقات الشعور الأكثر عمقا •

« نتساءل الآن : هل نستطيع أن نفهم المحتوى الكلي للشعور ، فنحرره ، بحيث أن هذا المحتوى يستغني عن أسقاط ذاته والظهور على الطبقة السطحية أثناء النوم ؟

« ونتساءل من جديد بأسلوب آخر : هل يمكننا أن نمتلك الوضوح والصفاء ، الوضوح الكلي لكل اختيار بحيث تبلّغ طبقات الشعور رسائلها طيلة الوقت ويصبح الشعور الباطني كلاً لا ينقسم ؟ » \*

يتميز كريشنا مورتى ، من خلال هذا السؤال المطروح والاجابة المعطاة ، عن يونغ وعن غالبية علماء النفس والتحليل النفسي \* وبالفعل ، يعترض أولئك العلماء في غالبيتهم على امكانية قيام توفيق أو توافق شبيه يؤدي الى توقف أو انقطاع الأحلام \*

ويذكرني بعضهم بامكانية حصول اختلالات خطيرة وجسيمة في حال اختصاص أو انفراد الكائن البشري بالفاعلية التعويضية للشعور المتبدية بشكل الأحلام \* وان مثل هذا الاثبات أو التوكيد لا يتجرد في أساسه من الحقيقة في حال يتمثل فيها استمرار أو اصرار على توترات متناقضة نستحضرها \* ولكن كريشنا مورتى لا يتورع عن تذكيرنا بضرورة استبعاد أو الغاء هذه التوترات \* فهو يصرح بوضوح :

« يستطيع الشعور الواعي ، في حال هدوئه ، أن يستسلم أو يكرس ذاته الى مشاغل سطحية خارجية دون أن يتعرض هدوؤه الى أي ارتباك أو قلق \* وفي هذه الحال تتراعى لنا المعادلة التالية : كلما زاد شعورنا ، كان دور ملاحظتنا أكثر سلباً وانفعالا ، وحيوية ، وتجرداً من الاختبار ، وعلت وارتقت مضامين اللاشعور الى السطح \* وعندئذ ، لا نجد أنفسنا في وضع يسمح لنا بتفسيرها أو تأويلها ، لأنها تُدرك منذ اللحظة التي تنبثق فيها \* واذا ما اخترنا هذه التجربة ، تحققنا من وجود حرية خارقة ، وذلك لأننا نحقق الكيان الكلي » \*

« في هذه الحال ، يصبح الشعور المتجزئ تكاملياً ، متجاوزاً للتقسيم والتفكك \* وتنتهي ، حينذاك ، الصراعات في الشعور فتتحول الى محبة ، وبالتالي يصبح الشعور كاملاً وكلاً \* وعند هذا الحد تتوقف الحاجة الى الأحلام(٢٣) » \*

هذا هو السبب الذي يدعو كريشنا مورتى الى تقديم الاقتراح التالي : اقحام النظام والتنسيق في الاضطراب والاختلال \* ففي منظوره ، يحصل الحلم نتيجة لسياق عقلي ولكل موقف حياتي نشأ من أفعال ناقصة ، الأمر الذي يسمح للأفكار بالمشول الدائم في حقل روحنا \* ونضيف قائلين ان هذه الأفكار لا تكون مطابقة أو مكافئة الا في نور الظروف الحالية ،

وبالتالي تكمل أو تنجز جولتها • ولا تكاد فكرة تمثل في حقل روحنا حتى تعقبها فكرة أخرى تلقي بالفكرة السابقة في لجة النسيان • وما يحدث هو أن هذه الأفكار اللامكتملة ، وهذه الرغبات الناقصة تعمل على تضخيم اللاشعور وتدعم شبكة توتراته • ولا غرو أنها تدوّن بكاملها وتشكل حزمًا من الميول والنزعات التي تستدعي التعويض في المستقبل ، وتتطلب التكامليات وأنواع التوق الى الماضي أو الى أوضاع يتعذر استردادها • وعلى هذا الأساس تنشأ النسبة الكبرى من أحلامنا •

ويصر كريشنا مورتي على أن مثل هذا السياق الفكري يحتجز ويكبل الكائن البشري في تواصل الشعور • وبشكل عام ، يتصف هذا الوضع بالاكراه على نحو أكثر مما نفترض • وبالمقابل ، نجد في الفعل المنسجم المتسق وفي نظام وتنسيق الفكر الذي يدعونا كريشنا مورتي الى تحقيقهما الفكرة وهي تتم جولتها وتنجز شوطها • وهكذا تكون فعلاً تاماً لا يخلف وراءه راسباً أو بقية ، وتوتراً يتطلب تعويضات أو انجازات واكتمالات في المستقبل •

تلكم هي الأسباب التي تحول دون ضرورة التعويضات ودون تبرير علة وجود الأحلام ، في حال تحقيق مثل هذا الانسجام ومثل هذا الانفراج والانبساط والاطمئنان •

وفي النهاية ، يجدر بنا أن نشير الى أن بدء هذا الفعل العقلي يعني تكشف وتوسيع الغلاء الفاصل القائم بشكل عادي بين الأفكار • وعندئذ يتخلص الكائن البشري من ملزمة أو مقشقة التواصل الظاهري للشعور الأناني الذي يكبله ويحتجزه •

وسوف ندقق في هذا المعلم الهام لقضيتنا ونتقصى دقائقه في فصل آخر •



- ٧ -

## تجاوز المعضلات

أحياناً يتعرض القراء والمستمعون الغربيون الذين يقرؤون له أو يقصدونه لسماع أحاديثه أو حضور مداوالاته الى شيء من الحيرة والسخط والاثارة وخيبة الأمل . ويوجه العديد منهم النقد اليه لأنه يبدو وكأنه لا يجيب أبداً بشكل مباشر على الأسئلة التي يطرحونها . أما الانطباع السائد بينهم فهو أن كريشنا مورتى يدور حول المعضلات دون أن يضع حلاً لها .

وإذا ما تفحصنا أسلوب الاجابة الذي يعتمد عليه كريشنا مورتى في رده على سؤال مُجمل ألقي عليه يتعلق بمعضلة خاصة ، ولنفترض أنها ، على سبيل المثال ، الحرب ، أدركنا أن كريشنا مورتى ، في حالات معينة أكيدة ، يدعو الى ضرورة تأليف حكومة عالمية ، ويحث على إلغاء القوميات المتطرفة ، وتأسيس اقتصاد يأخذ بمبدأ التوزيع العادل للثروة الخ .

ومع ذلك يقدم كريشنا مورتى حلولاً مباشرة لأسئلة تتصل بقضية الحرب مثلاً ، وبخاصة ان كان الجواب أو الحل يصيب حالات خاصة من هذه القضية .

وعوضاً عن ذلك ، يدفعنا كريشنا مورتى على نحو غير مباشر الى اشتقاق الأسباب الأولية والأصلية التي تبرز أو تتدفق من المعضلات الكلية للصراع والعنف والأنانية . ويقودنا الى حقل يكشف لنا فيه عما يكنه الكائن البشري من حقيقة ، من الناحية النفسية ، في وضع تسود فيه الحرب وسيطر النزاع والصراع . ويبلغ في حديثه حداً يجذب فيه انتباهنا الى ما أصاب الكائن البشري من تجزئة وتفكك من جراء العوامل أو العناصر المتنوعة المتناقضة التي تتصف بطبيعة نزاعية وصراعية .

- ٥١ -

ولكن كريشنا مورتى لا يآلو جهداً أن يقترح على شخص طرح عليه سؤالاً يتصل بمعضلة أو قضية خاصة أن يتبصر البواعث والأسباب التي تقف وراء اعلان مثل هذا السؤال • وفي هذا الوضع ، لا يتسم جوابه على السؤال الوجيز المتصل بالمجال الخاص المثار بأسلوب مباشر ؛ والواقع هو أن كريشنا مورتى يعرض نفسه للغدر بالحقيقة في حال عرض جواب مباشر موجز تمناه السائل ، ذلك أنه لا يوفق في هذا الجواب الى حل أساسي للمعضلة أو القضية • وهكذا يعتقد أن الجواب لا يقدم الا حلاً مؤقتاً عابراً لأعراض وقتية ، وتظل العلة الرئيسة خفية عن العقل والبصر •

وإذا شئنا الوضوح قلنا أن كريشنا مورتى يسعى الى أن يجعلنا نقف وجهاً الى وجه مع « مختلقي المعضلات » الذين نحتويهم في ذواتنا • نذكر منهم : الفكر ، الأنانية ، انعدام معرفة النفس ، الفوضى والاختلال ، التجزؤ على مستوى العناصر أو العوامل المتنوعة أو الاتجاهات والميول المتناقضة • ويشير هذا الفكر الى أن المعضلات تهدأ وتتوقف في اللحظة التي نخلص فكرنا من عيوب ونقائص فعله ومن القيم الزائفة التي ينشئها ويحدثها ، وفي اللحظة التي لم نعد مجزئين الى تنف وأقسام واتجاهات وميول متناقضة • ومتى حانت هذه اللحظة أصبحنا متحررين من العنف ، والغطرسة ، والحسد والغيرة ، والصراعات والنزاعات بأنواعها كلها • وعندئذ ، تجد هذه المعضلات طريق الحل ليس في صلاتها الخاصة مع الأنا بل ، بالأحرى ، لأن الأنا التي تحدثها تنحل على الصعيد النفسي •

أما يونغ ، فيستخدم لغة شبيهة ، ويعبر عن رأيه في العبارة التالية : « ان المعضلات الكبرى الهامة ، في واقعها ، مسائل يتعذر حلها ؛ ولا بد أن تكون كذلك لأنها تبين أو تحدد القطبية — حالة جسم يتكشف عن قطبين متناقضين — الضرورية ، المائلة والمتأصلة في كل نسق أو نظام ذاتي التنظيم أو الانتظام • ولذا يتعذر علينا حلها ، انما نستطيع تجاوزها • ومع ذلك ، فان امكانية تجاوز المعضلات الشخصية الخاصة بالفرد تتوافق مع صعود في مستوى الشعور • وعندئذ يظهر في الأفق نفع أو خير رفيع رحب ، ذلك لأن المعضلة التي يتعذر حلها فقدت الحاحيتها • والواقع أن حلها لم يكن في ذاته منطقياً ، بل ان ما حدث هو أنها خبت ازاء اتجاه سلكته حياة جديدة أعظم اقتداراً من سابقتها • اذن ، فالمعضلة لم تُرد أو تُكبت كما ولم يُدفع بها الى اللاشعور ، بل ظهرت في نور آخر ، الأمر الذي جعلها تصبح مسألة أخرى (٢٤) » •

وفي رأي ج • فان در ليو ، تعد قضايانا ومعضلاتنا كلها ، في أساسها ، معضلات وهمية كاذبة • ولا يتسنى لها الزوال أو الاضمحلال الا في الولوج الى محراب من القيم نتحرر فيه من تحقيق كلي أو تطابق كلي مع ذاتنا (٢٥) •

عندما نبلغ مستوى التحرر أو الانعتاق من توحيد أنفسنا مع الذات ، يتحقق فينا انقلاب كامل لقيمنا المألوفة والاعتيادية • وفي هذه الحال ، لا تكابد معضلاتنا الشخصية من تحول فحسب ، بل تتجلى اغلبية معضلات الحياة الكبرى ، وكذلك قضايا المتافيزياء التقليدية والفلسفة الكبرى ، في لا معقوليتها وسخفها • وتتكشف المعضلات التقليدية المرتبطة بالخلق والابداع ، وهدف أو غاية الكون ، والبدء ، عن أنها محصلة لمذهب التشبيه أو التشخيص – خلع الصفات البشرية على الله – الذي تم تجاوزه •

وفي الوقت الذي نقف على عتبة الألف الثالثة نشاهد الانطلاق المذهل للعلوم عامة ، وعلم الفلك والفيزياء الفلكية خاصة ، والتقدم الذي أحرزه اكتشاف الفضاء ، ونعلم أن هذه العلوم توضح الخاصية المضحكة والسخيفة التي يتميز بها مذهب المركزية البشرية – التي تزعم أن الانسان هو حقيقة الكون المركزية •

ولقد أبان كبار مفكري وحكماء العالم ، والهند بشكل خاص ، ضعف وسرعة عطب أو هشاشة الحلول التي يسهم بها الانسان ، وهو سجين تعريف نفسه بذاته أو توحيد ذاته بنفسه ، في كل المعضلات التي تظهر له أو تخطر له •

يقترح الحكيم الهندي ، شري بهاغفان ماهارشي ، على جمهور مستمعيه أن يدققوا بيقظة واهتمام أن « من » فيهم هو في أصله وأساسه قضايا مطروحة • « من » هو هذا الأنا ؟ وهذا الجسم ، وهذه الأفكار ، وهذه الانفعالات والأحاسيس ، وهذه الصورة الثابتة التي يمتلكها الانسان عن نفسه أو يشكلها لها ، وهذا الشعور أو الوعي الذي يبدو بظاهره منفرداً أو مستقلاً • • • هل هي كلها مجموع أو كل حقيقي ؟ ألا يوجد فيما وراءه أو في داخل هذا كله حقيقة صحيحة ، بل أكثر صحة ، يتكشف لنا من خلالها أن غالبية معضلاتنا هي ، في أساسها ، معضلات زائفة وهمية (٢٦) ؟

- ٨ -

## التحقيق يتم في كياننا - كما نحن

يتضمن البحث الروحي ، والتأمل ، والتحويلات المختلفة للحياة الباطنية ، والانتقال التدريجي لمضامين اللاشعور العميق في الشعور في ثبات العالم ويتنافى مع الهروب منه • ولا تقتضي هذه الأمور تبني أو اختيار وضع من الانطواء والانكماش في مجال الفاعليات • أما ما تستوجبه حقاً فهي النقيض •

يشده يونغ في طلبه على أن نكون يقظين وحذرين ازاء اندفاعات أو اغراءات وتحريضات اللاشعور المختلفة دون أن نوحدها هويتنا معها أو نتطابق معها • ولا يتورع كريشنا مورتى عن التشديد على الطلب ذاته • وهكذا ندرك هذه المجموعة كلها دون أن نبدي رأينا فيها ، دون تفسيرها أو تأويلها ، ودون تصنيفها في مقولاتنا أو في النطاقات الاعتيادية المألوفة لمراجعتها • وفي هذا الصدد يصرح يونغ :

« يتوجب علينا أن لا نمائل أنفسنا مع اندفاعات اللاشعور أو نهرب منها ؛ ولا شك أن التماثل مع هذه الاندفاعات يطلق عنان غرائزها ، والفرار منها يعني كبنتها • وأن ما نطلبه في هذا الموضوع يختلف اختلافاً كبيراً : اننا مدعوون الى ارجاع هذه الاندفاعات الى الوعي ، والتعرف على أو التحقق من حقيقتها لكي تصبح غير ضارة ومسألة •

ويضيف يونغ :

« ان الهروب من اللاشعور يجعل الغاية المتوخاة من الاجراء وهماً • لذا يتوجب علينا أن نقاوم مثل هذا الأمر ونختبر ونتحقق ، في تغيراته المفاجئة ، السيورة التي تشعلها أو تمهد لها المراقبة الذاتية لكي توثقه من جديد بالشعور على أفضل وجه ممكن » •

- ٥٤ -

ولا تتطلب هذه القضية تعديل نطاقنا الخارجي الذي يتواصل في باطنه الوجود المادي • ويفضل أن لا يطرأ تعديل على المهنة ، والمسؤوليات الأسرية ، والرياضة ، والتدريبات والممارسات التي نقوم بها • ويوضح كريشنا مورتى رأيه في لغة شبيهة ، اذ يقول :

« تتخيل غالبية الناس أن الحقيقة محجوبة ، وأنها تقع خارج الوجود اليومي ، وخارج نطاق الروح الانسانية العادية ، كما وتظن أنها منيعة على الانسان الذي لا تكون أفكاره ومشاعره رائعة » •

« يُعتقد أن بلوغ الحقيقة يتطلب الانسحاب من العالم ، الاعتماد عن الناس ، واكتساب أو تملك صفات خاصة ، ومعارف ، ومعرفة أو اختبار آلام وأفراح معينة » •

« وعلى غير ذلك ، أؤكد أن فهمك للحقيقة يتم في اللحظة التي تفهم الحياة كما تتجلى أو تنبسط أمامك » • « فالجهد ينصب على ما أنت عليه وحيث تكون ، على ذاتك ، في وسط الفوضى وأنواع الارتباك والغموض ، والأفكار التي تتناقض تناقضاً كبيراً (٢٧) » •

وفي شكل عام ، نرفض القبول ببساطة تلك الأوضاع والحالات والظروف التي تحيطنا أو نجد أنفسنا في وسطها ، فنشكو منها ومن الوسط • وتتشكل لدينا نزعة تتجه الى اتهامها والقاء مسؤولية مشاكلنا ومعضلاتها ، وآلامنا وتعاستنا عليها • والواقع هو أننا نتحمل مسؤوليتها لأن النسبة الكبرى منها متصلة في ذواتنا •

وكثيراً ما يخطر الهرب على بالنا ونفضل الفرار وذلك لأن تربيتنا كلها وبنية ذاتنا مشيدة على صرح من الخوف • اذن ، فالحل لا يكمن في الهروب •

وعوضاً عن هذا ، يوافقنا أن نعدل الظروف الخارجية التي يظهر في أحشائها نزاع أكثر مما يوافقنا تعديل ردود الأفعال والانعكاسات اللاإرادية التي يعاني منها قلبنا وروحنا • وأن تفضيل تحويل المحيط أو الوسط الذي نحيا فيه على تحويل كياناتنا العميق ضرب من تصلب الرأس لا ينتج فقط من توائيم وبطء الفهم أو من قصور ذاتي سطحي •

تقع كلية شعورنا ولا شعورنا تحت سلطان أو نفوذ شبكة كبيرة خطيرة

من ذاكرات تتجلى جزئياً في غريزة البقاء ، ورغبة التواصل ، واعتياد يجعلنا نحسها جوهرأ أو كيأنا ، وخوف أساسي من التبدل ، ومن كل طارئ ليس في الحسبان • والمقصود من الاستمرار ، من خلال معدل سرعة مكتسبة ، هو سيرورة عادات يقاس زمنها بزمن الكون ذاته • ذلكم هو التصرف الذي يززع الانسان العتيق المذكور في بعض الكتب المقدسة •

وعوضاً عن هروبنا الذي يتخذ صورة تغييرات خارجية ، ويلتصق أو ينتسب الى معتقدات أخرى ومناهج جديدة أو فاعليات أخرى ، يتوجب علينا أن نذكر ما نحن عليه بالفعل ونتأمل هذه كلها كما هي فينا ، في واقعية وفعلية الظروف • فما التبدلات الخارجية سوى تحويلات أو التهاات تلقي قناعاً على عيوننا فلا نعود نبصر المعضلات والمعاني المتضمنة فيها •

ويلتقي يونغ وكريشنا مورتي تماماً في وجهة النظر المذكورة •

يقول يونغ : يتوجب علينا معرفة أنفسنا ، كما هي بالفعل ، أو كما نحن عليه ، وكما هي في طبيعتها ، وليس كما نريدها أن تكون (٢٨) •

هنا تكمن الصعوبة الكبرى • فانطلاقاً من اللحظة التي نعي فيها حالة كيأنا ، أو حقيقة واتجأاً تبدو كلها مخادعة ، نتحاشى معايتها على السطح . وعندئذ ، نسقط أنفسنا فوراً في حالة مثالية تشكل المقابل لوضع أو اتجاهات نحكم عليها وندينها ونرغب في الهروب منها • ويجرنا هذا الى طواف لا نهاية له من الأزواج المتعارضة التي عوضاً عن أن تحررنا ، تسترقنا أكثر فأكثر • ويغرب عن بالنا أن ذاتنا وعقلنا – اللذين يصطنعان المعضلات – في العمق يتوطدان ويثبتان تحت التغيرات التي أجريت « على السطح » •

★ ★ ★

يشيد كريشنا مورتي بتحقيق معرفة كاملة للنفس تُنجز خلال علاقاتنا مع الكائنات والأشياء في نطاق الحياة اليومية • وفي نظره أن العلاقات البشرية تشكل عامل وحي ذاتي أو كشف ذاتي شرط أن نمارس موقفاً من الانتباه اليقظ بالنسبة الى الانعكاسات اللا ارادية ورود الأفعال التي تتكشف أو تبرز في قلبنا وروحنا منذ تشكل هذه العلاقات • ويتطلب هذا الموقف اليقظ تطويرات عديدة آتينا على شرحها بالتفصيل في موضع آخر ؛ ومع ذلك نعود الى ذكرها من جديد عن قصد •

نستخلص مما تقدم أننا نحتاج الى انتباه طليق من سلطان كل حكم تقويمي \* ومن حين الى حين ، يستعمل كريشنا مورتى صورة تساعدنا على فهم هذه البيئة \* فهي صورة جهاز تصويري يكون الايضاح فيه كاملا \* وعندما يقوم الجهاز بتصوير واجهة مخزن ، أو متجر عام تتعدد فيه الأشياء وتكثر ، فانه يشاهد كل شيء على نحو لا موضوعي ، ومع ذلك لا يتناول أي شيء \*

تلكم هي الصورة التي يقدمها لنا كريشنا مورتى لندرك كيف يكون موقف الانتباه اليقظ وفق مستوى آخر \* ففي رأيه أن هذا الموقف يتحرر من كل اختيار ، من كل حكم تقويمي \*

- ٩ -

## التباينات في وجهتي نظر يونغ وكريشنا مورتى

استطعنا أن نوضح ، فيما سبق من حديثنا ، بعض المعالم المتفرقة من كتابات يونغ وكريشنا مورتى ، وسمحنا لأنفسنا أن نستشف الاتجاهات المتماثلة والمتوازيات ونلمح الى تكاملية أكيدة • وبالبداية ، لا يتطلب مثل هذا التماثل والتكامل وحدة تفكيرهما •

ولئن كان هذان المفكران يتفقان في تعاليمهما ، لكن الآراء التي يطرحانها تحفل بالفروق والاختلافات بالاضافة الى تعارضات أساسية • فمن جانب ، يدعو يونغ ، تماماً كما تدعو غالبية علماء النفس والتحليل النفسي ، الانسان أن يبذل قصارى جهده ليحقق تكاملاً في شخصيته وذلك عن طريق تحدر مضامين اللاشعور في الشعور • ولكن الهدف الذي تشير اليه غالبية أولئك العلماء يتمثل في تحقيق التوازن في الذات والابقاء على خاصية جوهر أو كيان هذا التوازن في حالة سليمة كاملة •

أما كريشنا مورتى فيبدو بأنه يسعى ، مؤقتاً ، الى غاية مماثلة موازية ، يعبر عنها في وجهة نظر مختلفة متعارضة • وان كان يونغ يقر «يسلم بضرورة توجيه الانسان الى تلك المنطقة العميقة من نفسه حيث يقيم الشامل ، لكن ما يدعوه «الكيان» يبدو بأنه الذروة النهائية للتطور النفسي والروحي • لذا ، يعتبر يونغ أن كلّ تجاوز « للكيان » أو للطور الذي يعيّنهُ بوصفه « الشخص المتكامل » أمر يتمدر تحقيقه على نحو كلي •

يتأمل يونغ هذا التحقيق في مؤلف من مؤلفاته « الانسان يكتشف روحه » ويستخلص أنه أمر يتمدر بلوغه • ويصرح : « بمقدار ما تكون الشخصية تحقيقاً كاملاً لكلية كياننا تظل مثلاً يتمدر بلوغه • انما لا يغيب عن بالنا أن تمدر بلوغه لا يحول دون المواظبة على التحقيق » •



يتجلى الفرق بين وجهتي نظر يونغ وكريشنا مورتى واضحاً في هذه النقطة • فمن جهة ، لا يدعونا كريشنا مورتى الى تحقيق تكامل الشخص عن طريق هبوط كلي لمضامين اللاشعور في الشعور فحسب بل يعتقد أن هذا التناقض والانسجام مرحلة مؤقتة • وينفي كريشنا مورتى أن يكون ثمة تمييز أو تفريق أساسي جوهري بين ما يدعوه البعض « الأنا » الدنيا و « الأنا » العليا • ويعترف أن الذات تتألف من مجموع الاثنين • وهكذا تضم الذات الشعور واللاشعور ، كما تضم ما عيَّنه يونغ بأنه « الكيان » ، ولو كان بعض أنصار يونغ يعترضون على تفسير وجهة نظر يونغ بهذه الصورة • ويعتبر كريشنا مورتى أن الكلية الشعورية واللاشعورية للذات ليست هي ، في واقعها ، الا اشرافاً للماضي شكلته شبكة ضخمة من الذاكرات • ومن جهة ثانية ، يقوم تناقض بين ما تتوافق معه كلمة « الكيان » على الرغم من كل الخصوصية ، الفردانية والماهية النهائية الشاملة للكائنات والأشياء •

ولا غرابة أن يكون كارلو سواريز قد استرعى أنظارنا الى ما نحن بصدد بحثه الآن في مؤلفه الرئيس « الكوميديا النفسية » (٢٩) الذي علقنا عليه في مكان آخر (٣٠) •

وإذا ما تعمقنا في الوعي النسبي أو الخاص بالمعيار الانساني الفعلي الذي لم يدرك اليقظة الا في الطبقات السطحية من بنيته النفسية ، لوجدنا أن وعي نقيضه الداخلي غير موجود •

وفي اللحظة التي يتحقق شعور بوعي كل المستويات النفسية المتضمنة في بنية الشخص المتكامل ( الذات ) ، فإن حدوده وتناقضاته تتكشف عن أنها في ذاتها أعراض وهمية ، زائلة • فالتناقض الأساسي في القاعدة والمقياس ، الذي كان في القديم لا شعورياً ، يصبح بيناً جلياً ، فتسرب اليه التجزؤات الناتجة •

وفي تحقيق وحدة الشعور واللاشعور ، تدرك الذات ، بنفاذ نظر ، الاختلال والتعارض القائم بين سيروية وجودها الأساسية ، و « كونها » سجيئة الزمان ، وديمومتها من جهة ، والكائن اللازماني الذي يشكل جوهرها العميق • إذن ، فالذات محكومة بغريزة البقاء ، وظلماً الدوام ، وجوع الى التواصل والاستمرار • أما الجوهر الشامل الذي يعد الحقيقة الوحيدة فانه كامل في ذاته ، سرمدي ، لا زمني •

نكرر مرة أخرى أن الذات تصرف أفعال تملك ، وزاد تملكه ، وآل ، وظهر ، ويقرن بينها \* وبالمقابل يصرف جوهرها فعلاً واحداً هو «الكون». وحينما ينتهي تصرف أفعال التملك ، زيادة التملك ، والمآل ، يحدث تحول داخلي \* ومن خلال هذا التحول تتجلى وتتألق حقيقة يدق وضعها هي المحبة ، والنور ، واليقظة ، والذكاء والوعي \*

وكما يقول لويس لافيل ان الانسان مدعو الى « اجتياح واحتلال » الشعور واللاشعور بواسطة حضور وحيوية يتجاوزانهما نهائياً \*

والتأمل ، في رأي كريشنا مورتى ، مجرد حالة من الجلاء الكامن ، وتحرر من سلطان الذاكرات ونهم وجشع الذات \* وما نقصده في هذا الصدد هو سلبية أو انفعالية تعنى باضطرابات واهاجات الأنا \* وفي هذه الحال لا تبقى الأنا نافية سالبة ؛ وعلى غير ذلك ، تصبح ايجابية ؛ وعندئذ تفسح للحقيقة السامية المجال لتؤثر فينا ، وتقطن في أعماقنا \* ويمكننا القول أن انفعالية الذات تسوّغ فاعلية الوجود الحقيقي لكي يعبر عن ذاته فينا وذلك بفضل قابليتنا للتحول \*

قليل هو عدد الأشخاص الذين يعون بوضوح الأهمية التي يحتلها فيهم تصرف فعل « يملك » ، « يملك أكثر » ، « يصبح » ، « يمضي باتجاه » و « يظهر » \* والمقصود هو سيرورة تماثل ذاتي ، وأعني نزعة للتماثل ، والارتباط ، والرسوخ في الموضوعات التي نحتك بها وفي الأشخاص الذين نتصل بهم \*

وليس الشعور بوعي هذه السيرورة للتماثل الذاتي والنزعة التشاركية سوى قضية ضرورية للتحرر الانساني ، وذلك كما يتصوره كريشنا مورتى وغالبية المعلمين الذين يرشدوننا الى أكثر أشكال التقدم الروحي تجريداً \*

أما الجلاء ، من دون تمييز ، الذي يقترحه كريشنا مورتى ، فانه يتميز بمضاء وعي طبيعي في غضونه تثلاشى في الحال ، التخوم الظاهرية التي على صدره تدون أو تنقش الأنا أو الكيان تماماً كما لو أن دارة داخلية جعلتها تتبخّر أو تزول على نحو فجائي \*

ونتساءل الآن : ماذا يبقى في هذه اللحظة ؟ ماذا يحدث ؟

ويكون الجواب : لا يبقى من الكيان غير ركنه أو دعامة المادية ،

وهي الجسد ؛ بينما ، تتحقق ، على المستويات النفسية ، شفافية شاملة للعاطفة والفكر ، وصمت ، وصفاء وسكون ، تتيح المجال للحقيقة السامية أن تعبر بحرية طالما أن موانع وعقبات الذات غائبة •

تلكم هي الأسباب التي دعت حكماء أدفيتا فيداننا وعقيدة شان السى اعتبار الانسان المنعتق والمتحرر صدقة فارغة • ولو تساءلنا : فارغة من أي شيء ؟ لأجبنا بأن الأمر يتمثل في الكائن البشري « المتحرر » أو « اليقظ » ، الكائن « الفارغ » أو « الخالي » من كل انمكاس لا ارادي أو رد فعل شخصي ، من كل جشع ونهم أناني ، ومن كل تصريف لأفعال « تملك » ، « تملك أكثر » ، « أصبح » الخ • لكن مثل هذا الانعدام للفاعليات الاعتيادية للذات و « الانسان العتيق » تسمح بتهيئة أو قابلية ازاء غنى المحبة والجلء الواضح « للحضور الالهي » • ولا يؤدي هذا الى العطالة وانعدام الفعل • وهو ، على غير ذلك ، فعل صرف طليق من الانمكاسات اللاارادية أو ردود الأفعال الأنانية •

نذكر كل من تدهشه هذه اللغة بالعبارات التي تفوه بها المسيح أثناء موعظته على الجبل : « طوبى للمساكين في الروح لأنهم يرثون ملكوت السماء » • وبالتأكيد ، لا تندرج هذه البساطة تحت عنوان التفكك والتنافر وانعدام الذكاء • وعلى غير ذلك ، تجسد حالة أو وضعاً من الشفافية تعبر عن صفة سامية للذكاء والوعي طليق تماماً من الخاصية الميكانيكية المتكررة للذاكرات •

ولا ننكر أن ما نعلنه في هذا المجال يندش غالبية الغربيين والشرقيين الذين اعتبروا الفكر متحداً اتحاداً لا يقبل الانفصال عن الذكاء • فهم يعجزون عن تصور وضع للشعور المتجاوز المتسامي ونوعية للذكاء تتسامى على التفكير والاعتراف بهما • وفي الواقع ، لا يتم تحقيق الجلء الرفيع الا في حالة داخلية مجردة من كل فكرة ، من كل فكر واع أو غير واع •

وان مثل هذه الحالة تسمح لنا بقياس البعد الذي لا يفصل الغربيين بعضهم عن بعض فحسب ، انما ، بوجه خاص ، اغلبية علماء النفس والتحليل النفسي عن المعنى المتضمن في القيم التي يعلمها كريشنا مورتى •

★ ★ ★

ثمة اختلاف أساسي آخر ، أقل دقة وصرامة ، قائم بين موقف يونغ وتلاميذه من جهة وموقف كريشنا مورتى من جهة أخرى \*

يعتبر كل من يونغ وتلميذه جولان جاكوبي أن الخطر الذي يحيق بالإنسان يتمثل في العودة الى نفسه وحيداً \* ولهذا السبب يصرح جاكوبي:

« لهذا السبب يعد الحوار الناشئ بين المتدين المتزمت ومعرفة أو مرشده مؤسسة حكيمة ؛ وبالنسبة للمؤمن الذي يتم واجباته الدينية تبلغ هذه الوسائط والمساعدات عمقاً أرحب(٣١) » \*

تكشف هذه الفقرة عن الهوة القائمة بين وجهة نظر كريشنا مورتى ووجهة نظر يونغ وعدد من محللي النفس الذين ينتمون الى مدرسته \*

ويحثنا كريشنا مورتى وفيفكنندا على أن « نعرف كيف تستقيم أمورنا بقدرتنا الذاتية وامكانياتنا الخاصة » \* ولم يختلف موقف بوذا الذي نصح الإنسان أن يكون « نوره الخاص » \* ففي هذا النور ، يندم الاعتراف الفكري والعقلي ، وتختفي الفطرية ، وينبثق احترام لقوانين الطبيعة على المستوى النفسي ، ويتم انجاز سوي للامكانيات العليا التي يتميز بها الكائن الانساني \*

هكذا نجد أنفسنا في حضرة مثال مفيد ومثير للاهتمام \* وعن طريق المحاكاة المعقولة من وجهة نظر التحليل النفسي يتم قبول وتشجيع ممارسة الاعتراف \* وحقيقة الأمر هي أن المتزمتين يتبصرون هذه القضية بفهم مختلف \* ولئن كانت معالم الاعتراف تقدم اتجاهات مماثلة للطرائق والمناهج المتبعة في التحليل النفسي المحررة للشعور ، انما لا تكون سبباً كافياً للحض على الالتصاق بالمفاهيم المتضمنة المتعددة للاعتراف الذي يعد سراً وسياقاً للخلاص من الآثام والتكفير عنها \*

ومن جديد ، نقف وجهاً لوجه أمام فكرات زائغة بكليتها تشرط الروح الانسانية وتحتجزها ضمن سياق من التبعية والخضوع ، من العنف والندالة ، والكسل والتراخي ، تشل كل امكانية لمعرفة النفس وتجاوز حقيقي موثوق \* حقاً ، أن العلاقات البشرية عامل أو وسيط للكشف الذاتي \*

وهكذا يعلمنا كريشنا مورتى أننا نعرف أنفسنا عندما نتنبه ونتيقظ في صلاتنا مع نظائرها ، وفي معاشرتنا لهم \* لكن هذه المعرفة للنفس تنتج من

اهتمام بأقل حركات فكرنا ، عاطفتنا ، إيماءاتنا وسلوكنا ، وألفاظنا أثناء علاقاتنا • وفي مثل هذه المعرفة والاهتمام لا يوجد أي تأثير أو سطوة أو محاكاة • لذا تقتضي ضرورة تحقيق سيرورة الشعور بالوعي في وقتية العلاقات والصلات الانسانية في النطاق الطبيعي للوجود اليومي •

تُعد هذه المعالجة الحية أكثر أصالة وموثوقية في أثرها النفسي الحاسم من مشاعر الوعي الحاصلة التي أتمها ونفذها استحضار جديد اصطناعي للظروف المنقضية التي سجلتها الذاكرة • والواقع ، أن هذا هو الجانب النافي أو السالب جزئياً لما نسميه بشكل عام « فحص الضمير » •

ولا شك ، أن فحص الضمير الذي تستمد فيه من جديد الظروف اليومية المعاشة ، وردود الأفعال العقلية وانعكاساتها اللاارادية ، والمواقف ، والعواطف والانفعالات يُفضل ، مع ذلك ، على اللامبالاة أو الانعدام الكامل لكل مسعى أو محاولة لمعرفة النفس •

وفي عداد هذا التعقيد الهائل للعلاقات البشرية ، ثمة فرصة مؤاتية لمشاعر الوعي تتمثل في المحبة ، والعيش البسيط الواضح دون قناع • لذا ، يتميز الذين ينفثون ، بكل بساطة ، على الصداقة والمحبة الحقيقية بموهبة تحقق سيرورة من العلاقات يكون أثناءها كل امرئ مرآة للآخر • وما من أمر أكثر ملاءمة لمعرفة النفس من الواقع الذي نبوح فيه بصعوباتنا الداخلية ، آمنا الخفية وآمالنا •

وفي هذه الأثناء ، يُحتمل أن نحقق هدوء البال والاطمئنان الناتج عن واقع أننا نبوح للآخرين بما « نعاني منه في قلبنا » ببساطة ومثابرة عن طريق موقف النقاء الداخلي الذي يقترحه علينا كريشنا مورتى • فان كنا نحيا ببساطة ، وبأسلوب طبيعي ، دون سعي الى التملك ، والسيطرة ، ودون وضع الأقنعة ، فانما لنخلق اتجاهاً لتحرير عفوي يتصل بمضامين اللاشعور دون حاجة للرجوع الى التحليل النفسي أو الاعتراف •

لا تبرز ضرورة التحليل النفسي الا انطلاقاً من اللحظة التي تبلغ فيها التوترات النفسية والتناقضات الداخلية حدة كتلك التي تتمثل بالعصاب النفسي ، وتؤول في النهاية الى خلل عضوي •

★ ★ ★

ثمة فكرة أخرى قاسرة ، على نحو نفسي وروحي ، تتمثل في الضرورة المطلقة التي تدعونا الى الاعتماد على وسطاء بين الكائن البشري والحقيقة السامية .

في هذه الحال ، نذكر من جديد أن هبوط مضامين اللاشعور في الشعور يتطلب انتباهاً ومواظبة مطمئنة في كل لحظة . وكما قلنا ، تتركز طبقات اللاشعور في الحياة الخاصة أو في قرارة البنية النفسية الأكثر عمقاً في كل واحد منا . وما من سبيل الى البوح أو الكشف عنها في كليتها الا في سياق أو سيروية فردية صارمة .

واذا كان الأمر كذلك ، فمن الأفضل أن نستبدل الرأي الشائع « الوسطاء الحتمييون » برأي آخر هو المنفعة المتوخاة من العلاقات البشرية التي تتحقق في مناخ من الحرية ، والوضوح ، والطمأنينة دون الأخذ بالمواقف الخاطئة . لذا ، تفقد فكرة حتمية الوسطاء الذين يقبلون بها الى وضع من التبعية والالتكال في علاقتهم مع الوسيط . وهنا يكمن السبب الذي يلزم كل محلل نفسي شريف منصف ، وقد تقبل التبعية والالتكال الملازم للتحويلات وانتقال المشاعر ، أن يعيد المريض الى وضع يؤهله امتلاكاً كاملاً لنفسه .

أما المهمة الأولى المتوجبة على كل انسان يسعى الى تحقيق معرفة نفسه عرفانا كاملاً فانها تتجسم في سيادته أو في حكم ذاته . ومتى تمت هذه السيادة ، لن نلتزم بتبديل متبصر للقيم التي تطرحها أو تفرضها علينا حضارة زائفة ومهزومة . ولقد أدرك يونغ هذا الواقع المتجسد في أننا لا نمتلك استعداداتنا وملكاتنا بقدر ما تمتلكننا . وقاوم هذا الحكم ، بل احتج بعقلانية على ، علم نفس « العامة » الذي يكون الفرد فيه مسحوقاً ، آلياً ، قاصراً وغير فعال من الوجهة النفسية والروحية .

ولا نبالغ اذا قلنا أننا نفقد فرديتنا في كل مرة نوحده أنفسنا مع نظام أو نسق من الأفكار . وفي هذا التطابق والتوحيد ، نصبح مكيفين ، مشروطين و « مدفوعين » . ومتى انطوينا في ثنايا مقتضيات العقائد ، طائفية كانت أم حزبية ، لم نعد شخصيات كاملة . وعندئذ ، يظفر بنا النكوص والارتداد ، ونصبح فرائس مهياة ومعدة لكل أنواع الديكتاتوريات والتواطؤات اللاشعورية لأنواع الطغيان . ولهذا ، يتوجب على المرء الذي يسعى الى المعرفة أن يتيح المجال لروحه كي تعمل بلا تحفظ ، كما يتوجب

أن يهييء الحد الأدنى من الحرية للروح لتكون قادرة على العمل بلا تحفظ .  
ومن المؤكد أن اكتساب هذه الحرية ترافقه المشقة والجهد .  
فالصرح الذي تقوم عليه « أنانا » استغرق تشييده مئات ملايين السنين  
على أثر جهد وعناء تطوري بطيء ومثابر ، كان في بداياته متناقضاً مع  
الحرية الملازمة أو الحالة في الجوهر العميق للكائنات والأشياء . ومنذ  
نشأة كوننا ، أي منذ ما يقارب ستة مليار من السنين ، تكيفت هذه  
السيرورات أو التطويرات وأُشرطت بالثنائية ، والزمان ، والمكان ،  
والسببية ، والحدوث والصوررة ، والتوسع والامتداد ، والآلية ، بحيث  
يمثل الكائن البشري ودماعه ونفسانيته نهايات بلغتها هذه السيرورات .  
وفي واقعها ، ليست هي مجرد نهاية تم بلوغها ، بل هي أيضاً تكاثف وتمدد .

أما عرفان النفس معرفة تامة ، المعرفة التي اقترحها كريشنا مورتى ،  
فإنها تشتمل على الكشف عن فعل هذه السيرورات الميكانيكية في النفس .  
والشعور بالوعي ذي الاتساع العائد لسلطانها ونفوذها شعور ضروري  
وحتمي يرافق تحررها . وتحقيق هذا التحرر النفسي والروحي يتضمن  
انعتاقاً من الماضي كله ، ومن محتويات اللاشعور . إذن ، فالمقصود هو  
اكتشاف النفوذ الضخم الذي تمارسه ذكريات الماضي على الحاضر .

وكما شدّدنا مراراً ، لا يشتمل هذا الانعتاق من سلطان ذكريات  
الماضي توارى الذاكرة وأقولها . وها نحن نكرر من جديد : ليست  
« الحرية » فقداناً للذاكرة . ويتضمن التحرر في انعتاق من تأثير الذاكرة .

استطاع كارلو سواريز ، انطلاقاً من عام ١٩٣٢ ، أن يحدد الوسط  
الذي يترعرع فيه هذا الانعتاق في مؤلفه « الكوميديا النفسية » (٣٢) .  
واننا نجد أنفسنا ، ونحن نقرأ هذا الكتاب ، نبتعد شيئاً فشيئاً عن المعنى  
الذي ضمنه يونغ في القيم . وعندما يذكر سواريز سيرورة تبدل أو  
تحول نفسي يتم في غضون تجاوز حدود الأنا والذات ، يعبر عن رأيه  
بالمبارة التالية :

« من الآن فصاعداً ، لا يستطيع منحني الذاتي أن يتحول ويسمو الى  
كمال انجازه خالقاً على هذا الكوكب أنواعاً جديدة . وكذلك لا يستطيع  
هذا المنحني أن يتحول الا في أفراد من البشر ، مهيبين لتقصي الدوام  
الديناميكي للعالم الذي أضاعوه ، منذ نشوء «أناهم» ، ومستعدين لتقويض  
الدوام السكوني لهذه الأنا » .

نذكر في هذا المجال أن « الدوام الديناميكي » للعالم الذي يلوح اليه سواريز هو مستوى الحقيقة السامية الذي يتطابق مع ما يعنيه الفيزيائيون الكبار ، أمثال دافيد بوهم وفريديجوف كايبرا عام ١٩٨١ ، بأنه « دقق أو سيلان كوني » وهو نوع من نبض خالق ، لا علة له ، لا زمني ، يشمل كوننا المألوف ويهيمن عليه . ويستوجب هذا الدفق الكوني حضوراً أبدياً » .

أما « الدوام السكوني » الذي ذكره سواريز فانه يشير الى الجانب الميكانيكي ، المتكرر ، الساكن ، لمجموعة الذاكرات التي تشكل الأنا . وباختصار ، يعد هذا الدوام السكوني نتيجة أو حصيلة الماضي .

وفي الواقع ، يشتمل التحول الروحي على انعتاق من هيمنة الماضي ، أي الأنا ، على الحاضر وهو الجوهر العميق للأنا والأشياء كلها .

يثير كارلو سواريز هذا الصراع القائم بين المعلمين للذين يستحضرهما فيُصرح :

« لا تترك لنا الأرض أية مهلة أو هدنة . ففي كفاح خارق ضد الطبيعة شيدت الشرنقات المغلقة التي هي « الأنثا » عبر أجيال كوناً وهمياً ، هارفاً ، منفعلاً ، متناقضاً في أساسه » .

« يعد هذا النضال ضد الطبيعة ظاهرة طبيعية . فكل أنا تخبيء في ذاتها ، في أعماق الجوهر المادي ، اللحظة الأبدية التي تحدث منها . وفي هذا الاتحاد مع اللحظة الأبدية الذي يأتي منه هذا القسم — المقابل أو النسخة السجل ، ينتج النقيض . فهو يختبئ كما تخبيء قشرة البيض الحياة التي ستكسرهما أو تحطمها يوماً ما » .

وان كنا نجسد ظاهرة فردية وجماعية في آن واحد ، لكننا ، مع ذلك ، ولجنا الى عصر أو عهد ، قد يتميز بفترة زمنية أطول وبالألم أكثر مما تميز به العصر الذي اندلعت فيه الحروب بين الآلهة والجبابرة : عصر من الحروب بين ما هو أنساني وما هو الهي ، بين الشعور والأسطورة ، بين الحاضر والماضي .

ان كان الآدمي قد ولد قبلاً ، لكن التنقيب عن ما هو تحت الشعور ما زال عصياً ، وأنات « الجماهير الملتحمة والمتماسكة في جمعيات مربعة ، ستُبعث بشكل خاص في سبيل النضال من أجل الحياة » .



وعلى مر العصور ، نشاهد كيف أدت منهجية الفكر ، والعقائد ،  
والخرافات الدينية ، والطقوس ، وفتنة الاحتفالات السحرية الى تكوين  
مبدأ قصور ذاتي وخمول ، ومبدأ حفظ الماضي الذي شيدت عليه الأنا •

وهكذا ، تنشأ صعوبة التحول النفسي والروحي للذين تفرضهما  
القوانين العليا السامية على الانسان لكي يكملهما أو ينجزهما من واقع  
هو أن الانسان ضحية ابداعاته الخاصة التي هي حصيلة الهام صادر عن  
الشبكة الضخمة من الذاكرات المشيدة في غضون عدة ملايين السنين • ونحن  
نعلم أن هذه الذاكرات تحمل في صميمها بصمات أو نقوش غريزة بقاء  
تذكر الكائن الانساني بخوف دائم لا شعوري وبحث دائم الى الأمانة  
والطمأنينة • وفي الواقع ، يعيش الكائن البشري ، وهو يعاني من حالة  
« لا تقوم على أسس صلبة » ازاء الحقيقة السامية ، في وضع واقعي يتصف  
بانعدام الأمانة والثقة •

★ ★ ★

عندما نتأمل البيئة النفسية الجسدية التي تعود للكائن البشري ،  
والتعقيد واللدانة اللذين تتصف بهما بنيته الخلوية ، والدقة أو النعومة  
الاستثنائية الخاصة والحساسية اللتين يتميز بهما جهازه العصبي ، وقابلية  
التأثر والاستقبال وخاصة التوحيد والتكامل اللذين تختص بهما القشرة  
الدماغية ، نستخلص أن هذه الخصائص كلها قضت بأن يكون الانسان أداة  
التعبير العظمى لحقيقة الكون الجوهرية • ولا يغيب عن بالنا أنه يتوجب  
على الانسان ، قبل أن يتم أو يملأ أو يؤدي هذه الوظيفة الطبيعية العظيمة  
– التي يطلق عليها الصينيون القدامى مصطلح تا يونغ ، أي الوظيفة  
الكبرى – القيام بعمل يتمثل في اصلاح أو احكام جديد مباشر •

واذا كنا نتوخى الحقيقة ، قلنا أن الغالبية العظمى من البشر تحيا  
في مرحلة ابتدائية أولية تتصف بتكامل تام مع « الأنا » ، وعلى الجانب  
« السطحي الظاهري » للكائنات والأشياء ، وفي قيم مجتمعة ضيقة ومحافظة  
للذات ، وأحكامها المنحازة السبقية ، واعتياداتها العتيقة ، وخرافاتها ،  
ومخاوفها ، وأنواع عنفها •

وما الفوضى وانعدام المسؤولية القائمان في العالم الواقعي الا مظهر  
يدل على أن الناس المحدودين الذين يتصفون بقصر النظر ، يجذبون البقية  
الغالبية الى محاكاتهم ، والانصياع لهم ، ليكونوا نسخة ثانية لهم • وهذا  
كله يعود الى نقص بائن في نضجهم النفسي • والواقع هو أن هذا النقص في

نطاق الحس النقدي ، وهذه العطالة تقبع كلها في أصل النجاح الذي أحرزته حركات الجماهير وفي خلفية الكوارث التي ولدتها تلك الحركات \*

ولما كنا نقف على عتبة الألف الثالثة ، فمن الأهمية بمكان أن نلغي الميزة السيئة المؤذية المائدة للعطالة والقصور الذاتي ، والخمول النفسي ، والمحاكاة واللامسؤولية الملازمة لحركات الجماهير والمتأصلة فيها \* وينبغي أن نبطل خطر الاثباتات التي تزعم أن الانسان عاجز عن الاعتماد على نفسه طالما هو فرد مستقل \* والواقع هو أن الذين ينطقون بهذه اللغة هم المستفيدون الأوائل من استغلال الضعف والجهل الانسانيين ، والمنتفعون من تشجيع البشر على الاستمرار في هذا الضعف والجهل \*

ولما عجز الانسان عن أن يجد في ذاته الثروات التي يمتلكها ، اقتضى عجزه هذا وجود الرؤساء ، والمعجزات الخارقة ، والسلطات السياسية والدينية \* اذن ، فشعائر السلطة وعبادتها ، وحركات الجماهير تحصل من تربية ترسخ في ذهن الناس لكي يفوضوا أمرهم الى أناس آخرين يعملون على حل مشاكلهم الداخلية \*

سبق أن رأينا كيف أن القدر أو المصير جازى اخفاقات الانسان التي نسميها « عبادة الآخر » و « حركات الجماهير » \* وتنفذ هذه الاخفاقات الى المستبدين ، وطغيانهم ، وأنواع اضطهادهم ، والابعاد والنفي وابادة الجنس والجماعة \*

والحق يقال أن ابطال المحاكمة العقلية الفردية وخصائص النقد الذاتي أدى الى شلل يصيب الناس لأنهم يتطابقون مع الأفكار التي يحاكونها ويصبحون الفئات المتعصبة لنظام \* وباسم هذا النظام تُرتكب الجرائم ، وأنواع القسوة والقمع الكريهة \*

ولا يتمكن الانسان من الازدهار والتفتح في امتلاء كمال وظائفه النفسية والروحية الا في وضع تتحقق فيه حريته \* والحق يقال أن الروح المشروطة والمكيفة بالمحاكاة والخضوع لا يمكنها أن تفعل بحرية \* فالعقائد وتطابقات الروح مع فكرة بشكل عام تشل وظيفة الروح المبدعة بحيث أنها تغرقها في حالة شبيهة أو قريبة من النوام الذاتي \*

يقف كريشنا مورتى في طليعة المرشدين الروحيين النادرين لأنه يحترم بدقة عوامل وحالات حرية الحقيقة الجوهرية ، ويتنكر لمخاطر السلطة

الروحانية ، مُدرجاً بنزاهة سلطته الروحية ذاتها ، ويناهض خاصية العقائد وأنواع التعصب الديني التي تؤدي الى الشلل الروحي \* وفي هذه النقطة يتعارض موقف كريشنا مورتى تعارضاً جذرياً مع موقف يونغ وتلاميذه \*

يصرح جولان جاكوبي في هذه المناسبة :

« لا يُلحق يونغ شيئاً الى شعور يتزعزع في حمى الايمان ويلجأ الى مجموع رموز العقيدة ؛ لكنه لا يتورع عن تشجيع وجهة النظر التي تبحث عن الطريق الذي يرجعه الى المؤسسة الدينية (٣٣) » \*

هذه العبارة تجيز لنا التعليق والتفسير !

تلكم هي اللغة التي تلذ للكسول الخامل \* ولما كان الكسالى يشكلون الغالبية العظمى ، فان الراحة تدعو الى عدم تكديرها وهي ترقد في تمزيات هيئة تبغي الوضع الخامل وسطحية التفكير في حالة سليمة \* ولقد هدفنا ، عن قصد ، استدعاء هذه البيئة الغافية للاشراط والنعاس النفسيين لنوضح كيف يمكننا أن نقيم تبايناً صارماً بينها وبين البيئة التي ينبثق فيها الابداع وتتم فيها اليقظة الداخلية التي تحدث عنها كريشنا مورتى \*

★ ★ ★

لا يبلغ بحثنا كماله ما لم نذكر اختلافاً آخر بين تعليم يونغ وارشاد كريشنا مورتى \* ويصطبغ هذا الاختلاف بالعمومية والشمول ولا يخص تعليم يونغ وحده بل يتعداه الى منهج التحليل النفسي كله \* وينضوي هذا المنهج تحت لواء التحليل \* فهو يدرس حصائل الماضي ، والصدمات المسجلة في اللاشعور منذ الطفولة الغضة واستتبعاتها في تشكل العقد ، التوترات والحالات العصابية الحالية \*

وبالتأكيد ، تعد هذه السيرة مشروعة وصحيحة في منظور العلاجات النفسية المتصلة بحالات عصابية خطيرة أو خفيفة \* ومن الممكن أن تكون هذه المعالجات النفسية مؤاتية ، خيرة وشفافية أو ملائمة \* فهي تعمل على اعادة الانسجام الى « الأنا » ، وتحريرها من التوترات ، ومن ميولها الفصامية \*

لكن تعليم كريشنا مورتى لا يوجه الى مريض من هذا النوع \* ففي الامكان أن يدعي بعضهم ، دون أن نجردهم من الدراية ، وجود أمراض من هذا النوع أكثر مما نظن بشكل عام ، بالنظر الى حدة الأزمات التي

تمزق العالم على كل المستويات • وعلى غير ذلك ، يوجه كريشنا مورتسي ارشاده الى كائنات بشرية يتصفون بما يكفي من التوازن والنضج ، ويطلب منهم أن يولوا وجههم شطر الطبقات العميقة من الشعور ويحققوا معرفة كاملة عن أنفسهم •

ويصرح كريشنا مورتسي ، ويؤكد ، أن السياقات الاعتيادية المتصلة بالتحليل غير فعالة وعديمة الفائدة • ففي بروكود يدلي بالعبارة التالية : « التحليل هو الشلل » • • • ويعتقد كريشنا مورتسي أن كل تحليل يستخدم الفكر الذي هو الذاكرة ذاتها • ويقترح ، عوضاً عن هذا ، تهيؤاً أو قابلية لنوعية من الذكاء مجرد من سلطان الذاكرة • والحقيقة هي أن هذه الدعوة تسمح للباحثين أن يحلّلوا بأنهم يتفردون أو ينطوون على حسن نية دون أن يحلّلوا في الحلقة المفرغة « للمعلوم أو المدرك » العقلي حيث تكمن آفة النشاط والعمل في منبت كل المشاكل •

★ ★ ★

ينشأ القسم الأكبر من الاختلافات في وجهات النظر بين تعليم كريشنا مورتسي وموقف يونغ وموقف معظم علماء التحليل النفسي من تكوينهما ومشاغلهما المهنية المختلفة اختلافاً بيناً •

فلقد كان يونغ ، قبل أي شيء آخر ، طبيباً ؛ ومثل هذا التكوين يسمح لعدد من علماء التحليل النفسي أو علماء النفس أن يصيغوا أنفسهم صياغة تقترب من مفهوم الطب • وتقضي مهمة المحلل النفسي بإعادة التوازن الى المرضى العقليين • وكثيراً ما تنحصر رسالتهم في امتحان واختبار إعادة تكيف وتلاؤم الكائنات البشرية العاجزين عن تلاؤمهم وتكيفهم مع المجتمع •

لكن هذا لا يفضي الى القول – وقد شددنا باصرار على هذه النقطة في مكان آخر (٣٤) – أن جميع الفتيان المتكيفون فقدوا توازنهم • وهل يفيدنا الآن أن نذكر جملة الاختلافات وأنواع الاضطراب والشذوذ والضلال التي يعاني منها مجتمعتنا المعاصرة ؟

## مراجع القسم الأول

- ١ - منشورات فايار ، باريس ، ١٩٧٤ .
- ٢ - ص ٧٧ . منشورات ستوك ، باريس .
- ٣ - يونغ « علم النفس والدين » ص ١٤٢ .
- ٤ - كريشنا مورتى ، مدراس ، ١٩٤٧ ، ص ١٤ .
- ٥ - كريشنا مورتى ، مدراس ، ١٩٤٧ ، منشورات سركل ده كير ، ١٩٥٠ ، ص ٢٢١ .
- ٦ - جولان جاكوبى ، « علم نفس كارل غوستاف يونغ » منشورات دلاشو ونيسله ، ١٩٥٠ .
- ٧ - ريهون رويه ، « غنوص برنستون » ، منشورات فايار ، باريس ، ١٩٧٤ .
- ٨ - ج . كريشنا مورتى ، المصدر السابق . ص ١٥ .
- ٩ - ج . كريشنا مورتى ، « كريشنا مورتى يتحدث » ص ، ١٩٧٠ . منشورات مون بلان باريس ١٩٥٠ .
- ١٠ - فريجنوف كبرا ، « طريق الفيضياء » ، منشورات تشو ، باريس ، ١٩٧٨ .
- ١١ - دافيد بوهم ، « الكل والنظام القمى الكامن » كيغان ورتلج ، لندن ١٩٨٠ .
- ١٢ - ج . كريشنا مورتى ، « مداولات اوجه » ١٩٤٤ .
- ١٣ - كارل يونغ ، « علم النفس البدنى » ص ٦٩٠ .
- ١٤ - كارل يونغ ، « الانسان يكتشف روحه » ص ١٩ .
- ١٥ - كارل يونغ ، « الانسان يكتشف روحه » ص ١٩ .
- ١٦ - كارل يونغ ، « الانسان يكتشف روحه » ص ١٩ .
- ١٧ - جان شاردون ، « الروح ذلك المجهول » باريس ١٩٧٥ .
- ١٨ - روبير لنسن ، « التأمل الحقيقي » باريس ١٩٧٨ .
- ١٩ - ج . كريشنا مورتى ، « على عتبة الصمت » ص ٢١٨ ، ١٩٧٥ .
- ٢٠ - ج . كريشنا مورتى ، « احاديث في ساروبيا » لندن ، ١٩٤٠ .
- ٢١ - ج . كريشنا مورتى ، « يقظة الذكاء والوعي » ص ١٠٩ .
- ٢٢ - ج . كريشنا مورتى ، « مؤتم مدراس » ص ٢٠٢ ، ١٩٤٧ .
- ٢٣ - ج . كريشنا مورتى ، مدراس ص ٢٠٧ ، باريس ١٩٥١ .
- ٢٤ - كارل يونغ ، « حاضرة في جولان جاكوبى » ص ١٤٧ .
- ٢٥ - ج ، ليو ، « غلبة الافكرات الخادعة » باريس ١٩٣٦ .
- ٢٦ - رمانا ماهارشي دراسات ، ١٩٧٢ .
- ٢٧ - ج . كريشنا مورتى ، مدراس ١٩٤٧ . باريس ١٩٥٠ .
- ٢٨ - كارل يونغ ، « الانسان يكتشف روحه » .
- ٢٩ - كارل سواريز ، « الكوميديا النفسية » باريس ١٩٣٣ .
- ٣٠ - كارل سواريز ، « التأمل الحقيقي » .
- ٣١ - جولان جاكوبى ، « علم نفس كارل يونغ » ص ١١٩ .
- ٣٢ - كارلو سواريز ، « الكوميديا النفسية » ص ٢٣٦ .
- ٣٣ - جولان جاكوبى ، « علم نفس يونغ » ص ١٤٦ .
- ٣٤ - روبير لنسن ، « كريشنا مورتى ، عالم نفس العهد الجديد » ١٩٧١ .



القسم الثاني





- ١٠ -

## كريشنا مورتى ومعضلة الذاكرة

يمكننا القول أن الدراسة المعنية بضرورة الذاكرة قادرة على حل معضلات التواصل الظاهري للشعور ، والمطابقة مع الزمان ، والتماثل مع الديمومة . ومن جهة أخرى ، يمكننا تحديد التعليم الذي أتى به كريشنا مورتى بأنه إيضاح للعوائق التي تشل الروح وتعيقها عن اكتشاف طبيعتها العميقة الجوهرية . فهذه الطبيعة حضور لا زمني ، مبدع خالق ، تلقائية ذاتية ، لا سببية ، مجرد من كل آلية ، من كل اعتياد ، ومن كل تكرار أو انعكاس .

تلعب الذاكرة دوراً كبيراً ، ليس في تشكيل حياة الكائن البشري فحسب ، بل أيضاً في تشكيل حياة الكون . وفي هذا الصدد يصرح كريشنا مورتى حيناً بعد حين بأننا لسنا الا « حزمة ذاكرات » . وكثيراً ما يحدث هذا الاثبات بوصفه حركة تتميز بالتراجع والتقهر .

ولكي يتسنى لنا أن نفهم دور الذاكرة فهماً كاملاً يفضل أن نقوم بسبر مختصر للسياقات البيولوجية التي تشرف على تشكيل الكائن البشري .

في الفترة الزمنية الواقعة بين اللحظة التي تحبل بنا أمهاتنا التي تشهد ولادتنا ، يتحقق عمل من الترابطات والتداعيات الجزئية والخلوية الخارقة . ويوضح التقدم الحديث الذي أحرزه علم الأجنة ، وساعدت الكيمياء الحية على ازدهاره ، ضخامة وأهمية هذه الفاعلية المذهلة والمثابرة . ففي لحظة الحمل تحمل خلية أو خليتان مليارات المعلومات والأخبار . وسوف تسهر هذه المعلومات على صياغة مولود جديد يحمل ، وقت الولادة . زهاء ٥٠.٠٠٠ من الخلايا . وخلال شهور تسعة ، تتوجه مئات ملايين الجواهر ، والجزئيات العملاقة ، والخلايا غير الاختصاصية الى

- ٧٥ -

تشكيل أعضاء تباشر وظائف معينة \* وتشكل خلايا معينة غير اختصاصية في الأصل دماغاً بشرياً بما تشتمل عليه من اثنتي عشر أو ثلاثة عشر مليار من الخلايا العصبية ؛ ومثل هذا العدد يشكل الكلية الخ \*

وبالتأكيد ، لا يتم هذا التنظيم عن طريق المصادفة \* انه يحصل نتيجة برمجة دقيقة مجملة للغاية تتلقى تعليماتها وتوجيهاتها من المعلومات المتضمنة في «مجموعة الشيفرة الوراثية» \* فما هي هذه المعلومات ؟ وماهي طبيعتها ؟ وما المستوى الذي تحتله بين الأشكال المتنوعة للطاقة ؟ ولا شك أن توضيح الدور الذي تقوم به الجزيئات الجبارة لـ ١٠٠٠ و ١٠٠٠٠٠ يسهم في ايضاحات عديدة لجزء كبير من هذه السياقات الشديدة التعقيد \* ومع ذلك ، تظل أسئلة عديدة دون أجوبة \*

تبين الفرضيات الجريئة التي توصل اليها جان شارون في بحثه عن الزمان والمكان النفسيين أو الروحيين ، اللذين يشكلان نطاقاً لتدوين الذاكرة ، وانجازات دافيد بوهم في الميكانيك الكوانتي للتحويلات الواقعية أن سيرورات الذاكرة تشتمل على كلية مستويات الطاقة التي تحتل مكانها في الزمان - المكان الفيزيقي والزمان - المكان النفسي \*

وعلى هذا الأساس ، نفضل أن نستبدل تعبير «معلومات الشيفرة الوراثية» بـ «الذاكرات» \* وفي الواقع ، تعد الخلايا الأولية التي تتحد من حاملات مليارات الذاكرات \* وتتوارى هذه الخلايا عن الأنظار ويتحدد موقعها الى ما هو أبعد من الركيزة المعترف بأنها ، على نحو مؤقت ، جزيئات الـ ١٠٠٠ و ١٠٠٠٠٠ \*

ولقد أدت كتابات جان شارون المتصلة بوجود مكان - زمان روحي نفضل أن نسميه «مكان - زمان نفسي» الى اثاره نوع من الارتياح ، وذلك بعد نشرها في عام ١٩٧٥ \* وفي عام ١٩٨١ ، وافق الفيزيائي المرموق بريان جوزفسون ، حامل جائزة نوبل في الفيزياء ، وفيزيائيون آخرون ، على مضامين فرضية شارون \* وتظهر الاكتشافات الحديثة التي قام بها العالمان غاردنر وسنوستاد عن وجود نواة كروية في وسط جزيئات ١٠٠٠٠٠ لا يمكننا الارتياح بوجودها \* وتؤلف بنيتها وهندستها تيبولوجيا أي نموذجية النوع الملائم لتأطير مكان - زمان فيزيقي بعد مصادرة أو مسلمة جان شارون(١) \*

## قِدم ونشأة الذاكرة

تواجه الروح سؤالاً يخطر لها على نحو مباشر : من أين تأتي هذه المليارات من المعلومات ، وكيف تتشكل ؟ كيف تُخزن وتُحفظ ؟ ما نوع المحيط أو الوسط الذي يصلح أن يكون دعامة لها ؟ ما هي ، بالضبط ، الطاقات التي تُعَبِّثها ؟ ولما كان المجال لا يتيح لنا الاجابة الملائمة على مجمل هذه الأسئلة فاننا نحاول الاجابة من وجهتي النظر النفسية والروحية خلال البحوث المتنوعة (٢) \*

نعتقد أن الافادة تقضي بتوجيه القارئ الى دراسة مؤلف جان شارون (٣) \*

يوضح المؤلف ، وهو يتأمل أعماق المادة ، وجود مكان — زمان نفسي سُجِّلَتْ فيه وحُفِظَتْ فيه كل الأحداث التي تمثل تاريخ كون منذ نشوئه أو ولادته • وترقى تطورات الذاكرة الى ما قبل تشكيل الكائنات الحية • وينشأ عملها انطلاقاً من التشكل الأول للمادة ذاتها ؛ وهذا يعني العودة بالزمان الأرضي الى ١٤ مليار عام تقريباً •

يعتقد ستيفان لوباسكوان بدايات الذاكرة تتوضع في النشوء الأول لكوننا • والمعلوم أن كوكبنا ، في ذلك الزمان ، لم يكن أكثر من كون سديمي مكوّن من جواهر الهيدروجين المؤينة • ويفسر ستيفان لوباسكو أن الحركة ، وتجلي الطاقة ، والحياة لم تكن ممكنة لولا حدوث سلسلة متوالية من « وجودات بالقوة أو كمونات » و « تفعيلات أو اخراجات الى الفعل » • وفي هذه المناسبة يكتب :

« الطاقة ، بحكم تركيبها المضاد ومنطقها الديناميكي ، مُحدثة من علل فاعلة وعلل غائية • ومثل هذا النظام يتوضح عن طريق الآلة الحيوية: الطاقة التي تنبسط أي تنتشر ، تتركز في بداءة الأمر في كمونات تطوراتها أو نشوءاتها الفردية كلها ، التي ، ما أن تخرج الى الفعل ، حتى تحقق كامل العضوية أي الكائن الذي كانت تحمله — وهذا يعني تمديني أو تجسيد شيفرة الوراثة • ولكن ما تعلمه البيولوجيا هو أن العناصر الطبيعية ، وأعني الأنظمة الفعالة الطاقية ، بواقع أنها قابلة للوجود

الكموني التكويني الأساسي ، لا تكون موهوبة فقط بالغاية بل بالذاكرة :  
لا شيء إطلاقاً مما سيكون نباتاً أو حيواناً إلا وكان مصوراً في البدار ،  
والبيضة • وهكذا توجد هذه الأنظمة الحيوية في حالة الكمون الفاعلي  
الطاقي الصرف ، وفي حالة العلة الغائية والذاكرة • ويكمن في قلب الطاقة  
مبدآن عليان ، علتان غائيتان ، وذاكرتان نقيضتان(٤) » •

★ ★ ★

جدير بالملاحظة أن العقائد الهندية والصينية القديمة التي ترقى الى  
آلاف السنين تبشر بوجود زمان — مكان نفسي تسجل فيه كل الأحداث الماثلة  
في تاريخ كون منذ نشأته • ولقد تصورت تلك العقائد هذا المكان — الزمان  
النفسي على هيئة نوع من أثر، كلي الحضور والوجود، كلي الاختراق والانبثاق  
يسمى أكاشا • وفي هذا الأكاشا الأصلي الأولي ودعت الأحداث ، والأفعال ،  
والأفكار ، والمشاعر ، طابعها وعلاماتها وبصماتها الدائمة المسماة  
« الكليشهات الأكاشية » • لذا ، كان اللا شعور الجمعي الذي تجثم فيه  
الشعورات واللا شعورات الفردية المجموع النامي أو المتكاثر على الدوام  
لهذه التسجيلات المحفوظة •

وفي منظور الدراسات والبحوث الحديثة التي قام بها البروفسور  
افارن ، تشكلت هذه التسجيلات بواسطة موجات ساكنة أو موجات «صورة»  
تشمل التراث الاعلامي لكوننا على نحو نمو وتكاثر دائم • وهذا هو  
السياق ذاته الذي يحمله جان شارون لمصطلحه « الأنثروبي السالبة » •

أما كريشنا مورتى فانه يطلق اسم « المعلوم أو المدرك » على هذه  
الشبكة الضخمة من المعلومات المختزنة منذ زمن طويل • ويمتد أن جمع  
هذا المعلوم يمارس على الروح الانسانية فعلاً مثبطاً لأنه محكوم بالآلية ،  
والتكرار والاعتیاد • فالأفكار والعواطف وكل النشاطات العقلية الفعلية  
المألوفة والاعتیادية في الكائنات البشرية هي ، في نظر كريشنا مورتى ،  
أمور مشروطة بالذاكرة •

وجدير بالملاحظة أن نذكر أن الزمان ذاته ، وهو يتوازي مع سيرورة  
الذاكرة ونموها وتكاثرها الدائم والثابت بالمعلومات التي تتحقق في غضون  
فترات كبرى ، هو شكل للطاقة يوطد ، ينشط ويرسخ فعل الذاكرة • فلم  
يكون الأمر كذلك ؟

منذ عهد قريب ، وفي الفترة الواقعة بين ١٩٧٠ و ١٩٨١ ، أعلن علماء بارزون ، فيزيائيون ورياضيون ، أمثال جون هويلر من جامعة برنستون في الولايات المتحدة الأمريكية ، كوزيرف من الاتحاد السوفياتي ، موزه من الولايات المتحدة ، ودافيد بوهم ، تعاليمهم التي تتضمن ما معناه أن الزمان شكل من أشكال الطاقة التي لا يمكننا ، بأي شكل من الأشكال ، فصلها عن الطاقة الشاملة للكون . ويعترف معظم هؤلاء العلماء بوجود « جزيئات دقيقة للزمان » يكون الفعل فيها جميعاً . ويعد هذا الجمع سبباً رئيساً لنمو متسارع للسيرورات التطورية في كل الحقول والنطاقات (٥) . والتعبير الذي يستعمله كريشنا مورتى للدلالة على أن الدماغ الانساني ليس إلا الزمان المركّز أو المكثف والمبهر يستغرق معناه الكامل . ويستعمل البرفسور ريمون رويه في كتابه « غنوص برنستون » (٦) لغة شبيهة . فالمؤلف يعتبر ، وهو يستحضر ذكاء وذاكرة الجزيئات العضوية ، الكائن الانساني « ثري زمان » . وفي الواقع لا يعد الكائن البشري ثري زمان فحسب بل ثري ذاكرة . ومثل هذا التعبير يوضح المفزى الخفي لرمز « الانسان العتيق » تماماً كما تميزناه سابقاً .

وتحتوي النسخة السجل أو القسم المقابل نفسية الزمان - المكان الفيزيقي لكل جزيء ، وربما لكل جوهر ، في صورة شاملة ومتمكاملة ، كما تشتمل على العلم الرفيع المتصل بالكون كله . وليس هذا الا لأنه حصيلة الوحدة التامة لجوهره . وهكذا ، يكشف لنا التقدم الذي أحرزته البيولوجيا الذرية أن الجزيئات تمتلك ذاكرة وتجهز بقدرة التعرف ، عن بعد ، على الذرات الأخرى ، وامكانات تجانسها أو شوقها بحيث أنها تميز ، عن بعد ، بواسطة التزامن والتوافق الاهتزازي التكاملية الذاكرات المسجلة في زمانها - مكانها النفسي ل د ن ١٠ أو ر ن ١٠ . ولقد قدم ريمون رويه بعض الأمثلة الهامة بهذا الخصوص :

تواجه البيولوجيا الذرية واقعاً غريباً يتمثل في تعرّف ذرة الى أخرى عن بعد . ففي التوجيه الهرموني ، حيث تتعرف الخلية الى الرسالة الهرمونية لأنها تتضمن جزيئات ( ا م ب . ب . حلقية ) ، تكون المبعوثات أو الساعيات الثانية التي تحدث عنها سذرلاند قادرة على معرفة شكل الجزيء الهرموني عن بُعد ؛ وفي التوجيه الوراثي تكون جزيئات الهيولى قادرة على التعرف الى شكل - رسالة ر ن ١٠ . وشكل - رسالة جزيئات د ن ١٠ (٧) .

من هذه الوقائع تتوضح أهمية الدور الذي تلعبه الذاكرة على المستويات الجزيئية والخلوية • ويتبين أن هذا الدور يكبر على مستوى الكائن البشري ويكيف على نحو تقريبي كلية سلوكه • وهكذا ندرك الآن أين يكمن الأصل الأولي لآليات الفكر ، الذاكرة ، سيرورات اللفظ ، والتنظيم في مقولات ، والتصنيف •

تلكم هي الأسباب التي توجب أن تشتمل « المعرفة » في كل فعل من أفعالها وفي كل شعور للوعي لدى غالبية الكائنات البشرية على ٩٩٪ من « التعرف والتذكر » • ولا غرو أن مثل هذه السيرورات ، المجردة من الابداع والتجديد والنمو يصفها كريشنا مورتى عن قصد بأنها المسيرة العقيمة التي تنتقل من « المعلوم » الى « المعلوم » • وأننا نجد من جديد أننا نواجه مرة أخرى معضلة التواصل ، التواني الداخلي ، الخوف ، غريزة البقاء ، وهي تجسد أربعة عوامل للاشراطات التي يمتنع فصلها وفكها •

★ ★ ★

تفسر القدرة الكبيرة التي يتسم بها سلطان الذاكرات — الماضي — على الخاصة الطبيعية للتيقظ والانتباه — الحاضر اللازمى — الذي يشير كريشنا مورتى الى تحقيقه عن طريق قدم سيرورات التذكر • وحول هذه القضية يكتب ريمون رويه بعض السطور المثيرة :

« لو أننا تأملنا ، ليس الانسان وحده في حياته الفردية بل السلسلة المتصلة ، غير المنقطعة ، التي — ما دامت أية خلية من الخلايا الحية لم تمت في وقت ما — ترقى الى بدء الحياة والى جزيئات ذاتية التوالد ، أي الى بضع مليارات السنين ، لوجدنا أن الانسان بوصفه حياً لا يقل شأناً في الزمان اذا قيس بالآزمنة الجيولوجية والكوزمولوجية •

« ( ••• ) الانسان ، في حقيقته ، جبار زمنى يفكر ، يجمع أفكاره ، ينظم ، ويبحث بهمة ونشاط ويصون المعلومات المدونة في ذاكرته البيولوجية منذ مليارات السنين • والانسان جرثوم ••• انما جرثوم ثري كبير بالزمان (٨) » • ونحن نكرر مع ريمون رويه ونقول انه ثري زمان وعلى الأخص ، ثري ذاكرة •

ومن الملائم بوجه خاص أن نستشهد بهذا الشأن بجزء من قصيدة سرية للشاعر ر • نيرمايانندا (٩) :

كن عديم الشفقة ازاء  
كل ما هو فيك ...  
احمل سمة آلية عقيمة ...  
تجرد من الانسان العتيق !  
ألا تعلم أنك ثري بالزمان !  
ألا تعلم أنك ثري بالذاكرة !  
انك تحمل في أعماقك عبئاً  
زمنه هو زمن الكون !

ان التحرر من عبء « زمنه هو زمن الكون » يعني أن بضع آلاف  
مليارات الخلايا المكونة للجسم الانساني تمتلك قوة قصور ذاتي كبيرة  
ناشئة عن مراعاتها الملزمة لآليات واعتيادات • ولقد أمّنت هذه الآليات  
والانعكاسات والأعمال اللاارادية وقاية وصيانة بقائها ودوامها •

وعلى هذا الأساس ، يتطلب التحول النفسي والروحي الذي يقترحه  
كريشنا مورتى انجازاً اعتقاداً لقوانين التوازن والآليات البيولوجية بالإضافة  
الى الاطلاعات غير المناسبة لهذه الآليات في النطاق النفسي والروحي ، بحيث  
لا تكون هذه الاطلاعات في النطاق الروحي وافية بالفرض • والحقيقة أن  
المسؤولية في هذا تقع على عاتق تعسف الذاكرة وتعيديها •

## دور الذاكرة في التكون النفسي للكائن الحي

ذكرنا سابقاً ، ونكرر من جديد ، أن كريشنا مورتى لا يحرم الذاكرة  
من رصيد منهجي ، لكنه يرينا كيف تكون عامل اشراط • فالذاكرة  
سبورة طبيعية لا يمكننا الحياة بدونها • ونردد معه مرة أخرى : ليس  
الكائن الانساني الذي امتلأ في يقظته كائناً مصاباً بالنسيان بل هو حر من  
التمائل مع سلطان الذاكرات الماضية ويسعى الى الانعتاق من سلطانها •  
ويسمح له هذا التحرر أن يحيا الحاضر حياة تامة ممثلة •

ولا يضيرنا أن ندقق بأيجاز في بعض المعالم الفيزيائية والبيولوجية  
للذاكرة • وسوف نبدأ الآن بتفحص طبيعة الذاكرة بعلاقتها مع الفكر •

ولا شك أن الموقف الذي يتخذه كريشنا مورتى جازم بات : فهو يقر أن الفكر ليس شيئاً آخر سوى الذاكرة وأن الذاكرة ليست شيئاً آخر سوى الفكر . ولهذا يصرح بأن « الفكر ليس هو الذكاء أو الوعي » .

يؤدي هذا التأكيد الى اثاره حركة تقهقر لدى غالبية الغربيين الذين استمروا في تأليه الفكر . لكن الموضوع لا يتضح ما لم نتعرف على حقيقة الفكر . وفي الواقع ، ليس للفكر وجود ان هو فقد ارتباطه بالكلمات الشعورية واللاشعورية . فلا وجود لأفكار مجردة من الصور ، واضحة كانت أم غامضة ، شعورية كانت أم لا شعورية . وإذا عبّرنا عن هذه العبارة بأسلوب آخر قلنا أن هذه الكلمات ، وهذه الصور كانت مسجلة من قبل في الانطباعة الدماغية - الآثار المخلفة في الدماغ من أحداث . فهي إذن ذكريات . وفي هذه الحال نجد أنفسنا ماثلين في حضرة اطالة سيوروات تعرف وتذكر ، ذرية وخلوية ، قائمة منذ مليارات السنين وتُسْتَحْضَر الآن على نحو فقرات سالفه .

ويشدد كريشنا مورتى على واقع هو أن عملياتنا العقلية أكثر آلية مما نفترض أو نريد أن نعرف . فالفكر يعمل عن طريق الاستقراء والاستدلال . وهكذا يتوغل مبدأ التعويض الى الشعور ويكشف اللاشعور عن الملقى الذي تخضع فيه الفاعليات العقلية والعاطفية لسياق آلي للعلل والمعلولات .

ويجذب كريشنا مورتى انتباهنا الى آلية السيورورة العقلية والى السرعة القصوى التي يعود بها الفكر الى الأوضاع القديمة عوضاً عن أن يترك للكائن البشري امكان تحقيق صمت أو سكون داخلي ، وامكان تجدد وابداع . وفي الحال ، وبسرعة البرق ، وفي واحد بالمائة من الثانية ، تنتظم ظروف حديثة العهد ، متبدلة ومتصلة بالوسط الخارجي في مقولات ، تحاكم ، تصنف ، ويعبّر عنها بالفاظ وعبارات . وتخفي السرعة التي تتم فيها هذه الآليات في حقيقتها خوفاً أصيلاً يمتلك زمناً يعادل عمر الكون . وهكذا يتأكد تواصل الذات . وتسهر ستراتيجية « الانسان العتيق » على توطيد وصيانة وجودها وذلك في سبيل اطفاء شعلة الحياة الابداعية .

وكما ذكرنا سابقاً : هذا هو المعنى العميق المتضمن في رمزية ابليس - ساتان ، هذا الاسم الذي يشتق من العربية القديمة شيط أن . فالانسان العتيق ، مجموعة الذكريات التي يمتد زمانها الى مليارات السنين ،



يمثل الماضي • والواقع هو أن الماضي لا يرغب في التنازل عن ذاته • وتشكل شبكة الذاكرات وجوداً أو كيانه • ويتميز هذا الكيان بالمقاومة • ولكن لا بد من التساؤل : ماذا يقاوم ؟ ويشير الجواب الى أنه يقاوم التجديد ، الابداع ، والحاضر اللازم • وهكذا يكمن التعارض بين الماضي والحاضر في قاعدة وأساس كل الصعوبات ، والعطالات والمقاومات التي تكشف عنها الذات في نطاق الحياة الداخلية •

في هذا المنظور ، يظل الفكر فكراً ؛ وتتابع المسيرة المعقمة « للمعلوم أو المدرك » الى « المعلوم » كما نرغب بها على نحو لا شعوري ، ويظل الذكاء أو الوعي مختفياً في ثنايا العدم • وتؤدي الظلمة التي نحملها عبر لحظات سابقة الى انعدام وضوح وقدرة ارادة الالهام أو الوحي المتصل بكل دقيقة جديدة • ويستغرق كل ظرف جديد ، كل موضوع جديد في الآليات الدماغية للتعرف والتذكر التي تتجه الى ترتيبها في مستودع الذاكرات القديمة ، والقيم المعروفة • وفي الحال تتأسس طرق مميزة وسط مليارات العصبونات المهيئة على نحو دائم لتعلم ومعرفة العوامل الجديدة التي ترسبها في هاوية « المعلوم » القديم والاعتيادي • لكن الذكاء الذي يقصده كريشنا مورتي فلا وجود له في هذه الحال • اذن ، تنشأ ضرورة احداث خدعة حاذقة •

حقيقة الأمر أن الذكاء أو الوعي غريب عن نطاق التكرار والاعتياد ، ولا يأتلف معهما • فهو يقف خارج السيرورات الآلية التي تسوس المعالم السطحية للكون • اذن ، فالذكاء أو الوعي لا سببي ، ولا زمني • وينجو من اشراطات الزمان ، والدوام والتواصل • وفي الواقع ، لسنا في وضع يؤهلنا الا بذكر ما ليس عليه • ولو كنا نمتلك القدرة على تعريفه وتحديدده لما كان ذكاء أو وعياً ، والقول بأنه الابداع قول لا يجدي أو لا يكفي •

واذا حدث أن قلصنا فينا العوامل المختلفة التي ، كما يتضح ، ليست هي الذكاء أو الوعي ، فلا بد وأن نمناها الامكان أو القدرة على العمل فينا والمشاركة بفعل من أفعال الابداع الذي يتجاوز كل صياغة ، كل خيال وكل قبلية •

هكذا يتضح أن الشعور بالوعي المرافق لشعور بمعجز الفكر أو الدماغ عن حل معضلة الذكاء هو الخطوة الأولى على طريق يقظة الذكاء والوعي • وبهذا الصدد يصرح كريشنا مورتي :

« متى تأكد الدماغ القديم من عجزه عن ادراك ماهية الحرية ، ومن قصوره في اكتشاف كل ما يكون عليه الجديد ، يكون ادراكه ذاته بذار الذكاء • ذلكم هو الذكاء أو الوعي • »

« ولا يُعد هذا الذكاء أو الوعي ذاتياً ، كما وأنه ليس نتيجة المباحثة ، الرأي أو العقل • انه ينبثق الى الوجود عندما يكتشف الدماغ حدوده الخاصة (١٠) » •

واذا عمدنا الى المقارنة بين الذكاء أو الوعي والفكر توخينا أن نجد التباين في المثال التالي : ان المسافة التي تفصل الذكاء أو الوعي عن الفكر تعادل المسافة التي تفصل النور عن الظلمة • أما على المستوى البيولوجي للظواهرات ، فيمكننا اقامة مقارنة العلاقات بين الذكاء أو الوعي الحقيقي والفكر بعلاقات قائمة بين عضوية حية وفضالاتها • وفي هذه الحال ، تكون الذاكرات ، مهما كانت طبيعتها ومستواها ، صورة خلاصات وكذلك مجموعة العالم المتجلي • وان هذا القول لا يحرم الذاكرات من امكان التعبير عن الأشكال والصور الرقيقة المرفقة للمؤهلات والخدع • وهكذا لا يجردها المعلم المتبقي للعالم الظاهري من الجمال أو العظمة ، الأمر الذي لا يجعل تعقيد الطاقات التي تشكل الجوهر المادي الظاهري يعميق أو يتداخل مع التلقائية المبدعة التي تعود لجوهره الأقصى •

## - ١١ -

### صورة النفس في منظور كريشنا مورتى

ان دراسة الصورة التي يمتلكها كل انسان عن ذاته ، على المستويين الشعوري واللاشعوري ، تستشف واحداً من التطبيقات العملية للتأمل بالمعنى الذي يصيغه كريشنا مورتى .

تعد الصورة التي يمتلكها كل انسان عن ذاته حصيلة من الحصائل الأكثر أهمية لسيرورات الذاكرة التي تفحصناها بايجاز في الفصل السابق . ويشدد كريشنا مورتى ، وهو يعتمد معقوليته على الفعل المثبط الذي تحدثه هذه الصورة في كل الظروف . وهذا لا يعني أننا نرتاب في وجودها أو نفيه ، بمقدار ما نقول ان هذه الصورة اعتيادية ومستمرة .

ومن وجهة النظر الواقعية ، نذكر ، من أجل الانتفاع من تأملنا أو من شعورنا بالوعي ، أن قدم وتعقيد سيرورة الذاكرة يتحملان مسؤولية استمرارية هذه الصورة في كل واحد من الناس . ونحن لا نحتاج ، من أجل الكشف عن حضورها الدائم المثابر ، الا الى الملاحظة البسيطة التي ترينا بوضوح أهمية الدور الذي تلعبه في اشراطنا وتكيفنا . ولا شك أن هذه الصورة تدخل في الظروف كلها ، ان كانت هذه الظروف عادية أو ظروفًا نَحْمِلُهَا أهمية أعظم . فاذا ما تحدثنا الى صديق وألقينا عليه تحية الصباح وسألناه : كيف حالك يا صديقي العزيز ؟ رأينا الصورة التي نكونها عن أنفسنا تتدخل في هذه اللحظة ذاتها ، على نحو خفي وبسرعة البرق ، ف نقول لنا « ها أنذا أشعر أنني على أفضل ما يرام » ، ان كنا نتمتع بعافية جيدة . أما ان كنا نعاني من احساس بالمرض والضيق ، فلا بد وأن تنشغل الصورة التي نَحْمِلُهَا عن أنفسنا بفكرة أو برأي أقل ملاءمة مما يستطيع صديقي أن يكونه ، في داخله أو خارجه ، عني .

وبالإضافة الى ما ذكرناه ، فأنني أمتلك دوماً عن صديقي صورة مشروطة بالذاكرات الطبيعية والاحتمية للقاءاتنا السابقة معه ، وأحاديثنا الممتعة والمزعجة ، واتفاقاتنا في الرأي واختلافاتنا حول الموضوعات الخ • ولا شك أن صديقي ذاته ، من جانبه ، يكون صورة عني شكلها وأنشأها بالطريقة ذاتها • فهو أيضاً ، بوجه الاحتمال ، يعد موضوعاً يتميز بسياق واحد لصورته عندما ألقى عليه التحية • وعلاوة على هذا ، يضع قناعاً ليتوافق مع الصورة المثالية التي يكونها عن نفسه ، تماماً كما أضع قناعاً ، هو « موقف » يساعدني على التوافق مع الصورة المثالية التي امتلكها عن نفسي • وفي الواقع ، لا تتطابق هذه الصورة أبداً مع الحقيقة • وفي الغالب نرفض أن نشاهد حقيقتنا كما هي في واقعها ونسقط الصورة التي نرغب أن نكونها •

ومن البداهة أن نعترف ونقر ببساطة كاملة بالدليل الذي يشير الى وجود هذه الآليات وهي تفعل وتنشط خلال صلاتنا كلها وخارج ظروف حياتنا اليومية كلها • فالصورة التي نكونها عن أنفسنا ماثلة فينا على نحو دائم وفاعلة بشدة ، وتتبعنا غالباً في أحلامنا • وحضورها الدائم في ذاتنا وفي الآخرين يشل كل امكانية لتشكيل علاقة أو ادراك حسي مباشر • وفي هذه المناسبة يكتب كريشنا مورتى :

« لو أننا ندقق في علاقات بعضنا مع بعض الفعلية ، ان كانت هذه الصلات ودية أو سطحية ، عميقة أو مؤقتة ، لوجدنا أن التجزئة والانقسام يسودان حياتنا •

« فالمرأة أو الزوج ، والفتى أو الفتاة ، يرى كل واحد منهما طموحه الخاص ، وغاياته الفردية والأنانية ، لأنه محتجز في داخل قوقعته •

« لذا ، تسهم هذه العوامل كلها في بناء أو رسم صورة للذات ، وبالتالي ، تنعدم العلاقة الحقة المباشرة • وبالفعل لا أعلم ان كنت ، أيها القارئ ، تعي بنية وطبيعة هذه الصورة التي يبنينا كل واحد منا حول نفسه وفي ذاته(١١) •

ونحن بدورنا نتساءل : ما السبب الذي يدعو الصورة المكونة عن الذات الى تشكيل ستارة نفسية تشكل كل امكان لاقامة صلة مباشرة ، كلية وكاشفة ؟ وفي اجابة صريحة واضحة نقول : انها تشكل هذه الستارة لأنها

صدى ماض ضخم يعيقنا اللفظ الداخلي عن أن نتيقظ ونحن نصغي الى رسالة فذة فريدة تلهمنا في كل لحظة حاضرة • وعوضاً عن أن نكون « جديدين في اللحظة الجديدة » فاننا ندنو من كل لحظة حاضرة ونحن نحتمي على نحو لا شعوري وراء قشرة الماضي السميكة • وتتشكل هذه القشرة في وقت واحد من الصور التي نكونها عن أنفسنا ومن تلك الصور التي نشكلها عن الآخرين وعن الأشياء كلها •

ولو كنا نتصف بالتحمل لنمنح القليل من الانتباه الى ردود الأفعال والانمكاسات اللاارادية الحاصلة فينا في اللحظة التي تتشكل الظروف الأكثر بساطة وواقعية لوجودنا اليومي لتأكدنا من صحة ما هو معروض •

عندما يواجهنا جارنا أو صديقنا بموقف معين أو حديث عدائي ، أو ينظر إلينا نظرة تحمل الاحتقار ، يخطر على بالنا سيل من الأسئلة • وأما هذه الأسئلة فانها ترسم على لوحة في عمق الصورة التي نكونها عن أنفسنا • ولئن كنا نهتم كثيراً باقامة الانسجام في الألبسة التي نرتديها فلأننا ، نتيجة انشغال البال ، نقى ونوطد الصورة التي نشكلها عن أنفسنا أكثر مما نبالي بالرغبة البسيطة في الأناقة والجمال الطبيعي •

واذا ابتلينا بوضع حرج أو بضرر جسماني نسيء تقديره ، فاننا نعمد الى قياس مدى دور الصورة التي نشكلها عن أنفسنا • وعندئذ ، نصبح عرضة لأسئلة كالتالي : « الام يشير هذا ، وما المفزى الذي يحمله لي ؟ ••• » ، ماذا يتوجب علي أن أفكر ؟ ••• هل أجعل من نفسي انساناً مضحكاً ؟ • وفي هذه الحال ، نُبَاغت بأننا نُسقط ظروفاً فرضية في غضونها توجه إلينا شخصيات خيالية النقد أو الالهانة •

وباختصار ، يتهيأ لنا جانبان للموضوع : جانب أول نقترّب فيه من الآخرين ونفهمهم من خلال الصورة التي نشكلها عنهم في الوقت الذي يتعارض سياق حفظ الذات مع صورتنا الخاصة ومع صورتنا عنهم ؛ وجانب آخر ، يقترب الآخرون منا ويفهموننا من خلال صورة تكونت لديهم عن ذواتنا في الوقت الذي يتعارض سياق حفظ ذواتهم لصورتهم الخاصة مع صورتهم عنا • وهكذا نستخلص أن العلاقات البشرية تتأثر بهذا الواقع الذي يقوم بين الصور المعدة في عقل الكائنات ، على الرغم من أنها لم تتلامس على نحو مباشر حقيقي • ولا شك ، ان كل واحد يحمل في ذاته أكثر من قناع •

والحقيقة ، كما تبدو لنا ، هي ان اتخاذ الأقنعة يتطلب جهوداً أو توترات عقلية • وبناء على هذا الواقع ، لا نرى أنفسنا في وضع يسمح لنا أبداً بتحقيق رصانة ووضوح الصمت الداخلي • وعلى نحو دائم نسمع في داخلنا صدى الضجيج العقلي الناتج عن اختلاف الصور والأقنعة • أما امتلاء وسعة اليقظة الطبيعية والكلية التي هي « انتباهنا ويقتلنا » فإنه يكمن في صمت داخلي •

ويضفي كريشنا مورتى أهمية كبرى على تحقيق هذا الصمت وهذه الكيفية لليقظة الداخلية والانتباه • واننا نتساءل ان كان تحررنا من الفعل الشال الناتج عن الصورة الثابتة والمثابرة للذات ممكناً ؟ ولا يتوانى كريشنا مورتى عن طرح مثل هذا السؤال فيضعه بهذه الصيغة : هل يمكننا التطلع الى الشجرة بمعزل عن صورتها ، أي دون أن نشكل صورة عنها ؟

يبدو هذا السؤال ، بمجمله ، بسيطاً ؛ لكنه يزدهد تعقيداً ان كنت أتطلع الى ذاتي خارج كل صورة • فانا ممتليء بالصور ( ••• ) وان لم تكن الصور موجودة ، فما تعني « الرؤية » ؟ ( ••• ) ليس ثمة على الإطلاق ما يمكننا رؤيته ؛ ومن هذا الزعم يتولد خوفنا ، أي نخاف أن نرى • ونكرر هذا القول بأسلوب آخر : لست على الإطلاق شيئاً • والواقع هو أننا عاجزون عن رؤية الشيء أمامنا أو مواجهته وجهاً لوجه ؛ ومن هذا السبب تتولد هذه الصور التي نشكلها عن ذواتنا (١٢) » •

تمد العبارة الأخيرة المذكورة على غاية كبرى من الأهمية • وبالتأكيد يتعرض الكثيرون للخداع في اللحظة التي يتم فيها وصف المظاهر بحيث أنه يتضمن واحداً من مفاتيح السعادة الحققة • وفي العبارة « من هذا السبب تتولد هذه الصور التي نشكلها عن ذواتنا » يستدعي كريشنا مورتى سياق الدفاع الذاتي الذي يتمتع به « الانسان العتيق » أو شبكة الذاكرات التي ، بسببها ، اعتدنا أن نعتبرها وجودات حقيقية ونختبرها باحساس من الرسوخ النفسي والتواصل •

وعلى الرغم منا تظهر الصور التي نشكلها عن أنفسنا • ويشير الواقع الى أنها تحصل من استراتيجيات تنبثق من أعماق اللاشعور الذي يهدف الى اغراقنا في بحر الجهل الذي تتميز به الصفة الوهمية لذاتنا • وان هذا النوع من رد الفعل والانعكاس اللاإرادي يتطلب دفاعاً ذاتياً لذاكرات ماض ضخم ضد مقتضيات حقيقة حاضرة على نحو دائم وجديدة • وبالمثل ،

تقتضي هذه الحقيقة القضاء على سلطان الماضي لكي تهيئنا بالجاهزية التي  
تتقبل ثروات الحاضر الابداعية الخالقة \*

ومع ذلك ، نذكر أن مجرد الشعور بوعي سيروية يولد الصور على  
نحو دائم ، لا يكفي لتحريره \* والأمر كله يتوقف على نوعية الانتباه  
واليقظة الكامنين في هذا الشعور بالوعي \* وان تحقيق النوعية أو الكيفية  
التي يتم فيها الانتباه الصحيح يكون أكثر بساطة وأكثر صعوبة مما  
نفترض \* وبالتأكيد ، يتجدد انتباهنا في البدء في تحليل هذه الصور ،  
ويتوجب عليه أن يدقق بوضوح بالاشراطات المتضمنة في كل سياق من  
سياقات التحليل \*

يمتد كريشنا مورتي أن اليقظة الحقّة غريبة وعصية على التحليل \*  
فالتحليل ، في رأيه ، يتضمن سياقاً من الرجوع الى قيم تم تأسيسها مسبقاً ،  
كما يتضمن الاختيار ، المقارنة ، وتنظيم القضايا في مقولات \* وفي هذا  
التضمن والتنظيم نرسم من جديد في الحلقة المفرغة لسيروية الذاكرة  
المولدة المركزية للصور التي نأمل الخلاص والتحرر منها \* واذا كان الأمر  
كذلك ، فإن الحل يكمن في تحقيق كيفية أو نوعية يقظة جديدة بكاملها  
يحدث فيها التجرد من آليات أحكام قيمنا السابقة الماضية ، واختياراتنا ،  
وأفضلياتنا ، ونفوراتنا واشمئزازاتنا \* ويلخص كريشنا مورتي فكرته  
هذه في تصريحه التالي :

« هل يمكنني أن أراقب ، خلال حياتي اليومية ، زوجي ، ولدي ،  
وكل ما يحيط بي دون أن يعترض هذه المراقبة ظل صورة ؟ ولذا ، أراني  
أقول : اكتشفوا أنفسكم \* وأضيف قائلاً : الصمت ينشأ من هذه اليقظة \*  
وهذه اليقظة تجسد الصمت ذاته \* فهي ليست حصيلة ممارسات وتمارين  
مكررة تعود الى الذاكرة ذاتها(١٣) » \*

نتبين مرة أخرى أن المستوى الروحي فوق العقلي يكشف عن سيروية  
من السيرويات الأساسية للتحوّل الداخلي \* ويتضمن هذا التحوّل في تحرر  
من آليات العبارات وخلق صور في نظام ووضوح \* ولا يخفى علينا أن  
تحقيقاً من هذا النوع لا يمكن حصوله دون شعور بالوعي سابق على وجود  
هذه الصور في كل واحد منا \*

أما المؤلفون الآخرون فانهم ينكرون حدود صورة النفس ويعبّرون

عنها بمعنى مواز • فقد علق ألفونس دو شاتوبريان على الدور المشؤوم الذي تقوم به الصورة والصفة الوهمية للشخصية • وكتب بهذا الخصوص:

« انني أتطلع من حولي ، فأشاهد أنواعاً من الصور والأشكال ، وزواحف كريهة ، وآلاف رؤوس الأصنام وقد رسمت على الجدران • ويقف عدد كبير من القدامى الذين ينتمون الى بني اسرائيل أمام هذه الأصنام يبخرونها بمبخرة تتصاعد منها هجمة كثيفة من البخور • « يا ابن الانسان ، انظر ما يمارسه في الظلمات جميع القدامى من بني اسرائيل ؛ فكل واحد منهم يعتمد على صورة أو خزانة ذكرااته ويقول : « الأبدى السرمدي لا يرانا ؛ الأبدى تخلصي عن البلاد » •

« فيا صديقي ! ماذا يفعل كل واحد في خزانة صورته ؟ وأعني ، في روحه الخاصة ، تحت السور أو الحرم في خبايا شخصيته • ان ما يفعله كل شخص ، يكشف عنه الاله الى ابن الانسان المميز المحترم الذي يريد أن يعلم : انه يرسم على جدران زنازنته ، وغرفته الخاصة — هذه الزنازنة التي يحتجز في داخلها كل شخص — صوراً ، رسوماً وأشكالاً •

« تلکم هي الأمثال كلها التي نثقل حياتنا بها ، ولا نعرفها لأننا نهمل باننا محتجزون ومسجونون ••• وان كل ما يتراءى لنا بأنه أفكار ، انتقاهها ذكاؤنا ، ليس الا رسوماً خاطئة ، كريهة منفرة أو غريبة غير مألوفة رسمتها انفعالاتنا وجلهنا على الجدران •

« وبأسلوب آخر نقول : لا ينظر الناس الا الى الصور التي أنشأتها انفعالاتهم في ذواتهم ، في هذا النوع من الابداع الخاطئ الذي يدعونه فرديتهم(١٤) » •



## كريشنا مورتى والتحول الروحي

تسمح الدراسة التي تشير الى وجود بعض الفروق بين تعليم كريشنا مورتى من جهة وموقف يونغ ، وبخاصة كما تفهمه غالبية علماء التحليل النفسي ، من جهة أخرى ، بتحديد دقيق للمعنى الذي يقصده كريشنا مورتى بكلمة « تحول » . ففي الوقت الذي لا يتجاوز يونغ وغالبية علماء التحليل النفسي حدود الذات ، يتصور كريشنا مورتى ، على غير ذلك ، امكان بلوغ تحول روحي بعد تحقيق هذا التجاوز . ففي رأيه ان هذا التحول الروحي يتوضع في نظام طبيعي • زد على ذلك ، ليس هذا التحول شيئاً آخر سوى اجلال الطبيعة الجوهرية للكائنات والأشياء • ومن جهة أخرى ، يوافق دافيد بوهم على المعنى الذي ضمنه كريشنا مورتى في الطبيعة الجوهرية ، ويحددها بدقة بأنها كل يشتمل ، فيما يشتمل ، على الطاقات الفيزيائية وكذلك الطاقات التي نعتبرها نفسية وروحية •

وعلى الرغم من أن يونغ وغالبية المحللين النفسيين ، يسمعون الى اقامة انسجام في « الذات » والى تكيفها مع المجتمع ، والى خلاصها من التوترات المتناقضة ، لكنهم يحافظون على بقائها • ومع ذلك ، لا يمكننا أن ننكر الفائدة القائمة في هذا السياق الذي يتم فيه الانسجام طالما انه يطبق في حال المصابين بالمصائب • لكن الأمر بدأ يختلف بعد النصف الثاني من القرن العشرين • فقد أصبح التحليل النفسي أمراً مطابقاً لذوق العصر ، وأخذ أشخاص كثيرون يتلقون العلاج النفسي على الرغم من أنهم ليسوا في حاجة الى مثل هذا العلاج •

ويسمى كريشنا مورتى السياق المتبع في هذا العلاج « سياق التواصل المعدل » • ويجذب انتباهنا الى أن الذات ، في واقعها ، معدلة وأن التواصل الأساسي لشعورها المشروط يظل سليماً على الرغم من التحولات والتبدلات

المختلفة التي تجتازها • لذا ، يقترح كريشنا مورتى بديلاً لهذا « التواصل المعدل » يتمثل في تحقيق تبدل اجمالي كلي يدعوه « التحول » • ففي المحاضرة التي ألقاها في الهند ، عام ١٩٦٥ ، أكد كريشنا مورتى على ضرورة هذا التحول النفسي والروحي مقابل الفوضى والتشوش والعنف الذي يسود العالم • يقول كريشنا مورتى :

« القسم الأكبر من الدماغ حيواني يعبر عن ذاته بالجشع ، الشراهة ، الطموح ، الحسد ، الغيرة ، والعنف • ونحن نحيا في وسط هذا التشوش والفوضى ، كما نحيا هذا التناقض ، الأمر الذي جعل الروح الانسانية تبدو غير قادرة على تحويله وتحسينه من أجل تحقيق تبدل وتحول في ذاتها •

« ولا نقصد هنا أننا نتحدث عن تغيير • وإن ما نعينه حقاً فهو أمر يختلف كل الاختلاف • أننا نتحدث عن تحول كامل ، وعن ثورة كلية شاملة • ويستحيل أن يحصل هذا التحول ما لم تكن الروح خالية من كل فكر » (١٥) •

تضمّن هذه العبارة الأخيرة تحقيق حالة من الشعور الطبيعي منعتك من الاشرائط الناتجة عن الوظيفية العقلية التي نألفها والمتمثلة ، كما نذكر ، بالآلية ، والاعتیاد ، والتكرار والتواصل على نحو خاص • لذا ، يتمثل جوهر التبدل الذي يقترحه كريشنا مورتى في انقطاع تواصل الشعور الذي يحتجزنا • ونحن لا نبالي إذا قلنا أن الجنس البشري ، في غالبية العظمى ، سجين ملزمة أي مقشقة تواصل الشعور • ولما كان الانسان لا يرتاب بوجوده فمن الطبيعي أن لا يشغل أحد باله فيه ، وبالتالي يجسد مصدر همومنا • لذلك ، لا نستغرب أن يسهم هذا الجهل وبطء الفهم والخمول والقصور الذاتي في تشكيل حالة من نعاس أو حلم ، نكون فيه مستيقظين نصف يقظة ، يتحول الى رؤية كابوس • وقد استطاع جرار تيري أن يعبر عن الاشرائط المتضمنة في التوحد مع الزمان ، والدوام والتواصل تعبيراً رائعاً في العبارات التالية (١٦) :

« نحن نعلم أن المعرفة هي التعرف ، أي التذكر ؛ وهذا بدوره يعني وصل واقعة جديدة بذكرى أو تذكّار • وما المعرفة التي تعدّ البنى والتأليفات الا تصوراً في الديمومة والبقاء • أما الواقع فيشير الى أن لا شيء يدوم سوى التواني والعطالة ، وإن العمل أني •

« والعناصر التي تشكل شخصية الفرد تسوّغ ذاتها أيضاً في الدوام

بالأشكال التالية : رغبة في النجاح والفلاح ، الشخصيات المختلفة ، الخيلاء ،  
العبث ، والزهو • لذا ، كانت الكلمة والمعاناة تتوافق مع فكرة التواصل •  
ومن وجهة النظر هذه تعد التعابير التالية « استرداد الزمان المفقود »  
و « قتل الوقت » عبارات مطابقة وتعريفية • ولقد خاطب كريشنا مورتى  
الناس وأنذرهم في التنبيه الشهير التالي :

« حضرت الى العالم على هيئة الزمان ، صورة الزمان ،  
مبدد الشعوب •

وهاءنذا متأهب للساعة التي تنضج بسقوطهم •  
غير أن جوهر الزمان يمكث في الحاضر • الساعة حاضرة •

وحقيقة الأمر هي أننا لم ننقطع عن التوكيد على أهمية الاشراف  
الذي يفرضه على الروح كل من التواصل والذاكرات ، كما واننا قد  
خصصنا دراسات تفصيلية لهذه المسألة (١٧) •

وعلى سبيل الذكر نقول ان التعاليم التي تمثل درجات السرية العليا  
في عقائد بوذية زن وشان الوعرة ، والحديث منها المتصلة بالعلوم  
الفيزيائية المتطورة التي يمثلها فريتجوف كابرا ودافيد بوهم ، تتقارب  
وتلتقي على نحو كامل في هذا المجال •

أما الخفق أو النبض المبدع الذي نتذكر فيه على نحو دائم الأهمية  
الأساسية على المستوى الجوهري والأقصى للكون فانه يختلف كل الاختلاف  
عن كل تواصل •

ولقد أقامت مؤلفات العديد من الفيزيائيين الرائعين أمثال بوهم ،  
بربيرام ، ويغنر ، وبروس الدليل على وجود علاقات صحيحة بين حالات  
الشعور والميكانيك الكوانتي والجوهر الأساسي للمادة • وإذا كان الأمر  
كذلك ، فان صلات حميمة تقوم بين اللاتواصل الكوانتي وما تحت  
الكوانتي ولا تواصل الشعور •

هكذا يمكننا أن نقول ان حالات الغلاء الفاصل بين الخلايا الحية  
— بين الأفكار — تتمتع بقيمة استثنائية نادرة • وعلى هذا الأساس أشارت  
الحكمة الهندوسية والتبتية والصينية القديمة الى امكان الكشف الروحي •  
ولا يفتأ كريشنا مورتى يذكرنا بالأهمية الكشفية أو الرؤوية التي

تمتاز بها حالات الخلاء الفاصل • ويبرهن لنا كيف يكون نفوذ الذاكرة وعملها المقوي والمنشط في تواصل الماضي عقبة لغنى حالة الخلاء الفاصل • ويحدثنا كريشنا مورتى بهذا الخصوص بالكلمات التالية :

« الذاكرة عقبة في سبيل فهم ما هو » كائن » • ألم تتبين كيف أن الفكرة الجديدة ، والشعور الجديد لا ينبثقان الا متى أفلتت الروح من شبكة أو شرك الذاكرة ؟ ولما كان هنالك خلاء فاصل بين فكرتين ، خلاء يمكننا صيانتة والحفاظ عليه ، فان حالة جديدة تنتج ، لكنها لا تعد حصيلة الذاكرة •

« وفي هذا الخلاء الفاصل أو التوقف -الذي ليس هو حصيلة الذاكرة- تكمن حرية خارقة بالنسبة » للآنا « و » ما يخصني « ، بحيث ان هذا الخلاء الفاصل يتميز بلا زمنيته وأبديته(١٨) » •

يتيح هذا الخلاء الفاصل فرصة تحقيق التحول • وهكذا نعلم أن هذا التحول لا يمت الى الآنا أو الذات بصلة ، كما وأنه ليس نتاجاً لهما • ففي حالة الخلاء الفاصل يوجد ، من وجهة النظر النفسية ، ما هو أكثر من الذات والآنا •

وكما يعبر كل من كريشنا مورتى في محاورات بروكوود ، ايلول ١٩٨٠ ودافيد بوهم(١٩) ، يُعد هذا التحول التعبير المباشر للجوهر الأساسي ذاته • وفي الواقع ، يعد التحول ، في نظر كريشنا مورتى ، حالة من حالات الابداع • وفي رأينا أن أحداً من الناس لم يتمكن من توضيح شدة وجلاء حالة الابداع على نحو أفضل من توضيح كارلو سواريز • كتب سواريز موضحاً :

« نتصور انساناً مجرداً من هذه الصقالة أو التكديس الكموني للآنا • والحق نقول ان هذا الانسان يهتدي الى حالة مستمرة دائمة من الولادة الواعية ، حالة لدنة قابلة للتشكل ، حالة لينة يتصف بها الكائن الذي يدرك حضور الآن ، حالة لا تخنقها أو تضيق عليها رسوبات الزمان المتبلرة في كل لحظة ، حالة هي رجع ديناميكي لكل أن أي كل حضور من حضوراته • وفي هذه الحال ، تبدع شخصية الفرد ، وتكون المنحنى الفريد لردوده أفعاله التي تنسجم من الآن فصاعداً ، انسجماً تاماً مع الحاضر ، بحيث أنها لا تبقى في حقيقة الأمر ، رهوه أفعال وانعكاسات لا ارادية بل تكون تعبيرات

دقيقة ولا فردية للحياة الابداعية في نقطة واحدة • ويكون الفرد ، في كل آن من هذه الائنات ، نهاية أو اكمالا لماضيه ، لماضي الذرية كلها ، والأزمنة كلها ، والأكوان كلها • وعندئذ يكون الفرد غائباً عن ذاته وحاضراً في العالم ، كما يكون على اتصال مع الأشياء بحيث أنه يتبين بيقين القيمة الحققة ، والجوهر ، والأسماء التي تحملها بالنسبة للأبدية • ولكنه سيصبح لا منظوراً لنفسه ، أي أنه لا يقدر أن يرى ذاته ، وبالتالي يعجز عن أن يحدد أو يحل في مكان في الكون ذوات أو كيانات تقول «أنا هو أنا» (٢٠).

يؤيد هذا التوضيح الرائع الذي أتى به كارلو سواريز تعاليم معلمي الحكمة السرية السامية المدعوة « الطريق الوعر » وكشوف أو تجليات أو الهامات علماء الفيزياء الكبار الذين يقفون الآن على عتبة الألف الثالثة •

ولقد بسط دافيد بوهم أثناء محادثته في مؤتمر كوردو عام ١٩٧٩ نظريته التي تبين أن العالم الخارجي ، بالإضافة الى تعدد مظاهره ، مشيد على عالم داخلي أوحده ، ويستمد منه وجوده وجوهر مادته (٢١) •

تحتل هذه الحقيقة الأساسية مكان الأولوية في علاقتها بالظواهرات العديدة للعالم الخارجي الذي نألفه • وفي الواقع ، تتوافق هذه الحقيقة – الواحدة التي استشفها الفيزيائيون الكبار ، والتي حاول دافيد بوهم تفسير عملها من خلال اصطلاحه « النظام أو النسق المنطوي أو المتضمن » مع ما تعنيه جمهرة الناس بكلمة الله •

أما فريتجوف كابرا فقد استطاع أن يوضح في كتابه «طريق الفيزياء» الذي ذكرناه مراراً ، الأهمية الكبرى لوجود خلق أو نبض ابداعي خالق يعد أساساً جوهرياً للكون • ويؤكد المؤلف أن فيزيائيين آخرين ، أمثال ك. فورد ، يتبصرون بدقة ويأخذون بعين الاعتبار الدور الأصلي لهذا « الرقص » الدائم الذي تنجزه الجزيئات الجوهرية للمادة (٢٢) • ويصرح ك. فورد : « يتم كل بروتون ، بين الفينة والفينة ، هذا الرقص الذي يتحقق فيه الخلق والتدمير » •

ويصور لنا كابرا في هذا الخصوص المغزى العميق المتضمن في رمز هو من أكثر الرموز شهرة في الهند القديمة هو رقص شيفا • ويصرح قائلاً : « دلت النتائج التي بلغتها الفيزياء الحديثة أن التواتر أو التكرار النظامي والايقاع والحركة هي خصائص جوهريه للمادة وان كل مادة ، مهما كانت ،

على هذه الأرض أو في الحيّز تشارك على نحو متتابع في الرقص الكوني(٢٣) » \*

تلكم هي القواعد التي اعتمدها العقيدة القديمة « للبصيرة الصافية » في الهند القديمة التي اقتبست تعاليمها في وقت لاحق الحكمة التيبية بشكل عام ومدرسة الصراط المستقيم الأسمى بشكل خاص \* وقد عملت صديقتنا ونصيرتنا ، الكسندار دافيد - نيل المتوفاة ، أن تنقل إلينا مقطعاً اقتطفته ، أثناء محادثاتها مع لا ما من التيب خلال إقامتها الطويلة في تلك البلاد(٢٤) \* كتبت الكسندار دافيد - نيل :

« الأشياء كلها هي تراكمات أو مجموعات جواهر ترقص وتصدر ، بحركاتها ، أنغاماً \* ولما كان الإيقاع الصادر عن الرقص يتنوع ، فإن النغم الحاصل يتبدل أيضاً \* وهكذا ينشد كل جوهر على نحو دائم أنشودته بحيث أن النغم يخلق ، في كل لحظة ، أشكالاً ثقيلة أو دقيقة » \*

واستطاعت أنواع عديدة من عقيدة اليوغا ، مثل الشامانية ، أن تُعد ، خلال العصور ، مناهج ، كما بذلت جهداً لكي تعثر من جديد على أصدااء النغم البدئي الأصلي الذي يرن ويُسْمَع صدهاء على نحو دائم في قلب الكائنات والأشياء \* وقد استشف بعض هذه المناهج إمكان تكامل وتوحد في النغم ذاته بوصفه الكلمة الخالقة التي هي الحركة اللازمية لفعل الخلق ذاته \*

يعلن كابرا بهذا الشأن(٢٥) : « وفقاً للنظرية الكوانتية للمجالات ، ينشد كل جزيء أنشودته الدائمة » وتنتج أنسقة أو أنظمة إيقاعية من الطاقات - الجزيئات الافتراضية - ضمن أشكال ثقيلة أو دقيقة ( ٠٠٠ ) ووفقاً للاعتقاد الهندوسي ، تشارك كل حياة في سياق ضخ إيقاعي للخلق والتهديم ، للموت والتجديد ، بحيث أن رقص شيفا يرمز إلى هذا الإيقاع الأبدي « الحياة - الموت » الذي يمتد عبر أدوار لا منتهية » ( ٠٠٠ ) ولقد بينت لنا الفيزياء الحديثة أن كل جزيء كوانتي لا ينجز رقصاً من الطاقة فحسب ، بل « يكون » ذلك الرقص ذاته ، الذي هو خفق أو نبض خلق وتهديم » \*

وأخيراً ، لا نرى ضرورة للتشديد على فكرة التكاملية الثامة بين الأفكار التي وضعناها بشكل وجيز وتعليم كريشنا مورتسي \* فليس التحول الروحي الذي يدعونا إلى تحقيقه في أنفسنا سوى فعل إبداع يكون

تهديم سلطان الماضي واعتياداته واشراطاته النفسية فداء له • وفي الواقع ،  
يعد التحول الروحي التجلي الطبيعي على المستوى الانساني للسيرورة  
الكونية للمخلق - التهديم الذي يشكل الجوهر الفائق للكائنات والأشياء •  
وكذلك ، لا نرى ضرورة توضيح ان هذا السياق لا يضم شيئاً  
من النفي لكنه ، على غير ذلك ، يسمح بتألق امتلاء وكمال الحياة من حيث  
أنها تمتلك القدرة الخالقة والتلقائية الذاتية •

- ١٣ -

## كريشنا مورتى وموضوع القدسية

يتخيل كثيرون من الناس أن تعليم كريشنا مورتى يحفل بالالحاد • ونحن نقول لهم مباشرة بأنهم مخطئون • لذا ، لا يمكننا تصنيف تعليم كريشنا مورتى في المقولات التقليدية لمفهوم الالحاد أو المذهب التألهي • ولما كانت التصورات التشخيصية والخرافات أو المعتقدات الباطلة اللامعقولة قد شوهت كلمة « الله » وجعلتها سُخرة ، فإن كريشنا مورتى يفضل أن لا يستعملها •

وفي رأي الكثيرين ، ينشأ غموض أو لبس معين بين كلمة الله والحقيقة التي تحاول هذه الكلمة التعبير عنها • وكما يقترح علينا كورزبسكي في « علم الدلالة العام » (٢٦) ، الذي لا ينقطع عن جذب انتباهنا الى واقع أن « الكلمة ليست هي الشيء » تماماً كما أن « الخريطة ليست هي الاقليم ».

وعلى الرغم من أن غالبية الكائنات البشرية يمنحون موافقتهم العقلية لحقيقة بسيطة وجليّة في آن واحد ، لكن الكلمات تحتفظ بأثر حاسم كبير • وهي محملة بقوة كامنة نفسية هامة قادرة على تحريض ردود أفعال انفعالية وعقلية تفلت منا أهميتها وسمعتها • وعلى هذا الأساس ، يتفق جميع الناس على أن كلمة الله لا تمثل الله كما أن كلمة الحب لا تمثل الحب • والحال ، أن هذه الكلمات هي حاملات شحنة نفسية على غاية من الأهمية • وفي الواقع ، ومن وجهة النظر العملية ، تعد سعة وأهمية خلل هذه الشحنة في النفسانية الى درجة أن تردد كلمتي الله والحب دون فهمهما يخلف فينا انطباعاً لتجربة تقترب على نحو حقيقي من كلمتي الله والحب •

ذلك هو الخطأ الذي يود كريشنا مورتى تجنبه • ويعتقد أن هذا الانخداع واسع الانتشار ، وينتج عن غفلتنا واهمالنا ، ومن لا مبالاة

- ٩٨ -



ازاء القيم الملزمة لحياتنا الروحية والنفسية • فقد أسلمنا العالم الحديث، والحضارة المزعومة المتعاطمة بتقنياتها والمبالغة بعقلانياتها ، وثقافتنا الى نقطة سطحية لا تساعدنا في الغالب على الاهتمام بمعرفة أنفسنا • ولهذه الأسباب يصر كريشنا مورتى باستمرار على أهمية معرفة النفس وعلى الضرورة التي تقضي بتأسيس مزيد من النظام والوضوح على مستوى حياتنا الداخلية •

يشير واقع الحال الى أن تعليم كريشنا مورتى لا يستدعي الوضع البائس الذي تعاني منه الكائنات البشرية الذين سجنوا أنفسهم في نشاطاتهم ، وأنانياتهم ، وأنواع عنفهم ، ومطالباتهم وادعائاتهم ، وخرافاتهم ، بل أنه يلمح الى وجود حقيقة غير مشروطة ، لا زمنية ، ابداعية ، كائنة بذاتها • وليست هذه الحقيقة الا مشروطة الا الذكاء أو الوعي الحقيقي • وتتطابق هذه الحقيقة مع ما تعنيه غالبية الكائنات البشرية بكلمة الله : الاله المجرد من كل تشبيه أو تشخيص بشري ، ومطلق من أفكارنا التي تهدف الى « مقاصد » تسعى الى بلوغها ، ومنعتق من « الابتداء » ، من « الخطأ » أو « المشروع » ، من « الثواب » أو « العقاب » ، من « الغلاص » أو من « التكفير » ومن الآثام الخ •

وفي سبيل تعيين هذه الحقيقة ، يفضل كريشنا مورتى استعمال المصطلحات التالية : اللامعلوم ، اللازمي ، السرمدي ، اللانهائي • ولكي نحدد بدقة ان هذه الحقيقة هي « آخر أو غير » يتجاوز كلياً كل ما نحن قادرون على تصوره ، يعتمد كريشنا مورتى الى اقتباس كلمة « الغيرية » • ويمكننا ترجمة هذا الاصطلاح ب « الآخر مقابل الأنا » (٢٧) •

هكذا نرى أن وجهة نظر كريشنا مورتى ازاء معضلة الله وثيقة الصلة بوجهة النظر الطاوية والبوذية • فلقد صرح لاوتسو ، الحكيم الصيني ، بهذا الخصوص : « من يتحدث عنه لا يعرفه • ومن يعرفه لا يتحدث عنه » •

وإذا تساملنا عن موقف الفيزياء الحديثة المتقدمة من معضلة الله أجبننا : انها تقدم لنا فكرة مفارقة لكنها تصلح لأن تداني فكرة كريشنا مورتى بالنسبة لمعضلة الله حتى ولو لم تكن هنالك فكرة واحدة ، أو صورة واحدة ، أو صياغة واحدة تلائم القضية • ففي نظر دافيد بوم ، الفيزيائي اللامع الذي يتفق مع كريشنا مورتى ، ان الحقيقة الجوهرية للكون هي

حقل وعي دائم الابداع والخلق • ويصف دافيد بوهم هذا الابداع الدائم فيشبهه بنهر ضخّم دائم التكون والتفتح ، يشتمل في ذاته على معالم الطاقة المنظورة وغير المنظورة ، المتجلية والخفية • وفي صدر هذا الدفق أو السيلان توجد دوامات صغيرة احتياطية مؤقتة ، موهوبة باستقلال أو حكم ذاتي ظاهري ووقتي • لذا ، كان كل كائن بشري ، كل شيء ، كل جبل ، كل نجم « لحظات » تتلاشى وتفنّي في صدر هذه الضخامة الكونية اللازمة •

ثمة كلمة نسوقها وهي أننا نعتذر من القارئ لأننا نستعيد ونشرح ونعلق على هذه الصورة الأساسية والايحائية في استرجاعات كثيرة • ففي المنظور الحديث الذي بسطه الفيزيائيون الطليعيون ، يؤلف هذا النهر الضخم المتميز بخفق ابداعي دائم ليس هو الحقيقة – الواحدة للكون فحسب، بل يحتل مركز الصدارة الأصلية • لذا ، كان الكل ، كل موضوع أو شيء ، حياً كان أم لا حياً ، انطلاقة من حبة القمح ، والحصاة الى الزهرة والكائن البشري : هذا الكل لا ينضوي تحت الحقيقة الجوهرية الشاملة ويشق منها بل « يكون » هذه الحقيقة الكلية •

وما يجدر ذكره هو أننا نتحمل مسؤولية كاملة اذ نعين هذه الحقيقة بوصفها « المبدأ الالهي » ، على غير ما أتى به كريشنا مورتى ودافيد بوهم ، بشكل خاص ، اللذين يتحاشان استعمال هذا الاصطلاح للأسباب التي بسطناها في عرضنا السابق •

وفي الواقع ، يمثل الانسان الألوهة لسبب هو ان هذه الألوهة تكمن في جوهر الأشياء كلها ، الكائنات كلها ، وذلك على مستوى يتجاوز على نحو لا نهائي التمييزات التي أقمتها على نحو عام بين الموضوعات المادية الحية واللا حية ، بين الكائنات الحية وهي في ملء تفتحها وتلقها والأجسام الصلبة التي تعود للأحياء القدامى التي فعل فيها الموت مهمته ، بين الأشياء التي نصفها بالجمال وتلك التي نعتيها بالقبح • وهكذا نكون الألوهة • •  
انما النقيصة العاصلة عن قيام فكرنا بوظيفته والجهل التام يولدان مجموعة من القيم الباطلة ، الأمر الذي يجعلنا نغمر أنفسنا في كابوس التقمصات النفسية أي التماثلات الوهمية المولدة للآلام •

أخيراً ، وبناء على ما تقدم ، نبلغ اللحظة التي تمكننا من الاستشهاد، دون أن نخلق أي نوع من أنواع سوء الفهم ، بتصريح أدلى به كريشنا مورتى عام ١٩٢٨ يتعلق بقضية الله : « لا اله آخر الا الانسان النقي » •

والحقيقة هي أن تأمل هذه العبارة يقودنا الى ملاحظة أن كريشنا مورتى لم يستخدم تعبيراً شبيهاً بالتالي « ليس من اله آخر سوى الاله الكامن في الانسان النقي الطاهر » . لذا ، كان قولنا « الانسان هو الله » تعبيراً تتأكد لا معقوليته ومحاله . لكن تصريحنا « لا اله آخر الا الانسان النقي الطاهر » يتضمن مغزى مختلفاً كل الاختلاف . ويتضح هذا المغزى لدى ادراكنا أن الانسان النقي الطاهر كائن منعتق كل الانعتاق من وهم الذات . وعلى هذا الأساس ، لا ينظر الى نفسه بوصفه كياناً متميزاً ، منفصلاً . وان كل ما يفعله يشير الى أنه يتخلص من سلطان الشبكة الضخمة للذاكرات التي شكلت مقاومات لا شعوره وعارضت خلاصه وتحرره الداخلي . **اذن ، فالانسان الطاهر النقي انسان « ماتت ذاته » ، ماتت أنواع جسده ، ماتت تعلقاته، وتماثلاته .** انه معصوم عن كل أشكال الأناانية، وخالص من كل نقيصة تنتج من الفعل العقلي . وحياته الباطنية تتألف من شفافية ومن تهية أو قابلية لما هو جوهري . واذا كان الأمر كذلك ، فحري بنا أن لا نتهم انساناً ، تلك هي مزاياه ، بالفطرسه والخيلاء .

ان شرحنا هذا ، وتعليقنا على ما ورد ، يجد دعامته في نص كتبه كريشنا مورتى يؤهلنا أن ندرك ، دون أن يجتاحنا ارتياب ، أن اللحظة التي يتجرد فيها الكائن البشري من القيم الزائفة الناشئة عن نقيصة الفعل العقلي ، كفيلة أن تحرره من سراب التماثل والتطابق مع ذاته ، فيكتشف انه ، هو نفسه ، الجوهر الطاهر النقي الشامل والكوني الذي ندعوه **الألوهة .** ولكي نفهم الموضوع حقه نقول : يجدر بنا أن نصرح على نحو ملائم أن « الألوهة » تحتل من جديد مكان صدارتها وأسبقيتها ، هذه الأسبقية التي ، كما يفكر الكثيرون ، لم تفادر منزلة أولويتها أبداً . ومتى بلغنا هذه النقطة من الحديث أدركنا أن نقائص وعيوب اللغة من جانب ، واستحالة قياس الحقيقي أو استحالة التناظر معه من جانب آخر ، تنصب لنا أفخاخاً وخدعات على مستوى التعبير اللفظي . أما نص كريشنا مورتى الذي ألمعنا اليه فهو التالي :

« اذن ، الروح ذاته هو الخفي اللامعلوم ، هو الجديد ، الطاهر الذي لم يفسده أو يلوثة شيء . . . ومن ثم هو الحقيقي الذي لا يقبل الانحلال والفساد .

« ولما كان الروح متحرراً من ماضي الذاكرة ، من المعرفة ، فانه الخفي اللامعلوم . والحقيقة هي ان الموت لا يدرك هذا الروح » .

هكذا ندرك أن العالم الخارجي ، بما في ذلك الكائنات الحية ، يشكل  
قسماً من الحقيقة • فالعالم والكائنات الحية تأبى أن تكون وهماً مطلقاً  
بالمعنى المألوف لمصطلح « مايا » الذي تنادي به الفلسفات الهندية ؛ والواقع  
هو أننا نشكل عن هذا العالم وعن أنفسنا أفكاراً وهمية • ويمكننا أن نقول  
أن كل شيء هو « الهي » ؛ ومع ذلك يمكننا أن نضيف أن ادراكاتنا الحسية  
تقدم لنا صوراً عن العالم وعن أنفسنا لا تتوافق مع الحقيقة العميقة •  
ومرد هذا الى ان ادراكاتنا الحسية « تطفو على السطح » •

واذا عدنا الى الفيزياء نجد أنها توضح لنا ان النسبة الكبرى من  
الصفات والخصائص التي نميل الى أن نضفي عليها قيمة مطلقة ، مثل  
الصلابة ، والمقدار ، والكتلة ، والانطباعات الأولية الخ ظاهرات متداخلة  
ومتلاقية مشروطة بالأوضاع الخاصة المتعلقة بالملاحظين المذين يستعملون  
مقاييس ملاحظة مستقلة • ففي الوهلة الأولى ، يبدو الاثبات الذي ، ضمن  
حدوده ، نصرح أن حبة بسيطة من الرمل أو حصاة مبتذلة « الهية » في  
حقيقتها ، اثبات باطل وزائف كلياً • لكن الأمر يختلف وفق معطيات  
الفيزياء الحديثة • فقد ألقت هذه الفيزياء ضوءاً على وجهة النظر التي  
تبنتها المدارس السرية الرفيعة ، وبرهنت أن مثل هذه الاثبات كلام محال  
لا يستند الى حقيقة • وعلى غير ذلك ، أصبحنا ندرك ، في وقتنا الحاضر ،  
انه ما من شيء أو موضوع يحيا بمعزل أو في انفصال ، وان جميع الأشياء  
تنغمس أو تستحم ، ان كان تعبيرنا هذا يجد ما يبرره ، في جوهر شامل  
مشارك يكون الحقيقة الأكثر جوهرية •

نجد في دفتر ملحوظات كريشنا مورتي وصفاً لما نعتبره « الألوهة » •  
في هذه المفكرة يطرح كريشنا مورتي صفات أو خصائص رسوخ مفارقة  
وظاهرية التناقض ، وكذلك وضعاً من الأسبقية المطلقة للجوهر الأوحد  
للأعماق في علاقته بالظواهرات المتعددة للعالم الخارجي • وبهذا  
الخصوص يصرح :

« من هذا الصمت الرحب ، هداً الفكن وسكن على نحو مباغت •••  
من هذا الصمت الواسع ، أقبل ما هو الآن الكيان الصلب الراسخ الذي  
لا يتضرب • « ذلك » صلب راسخ ، لا وزن له ، لا قياس له ؛ « ذلك »  
موجود ، ولم يكن شيء الى جانبه • « ذلك » كائن دون وجود شيء آخر •  
الكلمات الصلبة ، الثابتة اللامتحركة ، الخالدة لا تتفق ، بأي شكل من  
الأشكال ، مع هذه الخاصية من الرسوخ والثبات اللازمي • وليس بمقدور

كلمة من هذه الكلمات أن تفيدنا بشيء عن « ذلك » الذي كان هنالك .  
 « ذلك » هو نفسه بكلية ولا شيء آخر ؛ انه كلية الأشياء كلها ، الجوهر » .  
 اذا عدنا الى المدارس السرية السامية نراها ، في غالب الأحيان ،  
 تستحضر المعنى المتضمن في هذه الصلابة الروحية كما تستدعي أسبقية  
 الجوهر اللازمي للأعماق في علاقته بظواهرات عالمنا التي لا تحصى .  
 وما التعابير المجسدة في كلمات مثل « جسد بوذا » أو « جسد الحقيقة » في  
 البوذية ، و « جسد المسيح » في المسيحية ، الا الأصداء المتأخرة للحكمة  
 القديمة المفقودة . أما الصرح المخيف الذي شادته غالبية المدارس اللاهوتية  
 وقوانينها المدونة الجامدة فقد أصابت بضربة قاضية القدرة على فهم هذه  
 القيم بشموليتها وتسامحها وأنزلت بالولوج الى سريتها مصيبة كبرى .  
 واننا لواجدون في قصيدة « الرؤية أو الروعة الالهية » التي كتبها  
 نيرما مايناندا الصدى الحي للحكمة القديمة (٢٩) :

أيتها الحياة الواسعة التي لا تحد تخومها !  
 أيتها الحياة الخالدة ، المتألقة ببهاثها وسناها  
 انك ، من الآن فصاعداً ، جسدي الأوحده !

أنت مسكني الأوحده !  
 أنا الألق الخفي السري ، المغفل ، المجهول ،  
 الذي يتألق في جوف الدياجير الخارجية  
 بضياء حقيقي سماوي ؛  
 اني أتجلى دائماً  
 وتتجلى معي جميع الأشياء .

عند نهايات الشعاع الأبدي الذي أكونه !  
 والى ما وراء مملكة الظلال  
 حيث اللعبة الكونية الكبرى ،  
 أشاهد نفسي الممثل الوحيد  
 في جسد النار والضياء !  
 جسدي الأوحده !

ليس المعنى المتضمن في تكامل الفردي في الكوني في كل الأزمنة الا تلك  
 الصورة التي تذكرنا بها الأشكال الأكثر تجريداً للسرية السامية . واننا  
 نجد صدى مثيلاً رائعاً في مؤلف وضعه جون بلوفلد (٣٠) .

« يتجاوز الطاو النهائي واللانهائي معاً • ولما كان الطاو هو الكل في الكل وما من شيء يقع خارجاً عنه ، فإن الكائن الذي ينتهي باسقاط وهم الوجود المنفصل والمنفرد ، لن يفقد ذاته في الطاو مثلما تذوب قطرة الندى في البحر • وفي الوقت الذي يطرح عنه تحديداته الخيالية ، لن يعود خاضعاً للقياس ، ويصبح لا محدوداً •

« ومتى فك ارتباطه من مقولات هذا العالم الذي هو الجزء والكل ، يكشف بأنه ممتد ومتسع مع الطاو • ومتى استغرق النهائي في اللانهائي ، بحيث لا يبقى غير واحد ، اتخذ النهائي ، دون أن يتعرض للانقاص ، قامة أو قوام اللانهائي •

« أولئك الذين يعتمدون المنطق لا يصادقون على هذه الحقيقة ؛ أما الذين يدركون ويعاينون المغزى الخفي ، يضحكون من حجة معتمدي المنطق الفارغة وجدلهم ولعقيم • وهكذا، يضعنا الإدراك وجهاً لوجه مع السر الحقيقي الذي يقدره الحكماء الذين حققوا كمالهم — سرّ واسع ، لا يكاد يدرك • فالروح التي تعود الى الينبوع ، تصبح الينبوع • فلقد قدر على الروح أن تصبح الكون » •

★ ★ ★

نرشد القراء الذين يهتمون اهتماماً خاصاً بموقف كريشنا مورتى المتصل بوجود حقيقة يعتبرها البعض الهية الى قراءة دفتر ملحوظاته قراءة دقيقة يقطعة •

- ١٤ -

## الحركة الخالفة المبدعة - الحركة الكليّة ال تلقائيّة - الميكانيكيّة

يشتمل التحول الروحي الذي يعدّ تعليم كريشنا مورتى كله تعبيراً أو تفسيراً له على تحقيق تبدل مبالغت على مستوى الطاقات الروحية . وقد تساعدنا بعض الشروح والتعليقات المتصلة بمقولات متعددة للحركة القائمة في الكون على اللقاء ضوء على المعنى العميق لهذا التبدل . وان كانت هذه الحركة كلا لا ينقسم ، انما نكتين نوعيات متنوعة لها .

وفي سبيل تناول جلي بالصلات القائمة بين مقولات الحركة التي سنوضحها وبين تلك الصلات التي يستدعيها تعليم كريشنا مورتى ، علينا أن نتذكر أن هذا التعليم لا يفتأ يشهر ويلقي اشراطات الاعتقاد ، الآلية ، التي تمارض تلقائيّة « حركة الحياة » . ويتضح لنا ان السياقات الميكانيكيّة للاعتقاد والتكرار تختلف عن سياقات الابداع والخلق ، والتلقائيّة ، ولازمنية الاسببية .

ويعبر كل من هذه السياقات عن ذاته عن طريق مقولات الحركة بحيث يسمح التقدم الذي أحرزته العلوم الحديثة باظهار وعرض بعض المزايا المعينة .

ولما كنا نقف على عتبة الألف الثالثة ، فان الفيزياء تتيح لنا مجال استشفاف ثلاثة أنواع من الحركة موجودة في الكون في آن واحد . وتنتشر هذه الأنواع الثلاثة على ثلاثة مستويات مختلفة من الطاقة . ويجدر بنا أن نقول ان هذا التقسيم يرمي الى سهولة العرض رغم انه كيفي بشكل ما . ويمكننا أن نضيف ان هذه الكيفية تنتج من الوضع الذي يكون فيه المراقب وكذلك من المقياس المستعمل أثناء المراقبة . لذا نرى أن جميع الناس الذين يجدون أنفسهم في هذا الوضع يلتزمون باستعمال لغتهم الخاصة

- ١٥ -

والمعنى الذي يضمنونه في قيمهم لكي يبسطوا بوضوح صحة أو شرعية التحول الروحي . وفي حال توفر هذا الأمر نستطيع أن نوضح باختصار المزايا المعينة لأنواع الحركة الثلاثة .

### • أولا : حركة التحويل أو النقل

تعد هذه الحركة المقولة التي نألفها أكثر من غيرها . والحق هو أن هذه الحركة تسوس وتنظم كلية الكون الخارجي : حركة النجوم ، حركة الطائرة ، حركة قطار ، حركة كرة المضرب ، حركة البليار ، الايماء أو الإشارة ، حركة السباق الخ . هذه هي مقولة الحركة التي يدرسها الميكانيك الكلاسيكي . ففي أثناء نقل أو تغيير متحرك من نقطة آ الى نقطة ب ، بمعدل سرعة ف ، لا يتحمل المتحرك أي تحول للطبيعة . لذا ، تظل كرة البليار كرة بليار .

### • ثانياً : حركة تحول الطبيعة

تتكشف لنا ، ونحن نتوغل الى الأعماق القصوى للمادة ، سيورات حركة تختلف كثيراً عن سابقتها . وما تعلمناه من الفيزياء هو أن النيوترونات والبروتونات التي تشكل النواة المركزية للأنظمة الجوهريّة تكون ، في كل لحظة ، موضوع تحولات خارقة . وفي غضون هذه التحولات تصبح النيوترونات بروتونات ، وبالتبادل ، بمعدل مليار مليار من المرات في اللحظة عن طريق تواضع ، أي تبادل أمكنة الميزونات ( Pions ) . Pi . وقد استشف العالم الياباني يوكاوا عام ١٩٣٥ هذا الاجراء على نحو فرضية . لكن هذه الفرضية أخذت تتحقق على نحو تجريبي منذ عام ١٩٤٧ .

واذا صح القول ، تتجمع الحركة على ذاتها وهي على المستوى الجوهري . ويقل انتشارها على نحو لا نهائي في المكان وهي تُكشف تواتراتها وإيقاعاتها بطريقة لا تصدق . وتنتشر هذه الحركة في مكان يمثل واحداً على عشرة ملايين من قطر كرة بليار . وهكذا ، يوجد اختلاف أساسي بين مقولة هذه الحركة ومقولة حركة النقل أو التحويل التي نألفها . ووفق مقياس ملاحظتنا الاعتيادية ، لا تغيّر الحركة التي تحدث نقل أو تغيير محل كرة البليار من نقطة الى نقطة أخرى شيئاً من خصائصها . وعلى غير ذلك ، تؤثر الحركة المنتشرة في قلب النواة الجوهريّة في خصائص المتحركات – النيوترونات والبروتونات . وتلك هي حركة تحول الطبيعة .



ومع ذلك ، تقع مقولتا الحركة اللتان ذكرناهما تحت تأثير الميكانيكية ، التكرار والاعتیاد • فهما تخصصان المتحركات الخاصة المستقلة • وفي حالة النقل والتحويل ، تتفرد المتحركات بوضوح وتستوجب دوائر أو حدوداً معينة • أما في حال حركات تحول الطبيعة ، لا تستوجب المتحركات حدوداً معينة ، وتكون أكثر اختلاطاً و « فضفضة » وأقل تفرداً • فهي تنزع إلى الامتزاج بالحركة التي تنشطها وتحييها •

### ثالثاً : حركة الخلق والابداع •

يتخذ وضع هذه الحركة ودورها أهمية كبرى لدرجة أنه لا يلائم أو لا يوافق أن نشير إليها بوصفها « مقولة » حركة • لكن الفيزيائيين ، أمثال بوهم ، كابر ، دوماش ، ويفنر وجوزفسون ، يعينونها بوصفها الحقيقة الجوهرية للكون • والواقع هو أننا نحاول عبثاً أن نعتد صورة ملائمة لتفسير هذه الحقيقة الجوهرية في اللغة الشائعة الرائجة •

وواقع الأمر أن هذه الحقيقة هي ، في نظر عدد كبير من الفيزيائيين كما في نظر كريشنا مورتى ، وعي كوني ذو خفق ابداعى أبدي • هي حقيقة لازمنية ، لاسببية ، ذاتية التولد ، لا مشروطة • ولا تنطبق حركة الخلق والابداع على المتحركات المستقلة المعروفة بدوائرها المحدودة • أنها تكون الجوهر الأوحـد لكل المتحركات المنفصلة ظاهرياً أو المتميزة بحسب مقياسنا • والحق يقال أن هذه الحركة هي الكيان الأوحـد ذاته ، الحاضر الذي يقع إلى ما بعد صيروراتنا كلها ، و « موجوداتنا » كلها •

تنضوي مجموعة مستويات الطاقة التي تشكل الكون المادي والنفسي ، كما تشتق ، من « حقل الخلق الخالص » الذي يحيا في حالة دائمة من التدفق والانبجاس • فكل ما يشاهده الانسان ويختبره أو يتحقق منه على المستويات المادية ، النفسية والعقلية ليس الا « المتبقي » بالنسبة لهذا الأبدى الحاضر •

وفي رأي كريشنا مورتى ودافيد بوهم ، يشتمل التحول الروحي على حقيقة تنقذنا من سلطان الحركات المتبقية للطاقة وذلك لكي تفعل فينا حركة الخلق والابداع ذاتها • ولسوف تكشف لنا عتبة الألف الثالثة عن تماثل ولقاء رائعين بين الفيزياء المتطورة التي يقودها دافيد بوهم وبين السرية السامية التي يقودها كريشنا مورتى •

ولئن كان الكون في حقيقته العميقة كونا واحداً حياً ، فلا عجب أن تكون الحركة الجوهرية حركة واحدة حية في قلب ما ندركه أو نتصوره بطريقة خاطئة عناصر منفصلة ومتفردة • وهذه الحركة الواحدة الحية هي ما ندعوها الحركة الكلية الشاملة • فكل نقطة من نقاط الكون يعزلها مقياس ملاحظتنا وموقفنا الظاهري الامتياز على نحو تحكمي ، تحوي في عمقها علم الكون كله كما تحتوي وتخفي حضور الحركة الكلية في كليتها • وهكذا ينهار قناع أو مظهر انفصال وانعزال الكائنات والأشياء على المستوى الحقيقي •

يتضمن التحول الروحي في انعتاق وتحرر من سلطان ينزع الى أن يمارس علينا التماثل والتوحد مع المعلم السطحي للأشياء الذي يجعلنا نستشفها موضوعات أو أشياء خارجية • لذا ينصحنا كريشنامورتي بتحقيق تيقظ يسمح لنا بالافلات من السلطان الضخم الذي تتصف به الذكريات والاعتيادات الفكرية التي شوحتها هذه التطابقات والتوحيديات •

وعلى هذا الأساس ، يتضح لنا المغزى المتضمن في نداءات كريشنامورتي المتكررة المتصلة بخلاص اشراطاتنا واستحضار حقيقة مبدعة شديدة الحياة • ويصرح بهذا الشأن :

« يتيح الجلاء أو الوضوح الذي يدركه المرء عن نفسه باكتشاف نموذج ، اعتياد واشراط الفكر • لذا يعني الوضوح الذاتي ومعرفة النفس رفع الحجاب أو الكشف عن السكون المبدع للحقيقة (٣٢) » •

في المحاضرة التي ألقاها في مؤتمر اوجه ، عام ١٩٤٤ ، عرّف كريشنامورتي الحكمة بأنها « تتجلى مع السكون المبدع للقلب - الروح (٣٣) » • ولا شك أن مصطلح «السكون» الذي يستعمله كريشنامورتي يثير التباين القائم بين مقولتي الحركة التي نألفهما و « الحركة الجوهرية للخلق والابداع » • وبالفعل ، تظهر المقولتان الأوليتان بأنهما بصمات أو سمات الاثارة والتحريض • أما الحركة الأخيرة فهي سمة السكون والصفاء •

وتتوضح البيئة العينية المختصة بشدة وخلق اليقظة الداخلية في مقطع كتبه كريشنامورتي في تأليفه « محادثات في الهند » عام ١٩٤٨ • يقول :

« هي حالة كينونة لاسببية ، لا تستوجب الزمان ؛ حالة نحيهاها بشدتها وحدتها • في هذه الحالة أو البيئة يتحقق تجديد ونمو لا يتصف

بالتكرار • ولا ينبثق هذا التجديد من تجربة منفصلة أو منعزلة بل من حالة اختبار دائم » •

نلمس في هذا الحديث دعوة مباشرة للحركة الكلية التي هي سيورة حركة لامنفصلة ، شاملة ، لازمنية ولاسببية • وهكذا يشتمل التحول الروحي الذي يبشرنا به كريشنامورتي على خلاص من سلطان الزمان ، والدوام ، وتواصل « ما نؤول اليه » ، والتماثل أو التوحد النفسي مع مقولتي الحركة الأوليتين • والواقع هو أن غالبية الحركات تبين وتحدد اتجاهاً ، قصداً ، وصيرورة • لذا نرى الانسان الذي يتطابق مع ذاته ويتوحد معها يرغب أن « يؤول الى مصير » ، كما يرغب أن يكبر ويتعظم ، ويمتلك المزيد ، ويسير باتجاه • وهكذا ، تتحدر الحركات التي تشير اليها أفعال التملك والصيرورة من مقولة أفعال موسومة بالاثارة والتحريض ، والخوف ، والعنف والجشع •

أما الحركة التي يشير اليها فعل « الكون » في معناه العميق ، فانه لا يُشترط بوجهة مميزة • انها توجه الشعور الى أعماقه الخاصة وتهينه ليتقبل ثروات اللازماني السرمدي التي لا تنضب • هكذا يكون التحول الروحي الذي يقترحه كريشنامورتي تجربة معاشة كاملة لحركة الخلق السرمدي •

- ١٥ -

## الأبدي الحاضر.. اللازميني أو السرمدي

يشدد كريشنا مورتى على الاختلاف القائم بين فعلية « الكون » و « المأل أو الصيرورة » . ويعتبر أن النسبة الكبرى من بني البشر محتجزون ضمن فعلية « التملك » و « الصيرورة أو المأل » . ويبدو الأمر سوياً على نحو مؤقت أن كنا نفهم أننا ، من جانب ، « ذاكرات » ، ومن جانب آخر ، أن التاريخ الكلي لتكوين كون حتى بلوغ الكائن البشري يتوضح عن طريق سيرورات ، رابطات ، وتداعيات ( التملك - التملك أكثر ) ، وتكاثر وازدياد ( التملك ، التملك أكثر ، المأل ، السير باتجاه ) . وهكذا يحمل كل كائن بشري بصمات وسمات هذه السيرورات التي لا تُمحى ، بحيث تتشكل عقب انقضاء مليارات سني الوجود .

ولقد حدثتنا فلسفات عديدة عن الأبدي الحاضر وأثار كريشنا مورتى مراراً وجود هذا السرمدي . ولسوء الحظ لا تحمل كلمتا « الأبدي الحاضر » أي مغزى في رأي الكثيرين من الناس . لذا ، يجدر بنا أن نهتنبها لصور أو أفكار مبهمة توحى لروحنا إيضاح هاتين الكلمتين : الأبدي الحاضر ، تماثلان كلمتي « اللازميني » و « الحقيقة السامية » . ولا غرو أن مثل هذه الحقائق تنجو ، ضمن كل احتمال ، من كل احتمال ، من كل تمثيل أو قصور عقلي . و عن هذا الموضوع يصرح كريشنا مورتى :

« الحاضر هو الأبدي . ففي وسط البقاء والدوام لا ندرك ما ليس دون بقاء . ولا يحصل هذا الإدراك إلا عبر الحاضر : فالإرجاء إلى الغد لا يولد الإدراك والفهم . ولا يمكن تجاوز الزمان إلا بسكون الحاضر (٣٤) » .

هكذا ندرك أن هذا السكون ليس هو سكون العدم أو اللاشيء ، أو الموت ، كما ليس هو نوم الشعور . وعلى غير ذلك ، يتميز هذا السكون

- ١١٠ -

بشدة خارقة تعود لخفق أو نبض خالق ابداعي غريب كل الغرابة عن الحركات والاحتياجات التي نألفها • ومع ذلك ، نشير الى حقيقة هي انه بإمكاننا أن نحيا الأبدى الحاضر حتى ولو لم يكن بإمكاننا أن نتمثله من خلال فكرة أو تصور أو قاعدة • وهذا يعني أننا نعجز عن تصور وادراك الأبدى الحاضر ، انما يمكننا أن نحياه • وعلى هذا الأساس ، نتساءل : كيف نحيا هذا الأبدى ونعيشه ؟

ولا يغرب عن بالنا ، بل قد نجهل ، ان هذا الأبدى الحاضر هو كيانه الحقيقي والحقيقة الأوحده لكل الكائنات البشرية • وتضم هذه الحقيقة ليس الكون وحده كما نعرفه بل يشتمل على أبعاد أخرى • لذا ، ليس بإمكاننا تحقيق التجربة المعاشة للأبدى الحاضر دون صمت داخلي ، وهدوء الفكر ، والنجاة من سلطان الذاكرات • هذا لأن شبكة الذاكرات ترهق وتربك نفسانيتنا بشكل كبير • فهي تشكل صدى الماضي اللجب الصاحب الذي يشل امكان الاصغاء الى الحاضر • لذا كان الصمت الداخلي لانتباه كلي ، متحرر من آليات الماضي المقتدرة ، هو الوحيد الذي يسمح بعيش الأبدى الحاضر • وليس هذا الصمت الا الأبدى الحاضر • ويكون هذا الصمت على نحو لا نهائي أكثر حياة مما وهبته الكائنات الانسانية المشروطة بشدة العيش •

وبالفعل ، لا نعرف سوى شدّات مثارة أو منهكة تولد تبذيرات وتبديدات كبرى للطاقة • وهذه الشدّات ظاهرية أكثر منها حقيقية • فهي تجر معها التقهقر والمهانة والانهاك أو التلف المبسر السابق لأوانه • لكن الشدة الحقّة لا تسبب أي تبديل للطاقة • وعلى غير ذلك ، تتكوّن من تضافر طاقات الشعور الممنّت من سلطان ذاكرات الماضي ، طاقات مكثفة في وقتية كل لحظة • وتتكشف هذه الشدة الطبيعية ، المترابطة والملتحمة ، والمنظمة للانتباه ، في بعد جديد • وتشكل هذه الشدة معلماً من معالم العيش اللامتصوّر للحاضر الأبدى •

ومن وجهة النظر التجريبية ، تكشف قوة المحبة الحاصلة من الصمت العقلي الحقيقي والموثوق به عن شدة ملازمة للأبدى الحاضر • ومن هذه اللحظة ، لا تكون صفة أولوية الحقيقي تصوراً • فالحقيقة تفرض ذاتها علينا بطريقة يتعذر علينا مقاومتها • فهي تبده ضباب بنانا الفكرية السابقة لكي لا يبقى لدينا سوى وضوح ونور حالة الكيان الطبيعي الأقصى •

- ١٦ -

## كريشنا مورتى وعلم الحديث

يعد كل مؤلف من مؤلفات كريشنا مورتى عبارة عن مدخل تجريبي الى حقيقة روحية تتموضع في ما وراء قيم الزمان ، الديمومة ، السببية والقوانين الميكانيكية التي تدير وتنظم العالم المادي . وفي رأيه ان هذه الحقيقة تحتل مكان الأسبقية الأساسية في علاقتها بظواهرات العالم المادي ولو استطاع كل كائن بشري الوصول اليها عن طريق ممارسة يقظة عميقة تتحقق في غضون ظروف واقعية للحياة اليومية .

لكن تعليم كريشنا مورتى لا يتخلص فحسب من التماثل والتوحد مع قيم الزمان وآلية العالم المادي ، بل يقترح علينا أن نتحرر من اطالات أو نتائج غير مناسبة لقيم الزمان والآلية في النطاق النفسي .

والكون ، في رأي كريشنا مورتى ، كل عضوي تكون فيه الوحدة الحية سرورة خلق مستمر . وبالنسبة لهذه الوحدة الحية تكون مظاهر انفصالية أو انعزالية الأشياء المادية أو الكيانات النفسية ثانوية . أما التشابه مع الفيزياء الطليعية فانه تام .

ولو كانت تجربة كريشنا مورتى لا تُرد الى معلومات علمية ، فمن الممتع أن نتفحص بإيجاز كيف ان العلوم الحديثة ، والفيزياء بشكل خاص ، تنتهي الى أن تقدم لنا عن العالم رؤية تتحرر تماماً من قيم نوفق بينها سواء مع العالم المادي أو معنا .

وفي غضون القرن العشرين ، تعقبت الفيزياء خط سير تقودنا من خلاله كل مرحلة بشكل لا يقاوم الى تطوّق - تحويل المادة الى طاقة - المادة ، ويجعلنا نستشف ما يقع وراءها وما يكمن في أعماقها الخاصة : وحدة حقيقية لازمنية ، لاسببية ، تناهز قيم الروح أكثر من تلك القيم التي

- ١١٢ -

نعزوها الى المادة • وانه لأمر ممتع أن نقدم تلخيصاً لهذه المراحل المختلفة التي بلغت على نحو نهائي شأواً بعيداً في توضيح فهم القيم التي تزودنا بتشابه أكيد مع تلك القيم التي تتبرأ من تعليم كريشنامورتى •

## □ المرحلة الأولى :

الحق اكتشاف النشاط الاشعاعي هزيمة أولى بخصائص المادة التي لا تقبل التلف أو الانقسام على الإطلاق • ففي عام ١٨٩٦ ، اكتشف العالم الفرنسي هنري بكريل ، الذي تقاسم جائزة نوبل عام ١٩٠٣ مع جوليو - كوري ، الاشعاع الذاتي ، التلقائي لأملاح البوتاسيوم •

وحوالي عام ١٩٠٠ ، أقام اينشتاين الدليل على وجود علاقة معادلة وتكافؤ بين المادة والطاقة ، وصاغها في قانونه الذي أكد فيه اينشتاين أن طاقة جسم تعادل كتلته مضروبة بمربع سرعة الضوء •

وبين عامي ١٩٠٠ و ١٩٠٥ ، وضع ماكس بلانك قواعد الميكانيك الكوانتي وأبان أن ترتيبات أو توزيعات الطاقة غير قابلة للانقسام الى ما لانهاية • فهناك حد لا يمكننا تجاوزه في صغر كميات الطاقات التي يظهر وينتشر في الظواهر الفيزيائية كلها • ولقد أطلق بلانك اصطلاح « كوانتوم » على هذه الكم الصغير • ويمكننا القول ان كل توزيع أو تقسيم للطاقة على مستوى اللامتناهي الصغير لا يكون على شكل مستمر كما يكون انبجاس ماء مستمر • انه يتشكل من « حزمات » صغيرة أو « طفرات ، وثبات » نعينها أحياناً بتعبير « الكوانتية » •

هكذا نطرح فكرتين تعارضان الأفكار القديمة التي أشارت الى عدم انقسام المادة والى استمرارها •

## □ المرحلة الثانية :

حدث بين عام ١٩٠٨ و ١٩١٩ أن عانت فكرتنا عدم تلف المادة واستقرار ودوام المادة هزيمة قطعية • فلقد أتمت جهود العالم الانكليزي اللورد رذرفورد ( ١٨٧١ - ١٩٣٧ ) الحائز على جائزة نوبل في الكيمياء عام ١٩٠٨ ، جهود هنري بكريل وجوليو - كوري حول النشاط الاشعاعي • وفي عام ١٩١٩ ، حقق رذرفورد التحول الأول للمادة عندما حول الآزوت الى اوكسجين •

عُدت نتائج هذه الاكتشافات مذهلة • وقبل هذه الاكتشافات طرح

الفيزيائي الذائع الصيت نيلز بور ، حامل جائزة نوبل في الفيزياء ، نموذجاً من الجواهر حمل اسمه • فالجواهر مكوّن من نواة مركزية موجبة تدور حولها الكتلونات مكهربة سالبة • وتتوزع هذه الالكترونات الى سبع طبقات متحدة المراكز - تندفع نحو المركز - وتدور حول النواة المركزية بواقع ٢٠٠ر٠٠٠ الى ٦٠٠٠ر٠٠٠ مليار من الدورات في الثانية .

وبالاضافة الى ما سبق ، أقامت الفيزياء الدليل على ان المسافات التي تفصل الجواهر ، مع اعتبار الفارق النسبي ، تماثل المسافات التي تفصل بين النجوم • وأدت هذه الفكرة الى انهيار معتقدين قديمين مرتبطين بالمادة • فلم تعد عصية على الفهم ، أو جامدة لا متحركة •

وانطلق عدد كبير من الفيزيائيين يطرحون أسئلة كثيرة تدور حول الطبيعة الصحيحة للمادة • وصرح البرفسور بول لانجفن منذ بداية القرن ان أياً من قيمنا المألوفة والاعتيادية التي تقترحها أدراكاتنا الحسية لا تنطبق في نطاق الأعماق النهائية القصوى للمادة : المزيد من الصلابة ، المزيد من اللانفاذية ، المزيد من الدوام ، المزيد من عدم الاتلاف ، المزيد من الاستقرار ، والمزيد من الثبات واللاحركة •

### □ المرحلة الثالثة :

تقع هذه المرحلة بين ١٩٢٥ و ١٩٣٣ • يكشف التقدم الذي أحرزته التجربة العلمية عن وجود متزامن لخاصتين متناقضتين للالكترتون : في بعض التجارب يُظهر الالكترتون سلوكاً جسيماً وفي بعض التجارب الأخرى يُظهر سلوكاً تموجياً • ففي عام ١٩٢٥ ، أسس لوي ده بروي ، حامل جائزة نوبل في الفيزياء ، ميكانيكه التموجي ، واستعاد مبدأ التكاملية الذي صاغه نيلز بور من قبله • فالالكترتون يكشف عن كونه جسيماً أو موجة متأثراً بالزاوية التجريبية التي تدرسه •

وحوالي عام ١٩٢٩ و ١٩٣٠ ، اكتشف شادويك جسيماً حياًدياً هو النيوترون ، في الوقت الذي أصدر ديراك فرضية وجود الكتلونات موجبة أو بوزيترونات • وهذا ما يؤكده اندرسون عام ١٩٣٢ •

حظيت هذه المكتشفات والفرضيات بشهرة كبيرة ، فقد أدت بدورها الى اكتشاف المادة المضادة والطاقة الذرية • وبعد ذلك بعدة سنوات ، أي بين ١٩٣٦ و ١٩٣٨ ، استعمل فرنسيس برنّ النيوترونات قذائف ممتازة



في المدفعية الذرية لتحطيم مقاومة الدروع الالكترونية التي تحمي نواة جوهر اليورانيوم ، وتوصل الى تحطيمها • وفي تلك اللحظة ولد العصر الذري الذي لا تحصى نتائجه وعواقبه • وفي غضون تجارب عديدة في الفيزياء ، تحولت المادة الى اشعاع ؛ وبالمقابل أصبح بالامكان تكثيف الاشعاع في مادة •

#### □ المرحلة الرابعة :

يعتبر الفيزيائيون هذه المرحلة اعادة كاملة للأفكار القديمة ، ومراجعة لطبيعة المادة • أما الفترة التي حدثت فيها فكانت بين عامي ١٩٣٦ و ١٩٥٠ •

في عام ١٩٣٦ - ١٩٣٧ وصف لوي ده بروي الجسيمات الجوهرية بأنها « مناطق نفوذ » أو « حزم موجات » وتمركزات أو تجمعات مؤقتة لموجات احتمال يتوجب علينا أن لا نتصورها بوصفها اهتزاز شيء مادي بالمعنى الذي نسمعه بشكل عام • وقد اضطر لوي ده بروي ، عام ١٩٤١ ، الى التصريح في كتابه « مستقبل العلم » ان « الفيزياء ، وهي علم المادة بلا منازع ، بلغت درجة تحويل المادة الى طاقة كما جعلتنا نستشف عالماً من الموجات والضوء الخالص » •

وبعد انقضاء بضع سنوات ، صرح كل من جيمس جينز وآرثر ادنغتون أن العلم جعلهما يعتبران الكون فكرة عظمى بدلا من آلة ضخمة •

هكذا ، أسهمت هذه التوجهات الفكرية بشكل غير مباشر في تشكيل « جماعة برنستون » الشهيرة الذين سنعتمد عليهم في تعليقاتنا المقبلة عندما نضع تفصيلا لتصريحاتهم • لكننا نتقدم الآن بملخص هام وأساسي لآرائهم لكي يكون القارئ قادراً على تتبع المقارنة المتدرجة بين تفكير العلماء الطليعيين وتعليم كريشنامورتي • وإذا رغبتنا في الاطلاع على النتائج التي توصل اليها غنوصيو ، أي عارفو برنستون ، فلا بد من عودة الى ريمون روييه الذي يبسط معرفتهم ويطورها في كتاب « غنوص ، أي عرفان ، برنستون » (٣٥) :

**النقطة الأولى : العالم الخارجي الذي نألفه بالاضافة الى ظاهراته العديدة هو قفا وجه أو موضع وحيد وأصلي ، هو قاعدته وأساسه •**

**النقطة الثانية : هذا الوجه أو الموضع الوحيد الذي غنى به الفيزيائيون بأنه « حقل موحد جاذبي فوقي » هو وعي كوني •**

**النقطة الثالثة : ذكاء ووعي جوهر أو ذرة لا يحتلان رتبة أدنى من ذكاء ووعي الكائن البشري ، وإنما ، قد ، يسموان أو يتفوقان عليه •**

والحقيقة هي ان كل امرئ يدرك أهمية هذه النتائج التي هي ثمرة تبصرات ومحاورات ودية قام بها عدة مئات من العلماء الذين يُعرفون بشهرتهم العالمية ، ويحمل الكثير منهم جائزة نوبل •

#### □ المرحلة الخامسة :

تتحقق هذه المرحلة بشكل مواز للمراحل السابقة • فهي تعنى بأقامة الدليل على انه يوجد في أعماق الكون المادي جوهر غير مشروط ، لازمني ، لاسببي ، ذاتي التوالد : جوهر موجود بذاته ومجرد من كل آلية • وعلى هذا السطح الآخر للكون ، أعطى كوستاده بورغار اسم « موضع آخر » • وهذا الاسم يجعلنا نفكر بـ « الغريبة » أو « الآخر » الذي استحضره كريشنامورتى أحياناً كثيرة • وأما حقيقة « الآخر » التي نألفها فتشتمل ليس فقط على المعالم الفيزيائية للكون بل الطاقات المشاركة بأفعال وعينا •

ولقد وضحت الفيزياء الكوانتية ، في تقدمها المطرد ، أهمية الاخلالات التي يحدثها كل فعل من أفعال المراقبة على العناصر المراقبة • فما مبدأ اللاتعيين الذي نادى به هايزنبرغ سوى انطلاق الجهود التي أقامت الدليل على الترابط والاتكال المتبادل بين أفعال ووعي المراقب والظواهرات المراقبة ، لدرجة ان المراقب ، كما أبان شرودنغر ، لم يعد يعتبر مراقباً بقدر ما يعتبر مشاركاً •

في مقدمة المؤلف الهام الذي وضعه الفيزيائيان الأمريكيان تارغ وبوتهوف (٣٦) ، يفسّر لنا كوستاده بورغار كيف تجاوزت الفيزياء الحديثة أفكاراً عديدة مألوفة في الفيزياء الكلاسيكية نذكر منها « فكرة انفصال الأشياء التي تمتلك خصائص ، أي امكان « معرفة » خاصة بواسطة مراقبة لا تخل بالشيء ؛ الاستقلالية المتبادلة أو المشتركة العائدة للملاحظات عديدة لانتقال أو تحول كوانتي •

هكذا تتوضح ، شيئاً فشيئاً ، أهمية الطاقات المعبأة في كل فعل من أفعال المراقبة ، ووحدة الكون أيضاً • وبهذا الخصوص يكتب كوستاده بورغار :

« تمثل أماننا مفارقة اينشتاين • وما تتضمنه هذه المفارقة هو وجود تداخل تموجي بين كل أفعال الوعي — ارادية كانت أم معرفية — مهما

كانت قصية عن بعضها ، على نحو زمني أو مكاني • الكون كله يهتز  
للتساوق والفة التناغم ، ان تجرأنا على القول ، في وضوح شفاف ، •

## □ المرحلة السادسة :

لم يستجب الفيزيائيون استجابة كاملة لمضامين مبدأ التكاملية الذي أعلنه نيلزبور وتبنّاه لوي ده بروي في ميكانيكه التومجي • وبمقتضى هذا المبدأ ، يتم التسليم بمراقبة الموجة للجسيم • ولكن الصعوبة الكامنة في هذا المبدأ هي صعوبة ضبط الاثنين في آن واحد • ولقد أدّى هذا الرفض أو الانكار الناتج عن تصور مرافقة متزامنة للاثنين معاً الى طرح أسئلة عديدة في عقول العلماء لم تترك اجابات لها •

لكن مبدأ التكاملية ، في رأي كل من كوستا ده بورغار وألفونس غاي، ليس الا سبيلاً لفظياً يهدف الى خلاصه من تناقض ظاهري • والحقيقة هي ان الموجة وحدها موجودة بقدر ما نستطيع رؤيتها • أما المعلم الجسيمي فليس هو الا معلماً تداخلياً ، بالمعنى الذي يتحملة المعلم الظاهري •

ان اقامة وزن للفعل الذي تخلفه سلوكات الشعور على الظاهرات المراقبة تعود الى تحولات عميقة في معنى القيم التي وضعتها الفيزياء الكلاسيكية • فثمة الزام يجعلنا نتجاوز التداخلات الاعتيادية المألوفة بين الصفة الشخصية الذاتية والظاهرية التداخلية على نحو فريد لادراكاتنا الحسية كلها • والواقع هو أن هذه الادراكات الحسية لا تزودنا بمعلومات عن الحقيقة العميقة الواقعة تحت الظاهرات الخارجية • لذا ، كانت هذه الادراكات مفيدة لنا بحيث أنه لا يمكننا الاستغناء عنها للعيش الوافي على صعيد الظاهرات •

أما على صعيد أعماق المادة الذي يسميه البعض « داخل أو باطن » الأشياء ، كما يسميه البعض الآخر « قاعدة وموضع » الكون ، فان الأمر يختلف اختلافاً كبيراً • ولا شك ان الفيزياء المتطورة والمتقدمة تنسجم تماماً مع موقف كريشنامورتي ، وهو : ثمة الزام يدفعنا الى تجاوز التداخلات الاعتيادية بين الفكر المراقب ومقاييس المراقبة المستعملة والظاهرات المراقبة • ولما كان جوهر المادة والوعي شيئاً واحداً في ذاته ، فان واجب تجاوز ثنائية المراقب والظاهرات المراقبة ينطبق ، بالطريقة ذاتها ، على فيزياء وعلم نفس الكائن البشري •

اذن ، فاتخاذ موقف الفيزيائيين الطليعيين مفعم بهذا الخصوص بشكل خاص \* وعلى هذا الأساس يصرح كل من كوستا دو بورغار والفونس غاي بما يلي : لا يظهر المعلم الجسيمي الا بمقدار ما يتجلى وعي أو عائق يلزمه على الكشف عن وجوده » \*

تزدنا الفوتونات بمثال بسيط يتصل بما نحن في صدد اقامة الدليل عليه.عندما نصعد الى ارتفاع عال يميل لون الفضاء الى أزرق عاتم ، الى لون بنفسجي ومن ثم الى ظلمة \* لذا ، كان الضوء ظاهرة تداخلية \* واذا كان الأمر كذلك ، فان الضوء – الفوتونات – لا يتجلى في تألقه الا في حال تداخله مع عائق هو الأرض \*

يعبّر البروفسور رويه عن رأيه ويصف هذا الوضع بالكلمات التالية: « الفضاء الذي لم يمتلئ بخطايا البشر مكان مدلهم مثل باطن الأرض \* والأنباء المنتقلة في المكان – الزمان تظل مواداً استعلامية ما لم يتم تحويلها عن طريق الكائنات البشرية الذين يستخدمونها(٣٧) » \*

وفي الواقع ، ليس جوهر الكون ، ان هو تجرد من معامله التداخلية ، سوى اشعاع \* ويتصاعد هذا الاشعاع الخالص في التجارب التي وضعها كريشنامورتى(٣٨) \*

## □ المرحلة السابعة :

آلت النقاط المختلفة السابقة الى ثورات كبرى قلبت مفهوم قيمنا المؤلف \* ولقد نتج هذا الانقلاب من المؤلفات والبحوث الحديثة التي قام بها فيزيائيون كبار أمثال بوهم ، كابران ، جوزفسون ووينغر \* ففي رأيهم ان جوهر الكون ليس مجرد اشعاع خالص بل ان هذه الحقيقة – الجوهر تحتل مركز الأولوية في علاقتها بالمظاهر العديدة للعالم المؤلف \* وهكذا يعتبر أولئك الفيزيائيون الكون وحدة عضوية هي قطعة واحدة ، الأمر الذي جعلهم يعتبرونه حياً واحداً \* ولما كان الفيزيائيون الطليعيون يتحدثون عن الكون بالطريقة المذكورة ، فانهم لا يتصورونه ، كما تفعل غالبية الناس ، من خلال الهيئة المؤلف للتعلم الظاهري للأشياء والكائنات \* فهم يهدفون الى القول ان الكون هو الحقيقة الأساسية التي تشتمل على ظاهر وباطن الكائنات في آن واحد ، ويمنحون الباطن أي الداخل الأسبقية \* وهكذا تستحضر كلمة « كون » في عقول العلماء الطليعيين حقيقة حياة ، شبيهة بنهر ضخم يكون دفته أو سيلانه انبجاساً دائماً مستمراً \* وما يدعوه

أولئك الفيزيائيون « الحقل الموحد الجاذبي الفوقي » ويعتبرونه وعياً كونياً شاملاً ، قضية يمكن مقارنتها بغفق أو نبض خالق مثابر هو « الموت - الحياة » ، أو « الخلق - التدمير » • ويتضح عدم ملائمة أو كفاية هذه الصور للتعبير عن الحقيقة بكلمات نستمدّها من ادراكاتنا الحسية • لذا ، تقتضي الضرورة اكتشاف لغة جديدة ، تعمل على تصاعد رؤيتنا القديمة الظاهرية للكائنات والأشياء •

يبدو لنا أننا في وضع يسمح لنا استعمال لفتنا القديمة المشروطة ، وفق قياس معين ، لكي تميّننا على شعور بوعي اتساع مدى الثورات التي أحدثتها الفيزياء المتطورة • ويسمح لنا هذا الوضع أيضاً ، وبصورة غير متوقعة ، أن ندرك النقطة التي بلغتها في نطاق مفهوم القيم وفي نظام للفكر شبيهين بما اقترحه كريشنا مورتى •

وإذا عدنا مرة أخرى الى صورة النهر الكوني الذي اقترحه دافيد بوهم ، شاهدنا في صدر هذا النهر العظيم الكائن ، تماماً كما نشاهد على ضفتي الأنهار المألوفة لدينا ، دوامات صغيرة تدور حول ذاتها وتمضي في اتجاه معاكس لمسلك السيلان العام • هكذا يكون كل كائن بشري ، وكل شيء آخر ، مهما كان منفصلاً ومستقلاً في ظاهره ، « لحظة » مؤقتة في صدر ضخامة النهر الكوني • وقد تدوم هذه « اللحظة » قرناً ، بل قد تدوم ملايين السنين ، لكنها تظل مؤقتة وتنضوي تحت جناحي النهر طالما أنها تستشف وجودها من كلية النهر الكبير •

يصرح دافيد بوهم في كتاب حديث بما يلي :

« تتضمن النظرية الكوانتية والنسبية ضرورة أن نعتبر العالم كلاً لا يتجزأ ، تستند اليه وتتأسس فيه أجزاء الكون كلها ، بما في ذلك المراقب وأدواته ، وتتحد في كل واحد • وفي هذا الكل ، يكون أسلوب المشاهدة الذرية والجوهرية تبسيطاً وتجريداً لا تصح الا في قرينة محددة •

يحق لنا أن نسمي هذه الطريقة الجديدة للرؤية « الكل إلا منقسم للدق أو السيلان المتحرك » • وتتضمن هذه الرؤية معنى هو أن الدق يحتل مكان الأولوية في علاقته بالأشياء التي تبدو بأنها تتشكل وتنحل في هذا الدق •

« وفي هذا الدق ، لا يقوم انفصال بين المادة والروح لأنهما ليسا جوهرين متباعين • فهما معلمان مختلفان لحركة واحدة لا تقبل الانقسام » (٣٩) •

يتعين في هذا الكلام واقع هام ، يعبر فيه كريشنامورتى بقوة ودقة عن مفهوم الأولوية في دفتر ملحوظاته \* وفي حديث له عن ولوجه محراب هذه الحقيقة ، كتب :

« ذلك » وجود ، ولا يوجد شيء الى جانبه ( ٠٠٠ ) « ذلك » هنالك دون أي شيء آخر ( ٠٠٠ ) ، « ذلك » كلية الأشياء كلها ، الجوهر « (٤٠) »

وعلى غرار كريشنامورتى يستدعي دافيد بوهم الصعوبات التي تشرطها الكائنات البشرية حينما يحاولون التوصل الى ما هو عليه جوهر الوجود من لا مشروطية ولا نهاية غير قابلة للقياس \* كتب بوهم :

« ما يستطيع المرء القيام به ينحصر في أن يهب انتباهه الكامل وطاقاته الابداعية ليسهم في الوضوح والنظام داخل كلية الحقل الذي لا يقبل القياس \* ولما كانت الحقيقة البدئية الأصلية تقع الى ما وراء كل ما هو مدرج في الأشكال الثابتة للقياس فيجب على طرق الرؤية أن تتوقف عن ملأمتها لأنها تفسح المجال لأشكال عديدة من الفوضى والارتباك »

« ومع ذلك ، لما كانت كلية ما هو قابل للقياس مفتوحة على طريقة الرؤية الأصلية والابداعية ، دون أن يقف أمامها عائق أو حد ثابت ، فإن مفهوم القيم الذي نمزوه الى العالم يبطل أن يكون جامداً ، وتصبح كلية الحقل القابل للقياس متناغمة ، وذلك لانتهاء سياق التقسيم والتجزئة \* ومع ذلك ، تكون طريقة الرؤية الأصلية الابداعية في كلية الحقل القابل للقياس عملاً من أعمال لا نهاية غير قابلة للقياس » \*

في هذا الكلام نلقى تماثلاً كلياً في اللغة يستعمله كريشنامورتى ، ليس في العمق وحده بل في الشكل أيضاً \*

وانطلاقاً من محادثات بروكوود ، في نهاية عام ١٩٨٠ ، طرح كريشنامورتى قضية معرفة ما يجب على الكائنات البشرية فعله للولوج والدخول بحيث يصبحون مهئين لقبول الحقيقة الجوهرية اللا مشروطة التي تؤلف الكون ، الكائنات والأشياء \*

وضمن خلاصات هذه اللقاءات ، ظهر أنه لا يطلب منا «فعل أي شيء» بالمعنى الاعتيادي لهذا الاصطلاح ، كما ظهرت ضرورة احلال النظام في لا نظامنا والشعور بوعي الاشرطات التي ترهقنا وتذلنا \* وفي كلمات أخرى ، ليس

ثمة ما يمكننا أن « نجريه » أو نحدثه على الحقيقة ، وذلك لأننا ، في هذه الحال ، نظل سجناء حلقة مفرغة تفرضها علينا اشراطاتنا • ولدى ممارسة انتباه متيقظ ، متحرر من سلطان اشراطات المعلوم والمُدرك ، ومنعتق من نفوذ ما هو قابل للقياس ، نحقق صمتاً داخلياً في غضون تستطيع الحقيقة أن تجري عملها فيها • ولن تكون هذه السيرة من صنعنا بقدر ما هي فعل ما هو جوهري فينا •

يضيف دافيد بوهم : « متى تحققت طريقة الرؤية هذه ، يتوقف المصدر عن التولد عن تصورات سبق طيها وتضمينها في حقل ما هو قابل للقياس ، لكنها تتولد من لا نهائي غير قابل للقياس يشتمل على العلة المكوّنة لما يحدث في الحقل القابل للقياس • لذا ، يحيا ما يقاس وما لا يقاس في انسجام وندرك أنهما معلمان لكل واحد لا ينقسم » (٤١) •

تلکم هي الحالة التي تعتبر الغاية القصوى للحالة الطبيعية للعيش • وأحياناً يصفها كريشنا مورتى بأنها فن الحياة في « المعلوم والمُدرك » الذي يستقر في أساسه على اللامعلوم واللامدرك • وهذه الحالة هي وجهة نظر أعلنها الكاتب الطاوي وي وو وي (٤٢) في الكلمات التالية : « يلخص الكل بأنه فن حياة على نحو شيء في ذاته - نومن - وسط الظاهرات - فنومن » •

وان ما يصرح به دافيد بوهم حول فعل ما لا يقاس في ما يقاس نجده واضحاً في كلمات فرتجوف كابرأ :

« انقضى وقت طويل عانت فيه رؤيتنا للعالم من التقطيع والتجزئة ، وأعني أنها كانت مشروطة » بما هو قابل للقياس ؛ انقضى هذا الوقت الطويل ونحن نخضع لسلطان مايا ونعتقد بأننا مميزون عن بيئتنا ووسطنا ، ونستطيع أن نتصرف بمعزل عنها ، الأمر الذي جعلنا سجناء كارما •

« يعني التحرر من فتنة وسحر مايا - ما هو قابل للقياس - وتحطيم قيود كارما - عجلة الوجود - ، التحقق من أن جميع الظاهرات التي ندركها بحواسنا هي عناصر تمت بصلة الى حقيقة واحدة •

« وهذا يعني انه يتوجب علينا أن نختبر ، على نحو واقعي وشخصي ، حقيقة ان كل شيء ، بما فيه أنفسنا ، هو الجوهر القدسي • » (٤٣) •

## □ المرحلة الثامنة :

لا تُحد الفيزياء المتطورة باعتباريات تم ذكرها وايضاها • وما كتابات وجهود دافيد بوهم ، وويغنر ، وبريبرام ، ودوماش ، الا توضيحات واكاملات لبعض المعالم التي لا نقدر استشفافها الا على نحو ملخص • واذا كان الأمر كذلك ، فتقتضي الحال انقلاباً كلياً لأفكار تقترح علينا كلمات مثل « خلاء » أو « حقيقة » أو « جوهر مادي » أو « مادة » • وقد اعتبر اينشتاين ان المادة ليست هي أكثر من تموج أو تجعد على صدر ضخامة العقل الموحد • وصرح فريتنجوف كابرا بهذا الخصوص : « على غرار اينشتاين يعتبر المعلمون الروحيون الشرقيون هذه الوحدة التحتية هي الحقيقة الواحدة ، كما يعتبرون تجلياتها الفينومولوجية ظهورات عابرة ووهمية » •

يطور دافيد بوهم هذه اللفظة ويعبر عنها بالكلمات التالية : « تتمثل هذه الطاقة في الحيز الخالي ، والمادة كما نعرفها ليست سوى موجة صغيرة في هذا البحر الضخم • ويتموضع هذا البحر في النظام المتضمن المنطوي ، وليس في الزمان والمكان • غير ان كلية الكون ، التي تشمل المكان والزمان والمادة التي ندركها ، هي التي تتجلى في هذا التجعد أو التمزج الخفيف » (٤٤) •

بهذا الاتجاه تعلن الثورة الكبرى : عدم اعتبار « الخلاء » عدماً بل امتلاء • وبالاتجاه ذاته يصرح دافيد بوهم :

« في كل الأشياء يعد الجوهر في العوامل والوسائط التي تشارك في اللعبة محيط الطاقة الضخم الذي يمثل ما ندعوه الحيز الخالي الذي « يمتلك » في حقيقته • والكون المادي ، كما نعرفه ، « تجعد أو تموج » بسيط لا تشارك فيه العوامل في المجموع الكلي الا بطريقة لاجوهرية تكاد تكون متلاشية » (٤٥) •

هكذا يبرز الاحساس والمعنى المتضمن في قيمة جديدة شيئاً فشيئاً : أولوية حقيقية تزداد أهمية ، حقيقة جوهرية لا تكون فيها المادة التي نألفها الا انبثاقاً أو صدوراً ، هو في الحقيقة ، أقل جوهرية مما نمتقد بالنسبة الى رفعة وت فوق ادراكاتنا الحسية • ويوضح دافيد بوهم بهذا الشأن :

« ان ما ندركه بأحاسيسنا ونعدّه حيزاً خالياً هو في الحقيقة امتلاء يكون أساس وجوهر كل وجود ، بما فيه نحن أنفسنا • أذن ، فالموضوعات



المدركة بحواسنا هي أشكال وصور مشتقة ، بحيث انه لا يمكننا ادراك مغزاها الحقيقي الا باعادتها الى « الامتلاء » الذي نشأت منه وتوطدت فيه قبل أن تنفضي حتماً الى النهاية » (٤٦) \*

هذه النظرة الى الأشياء تبدو لنا جديدة وثرية تماماً أعلنتها النصوص الكلاسيكية للحكمة الهندية والتبتية والصينية القديمة . وتنظر الحكمة الى العالم المألوف بوصفه ظلاً لحقيقة أساسية . أما التجارب السامية التي اختبرتها هذه الحكمة السرية الفائقة فانها تعزو لهذه الحقيقة القاعدية صفة الأولوية ، صفة أساسية شبيهة بتلك الصفة التي تُضفى على الذين يناهزون منهم الجسمانية أو الطبيعية المادية الكونية .

أما جسم المراقب ، والموضوعات التي تحيط به ، وكون الكائنات والأشياء ، فتدخل في الدرجة الثانية ، كما وأنها تشتق من الجوهر الأقصى أو « الحقل الموحد » . وتفرض هذه الحقيقة نفسها على رؤيتنا الداخلية بوصفها « جسماً كونياً » عن طريق أولويتها الكلية الاختراق ، والانبثاق ، والكلية الحضور والوجود ، والجوهرية .

يستحضر كائناً هذه الفكرة المدهشة في الكلمات التالية (٤٧) :

« تشدد التقاليد الشرقية على تجربة الجسد الكوني وتمتبرها المدخل الى التجربة السرية للعالم ( ٠٠٠٠ ) فالروحاني السري يدرك كمال الكون ، أي كله ، بوصفه امتداداً للجسد » \*

نفس المفسر المتضمن في العبارة السابقة في قصيدة « الكون جسدي » (٤٨) \*

وراء غصن الموت  
الذي حمل نُسغ الأزهار والثمار ،  
أمثل النور الخفي السري  
المتألق في ربيع دائم \*

الكون جسدي  
جسدي الأوحـد !

جسد الصمت والسكون العظيم !  
 الصمت العظيم ، الكلي الحضور ،  
 الصمت الأعظم ، الكلي الانبثاث والاختراق ،  
 جسد النور الالهي \*

★ ★ ★

يوضح دافيد بوهم الثورة التامة التي حدثت في الفيزياء  
 الفنوصية - العرفانية - وقلبت المفاهيم المألوفة \* يقول بوهم :

« يضطرم النظام المتضمن أو المنطوي في كماله وكله بشيء  
 ما لطيف دقيق يتعذر لمسه \* ولما كان لا محسوساً ، لطيفاً ورقيقاً في جوهره  
 فيجدر بنا أن نتخذة قاعدة ومصدراً أساسياً للفعل \* ذلكم هو الانقلاب  
 الكامل الذي وقع في نطاق الاجراء الاعتيادي : عوضاً أن نشق أو نستمد  
 اللطيف الرقيق من الكثيف المحسوس بصورة مجردة ، نستمد هذا المحسوس  
 الكثيف من اللطيف الحاذق على هيئة مجردة » (٤٩) \*

هكذا نجد أنفسنا من جديد نوكد التماثل القائم بين هذا المفهوم  
 الجديد للجوهرية المادية لما نسميه « اللطيف الرقيق » والعلاقة التي يخبرنا  
 بها كريشنا مورتى حينما يطرح اقتراحه بصدد الملامسة أو التماس مع  
 « اللطيف الحاذق » \*

اذن ، فالتصدي الذي يستدعيه كريشنا مورتى ازاء «صلاية ضخمة»  
 يتقارب بشكل أكيد وصريح من مفهوم القيم الذي شرحتة الأشكال المتطورة  
 للفيزياء وذلك فيما يخص الميزة التامة للجوهرية المادية التي تعود للجوهر  
 الأقصى للكون \*

□ المرحلة التاسعة :

تتوغل اكتشافات وبحوث الفيزيائيين ، يوماً بعد يوم ، الى الأعماق  
 القصوى للمادة \* وتترقى الأدوات والوسائل المستعملة في هذه البحوث  
 بحيث أنها تسير في خط مواز مع معطيات فيزياء نظرية مجهزة بأدوات  
 رياضية يزداد اتقانها وكمالها \* لذا ، ينصب عدد من الفيزيائيين ، أمثال  
 لورانس ، دوماش ، وويغثر على دراسة الطاقات التي توضح موضع

الحركة عن طريق أفكارنا ، أحكام وعينا وفعل أو تأثير تداخلاتها مع الظواهرات الملاحظة .

وفي نهاية القرن العشرين نتصدى ، ونحن نفوس في حقل الفيزياء الكوانتية ، لمرحلة تنأى كثيراً عن تلك المرحلة التي هيمن عليها مبدأ اللاتمين الذي جاء به هايزنبرغ ، وتكشف عن استحالة تعيين أو تحديد مركز الالكترون وسرعته في آن واحد . وقد حصل هذا الكشف من واقع ان طرائق البحث استفادت من استعمال أدوات قياس أحدثت انقلابات وتشويشات هامة في الظواهرات الملاحظة . ولهذا السبب ، نؤكد ان ماحدث بعد لقاء الاضطراب في الالكترون ، وقد هدف الى مراقبته ، هو ان التأثير الحاصل وقع نتيجة تأثير طاقات شبيهة بطاقاته تقريباً . وقد أقام شرودنغر ، فيما بعد ، الدليل على وجود تفاعل بين المراقب والمراقب . وفي الوقت الحاضر ، يصرح الفيزيائيون ان القياس في حقل الفيزياء الكوانتية هو الذي يشكل الظاهرة .

والحقيقة ان اصطلاح « القياس » لا يذكرنا فقط بمبدأ الفيزيائي اوجين غوي الذي يصرح ، وهو متفق في رأيه مع الفيزيائي فرديناند غونسث ، ان « المقياس أو القياس المعتمد في الملاحظة يخلق الظاهرة » ، بل أن هذا الاصطلاح ، وهو القياس ، يحتوي ، على صعيد الفيزياء الكوانتية ، موقف فعل الوعي والشعور الصادر عن المراقب .

ولا نبالغ في قولنا ان بحوث وجهود دافيد بوهم تهدف الى اقامة الدليل على وجود وحدة الوعي والشعور ووحدة المادة ، كما تسعى الى البرهان على كلية الكوزموس ، أي ان الكون كل - واحد . وفي هذه الوحدة تتحقق فكرة أولى هي : تفاعل كوني للعناصر تحت الجوهرية كلها، وفكرة ثانية هي : حركة كلية . وينتج عن هذا ان تغيّر نقطة ، أي كانت، للعالم الخارجي يحدث أثراً أو رد فعل ، في الحال ، يرتد حتى المجرات البعيدة في الكون .

بالاضافة الى ما ذكرناه عن ان الجوهر الأقصى للكون والعالم المادي هو وعي كلي الحضور لأن واحد ، يشتمل كل جزء من أجزاء الكون أي كل نقطة خاصة ، على علم الكل قاطبة .

هكذا ترجع الفيزياء الحديثة الى بارامتر - ثابت - جديد هو : الهولوغرام . ويعد كابر ، بوهم ، وبريبرام وفيزيائيون آخرون أنصاراً

رئيسين ، بين الأنصار الآخرين ، لهذا العلم الجديد « الهولوجرافي » \* ففي منظور كارل بريبرام - وهو أستاذ علم النفس والطب النفسي في جامعة ستانفورد - يعتبر الوعي الانساني والدماء الذي يستعمله هذا الوعي « هولوجراماً » تكمن وظيفته في تفسير وشرح كون هولوجرافي - كلي \* .

\* \* \*

بالإضافة الى ما تم عرضه وبحثه ، يقيم الفيزيائيون علاقات وثام بين حالات النظام وترايط المادة وتماسكها عند درجة الصفر المطلق أي - ٢٧٣ درجة تحت الصفر ، وبين حالة النظام وترايط الصفر العقلي أو سكون الفكر وهدوئه . وهكذا ، تتميّن الحالة « الكريمة » للمادة بالتماسك والالتحام والنظام . وتدعى هذه الحالة ، حالة الانتروبي السالبة ، في مقابل حالة الانتروبي التي تحدث أو تسبب الفوضى والارتباك والتشويش - اللانظام . اذن ، فالحالة الكريمة « للوعي والشعور ، هي أيضاً ، حالة نظام وتماسك تنشأ من صمت أو سكون أو هدوء عقلي .

يصرح ويغفر ، حامل جائزة نوبل في الفيزياء ، ان « الصلة الوثيقة بين الوعي والشعور والنظرية الكوانتية للقياس تقتضي توضيح طبيعة الوعي ذاته » . ولا شك ، ان هذه الطبيعة تسلك مسلك الموجة في الميكانيك الكوانتي :

تلکم هي الأسباب التي دعت بعض جماعات الفيزيائيين والاختصاصيين في الفيزيولوجيا العصبية الى دراسة مخبرية لمميزات التحولات الكوانتية ، والنظام والتماسك على صعيد الطاقات الكهربائية الملازمة للسيورورات أو للتطورات الدماغية طالما أن التأمل يحقق الانتقال من حالة شعور أو وعي مضطرب أو متداع يتميز بالأفكار - انتروبي - الى حالة وعي أو شعور خالص ، خال من الفكر - انتروبي سالبة .

بناء على ما تقدم ، هدفت البحوث التي أجريت في معهد ميرو في سلزبورغ في سويسرا وتمت باشراف الفيزيائي الذائع الصيت لورانس دوماش الى دراسة التسجيلات الحاصلة عن متأملين قادرين على تحقيق فترات من الصمت العقلي . ولقد ساعد على انجاز هذه التسجيلات التصوير الكهربائي للدماغ . وحول هذا الموضوع كتبت الدكتوراة تيريز بروس ما يلي : (٥١)

« تتكشف لنا ، نتيجة لتناقص أو هبوط القاعلية العقلية ، تحولات تتجه عن طريقها حالات الى حالات أكثر انتظاماً وترتيباً وأكثر رحابة وانبساطاً . ويلاحظ تماسك وترايط مكاني ينتشر الى النطاقات التي تم تسجيلها ، الأمر الذي يشير الى ان التزامن يؤثر في الدماغ الأيمن أكثر مما يؤثر في الدماغ الأيسر . ويحدث هذا في اللحظة التي يصبح فيها التنفس أمراً ثانوياً ، ويسجل الفكر - في ذات الوقت الذي يتم فقد الشعور الذاتي - اتساعاً للوعي . في حالة لا منتهية ، يعقبها جلاء ووضوح كبير للروح والخلق ( ٠٠٠ ) وليس هذا الا برهاناً على ان الوعي لا يعتمد على الأفكار بالقدر الذي يريده علم النفس الغربي » .

وقد استطاع فريق من علماء الفيزياء الشهيرين أن يتبنوا وحدة المادة والوعي ، بحيث أنهم مدّوا بحوثهم الى نطاقات الحياة الداخلية والتأمل للذين هما الحصن المنيع الذي تقيم فيه السرية السامية . وهكذا تتوافق الفيزياء العليا على نحو واقعي مع السرية الفائقة .

ان ما ذكرناه عن صمت المتأملين العقلي الذي سُجلت خلاله السيروتات العقلية ، يؤكد صحة السيروتات التأملية التي عرضها كريشنا مورتى . وفي الواقع ، أقام كريشنا مورتى تمييزاً دقيقاً بين حالات الصمت العقلي المحققة قصداً ، بوصفها فعلاً من أفعال الاختيار أو الارادة من جانب ، وحالة صمت عقلي ناتج من تحول نفسي أو روحي من جانب آخر ، في غضونه يُنزع القناع عن الطاقات التي تمهدا الاضطراب العقلي لتتضرب في ينبوعها .

وعلى هذا الأساس ، لا يستطيع أحد أن يبدي رأيه في الآخرين على نحو قبلي ، خاصة وان الأمر لا يقتضي سياقاً يتجلى في نطاق المودة النفسية للكائن البشري . وبالتأكيد ، توجد احتمالات كبرى لا تكون فيها حالة صمت عقلي ناتج من فعل اختيار حالة انحلال كامل للتوترات الملزمة لسيروتات « الأنسا » . ونحن لا نستطيع ، بفعل واحد من أفعال الاختيار أو الارادة ، أن نحقق التحول النفسي والروحي الأساسي . لذا ، لم يتوان معلمو عقيدة شان القدامى في الصين المريقة ، أمثال هوي - نينغ وشن -

هوي عن ترداده الحكمة التالية : « ان كان تأملك فعلا من أفعال الاختيار ، وصمتك العقلي حصيلة فعل ارادي حر ، كنتَ خارج الطريق » .

خلاصة القول : ان كانت تسجيلات حالات الصمت العقلي المحققة بتصميم حر تشهد لنظام وجلاء وترباط ، فبالأحرى ، يتوجب علينا أن نعتبر الصمت العقلي التام الناتج من التحول النفسي والروحي الذي اقترحه كريشنامورتي حالة نظام وترتيب وتماسك وانسجام ووضوح • وتتضمن هذه الحالة في ذاتها المحبة التي تؤلف الثروة الجوهرية • ونحن نقدر ان ارتباطات القوى المتبادلة المذهلة بين الفيزياء المتطورة وبعض معالم تعليم كريشنامورتي التي تم بحثها في هذا الفصل تستحق أن تسترعى انتباهنا والتأكيد عليها •

★ ★ ★

- ١٧ -

## الموعد العظيم

يمكننا أن نحسس المعنى العميق المتضمن في التحول النفسي والروحي الذي ظهرت فيه خصوبة تعليم كريشنا مورتى بأنه اجراء يختلف كثيراً عن الاجراء المتبع في التحقق العلمي . واننا نستشهد في هذا السبيل بالقطع المكافئ للقاء أو « الموعد العظيم » الذي ذكره معلم التيت العظيم سام تشان كام با . وسوف نرى كيف أن هذا القطع المكافئ يجد مكانه بين حكماء وشعراء الصين القديمة .

وفي رأينا ان كل كائن بشري قادر ، في كل لحظة من لحظات حياته ، أن يحصل على اللقاء العظيم لوجوده . ويكشف هذا الموعد العظيم ، لكل من شاء تحقيقه « هنا والآن » عن بيئة ثرية كل الشراء ، وشديدة كل الشدة لدرجة ، لدى المقارنة ، تبتهت ازاءه المواعيد أو اللقاءات الرومانسية الملتهبة . . . ومع ذلك ، فنحن بحاجة دائمة الى هذا اللقاء أو الموعد العظيم . ونتساءل عن سبب هذه الحاجة ؟ يكمن الجواب في أننا نتخلف دائماً عن الوصول . وعوضاً عن أن نكون هناك ، حاضرين في الحاضر ، متجذرين في اللحظة الجديدة ، نبلغ أو ندبو في كل لحظة جديدة ونحن مسحوقون ومتعبون تحت ثقل ووطأة ذكارتنا المتراكمة . فكل ثانية حاضرة تحتوي على كل شيء فريد من نوعه ، يتعذر استبداله . أما نعمة المحبة الرائعة ، وبركة القوة والنور التي نتهيا لها فتفلت منا على الدوام .

واننا لواجدون في العبارة التي يرددها كريشنا مورتى « اننا معتقلون في ما هو مستمر » عظة كبرى . ومرة أخرى ، نلمح الى التواصل الظاهري للشعور الذي خصصناه بعدد من الشروح والتعليقات . وان كلية الكائنات البشرية ، على وجه التقريب ، تعيش سجيئة ملزمة أي مقشقة تواصل

- ١٢٩ -

الشعور ، الزمان والدوام • وفي الواقع ، يشكل الاحساس بالانزلاق المستمر للشعور في الديمومة والزمان ستارة تحجب عن بصرنا الداخلي الحقيقة العميقة لكياننا • وهكذا نعد أناساً متغيبين أو مبعدين لسبب هو أن عائقاً داخلياً يحول دون بلوغ وطننا الحقيقي • ويتصف هذا العائق بصعوبة كبرى بحيث أنه يتعذر علينا ازاحته أو ابعاده كما كنا نفترض • وينشأ هذا العائق من غريزة البقاء التي تتحد برباط قوي مع الشبكة الكبرى للذاكرات تشكل لا شعورنا •

واننا نكرر ، ما رددناه في أماكن كثيرة ، ان هذه الشبكة من الذاكرات التي يرقى أصلها ومنشؤها الى مئات ملايين السنين ، تتواصل بسرعة مكتسبة ثابتة وتعارض كل محاولة تؤدي الى انقطاع تواصلها • ولكن الحقيقة ان الذات غير موجودة والشعور ليس متوصلاً • وكما يجبر كريشنامورتى بهذا الخصوص :

« لا وجود لمفكر دون أفكاره • • • ويمد الفصل بين المفكر وأفكاره خدعة أو مناورة يقوم بها المفكر ليمنح نفسه الدوام والطمأنينة والأمن » (٥٢) •

في الواقع ، ليس ثمة تواصل حقيقي في الشعور بل ان مثل هذا الشعور يبدو مستمراً من جراء السرعة ، والانظام ، والتعقيد والتوترات الملزمة للسرورة العقلية التي نألفها •

ولقد أثّرنا ، مرات كثيرة ، التماثل القائم بين التواصل الظاهري للشعور والتواصل الظاهري لايماءة الممثل الساقطة على شاشة السينما • فالتواصل الظاهري لصورة ذراع ترتفع ينشأ في الحقيقة ، من تتابع سريع لمتتالية صور تشغل فيها الذراع في كل مرة وضعا يزداد ارتفاعاً بخفة ورشاقة • لكن الواقع هو أن وقفة ومهلة تحدثان بين كل صورة • ولا تبان لنا هذه الحقيقة لأن سرعة تلاحق الأحداث تخفيهما • وبالمثل ، ينشأ التواصل الظاهري للشعور من سرعة وتعقيد أفكارنا •

ومن حين الى حين ، يذكرنا كريشنامورتى بوجود لحظات تقع بين الأفكار • لكن هذه الفواصل تكون مشوشة ، مختلة ، ويكون تلاحق احداثها معقداً وسريعاً بحيث انه يستحيل علينا تبيينها واكتشافها • وبالإضافة الى ما ذكرناه ، ترهقنا شبكة الذاكرات التي تشكل الطبقات العميقة للشعور



– بحيث ان رموزاً عديدة تتشخص في مصطلح « الانسان العتيق » – لدرجة ان ادراك حالة الفصل يضع أيامنا هذه موضع الخطر •

نستنتج أن اللقاء أو الموعد العظيم الذي استحضره شعراء الصين القدامي هو الامتلاء الروحي الذي يتجلى في اللحظة الفاصلة ، في الحالة الفاصلة • ولقد تحدث الأقدمون عن شدتها وفتنتها التي لا تقاوم وروعها الداخلية • وللسبب ذاته استعمل كريشنا مورتى كلمة « وجد » عندما يعهد الى الشعور بالشدة الرائعة التي تقبل التحول الى الحقيقي • وتستوجب حالة الوجد هذه حالة مجردة من الموضوع ، وليس حالة مجردة من الوجد •

وقد اقتبسنا بعض الفقرات التي تخص الحالة الفاصلة بين الأفكار ، شدتها ، حريتها ، خصيصة الخلق فيها ، موضوعيتها ، أثناء المحادثات التي قدمها في مدراس في شهر كانون الثاني من عام ١٩٤٨ ونشرت باللغة الانكليزية على هيئة مذكرات غير منقحة • تحدث كريشنا مورتى عن هذه الحالة الفاصلة كما يلي :

« حينما يكون فعل الذاكرة معلقاً ، تكون الروح صافية ، رائعة ومشرفة • وعن طريق التيقظ الدائم ، يحدث فاصل في اللحظة التي يتوقف الفكر عن التدخل • وتحدث حالة من التركيز دون حضور فكر يركز •

« واتساع الفاصل بين فكرتين يهب قدرة فائقة لبلوغ أية فكرة قادرة على الظهور في هذه اللحظة الفاصلة • ويتميز هذا الفاصل بيقظته ونشاطه ، وعدم تمييزه ، ووجوده غير الفعال ، وجلائه • وتحيا هذه اللحظة الفاصلة بذاتها • وهكذا لا أثابر في اصراري قائلاً « يتوجب عليّ أن أعيش » •

« تلك حالة لا تعرف سبباً أو علة لها ، ولا تستوجب زماناً ، لأنها حالة تتسم حياتها بالشدة » •

في سبيل تجنب سوء فهم يجتاح روح القارئ الذي يعكف على دراسة المقطع المذكور أعلاه ، نرى من واجبنا أن نحدد بدقة ان « اتساع الحالة الفاصلة بين فكرتين » لا يمكن أن يكون حصيلة فعل ارادة الأنا • ففعل ارادة الأنا هو ، بحد ذاته ، فكرة قصدية تخلق بمجرد حضورها شدة تشكل كل امكان لقابلية التهيو الصحيح ، الموثوق به • ولا يغرب عن بالنا ان مكائد « الأنا » حاذقة بقدر ما هي سريعة وعديدة لا تحصي • وفي الواقع ، يخشى الانسان العتيق القابع في كل واحد منا « الموعد العظيم » ، ويقفل على نحو دائم الباب الوحيد الوحيد لسجننا الذي يمنحنا الولوج الى

الخلاص في الامتلاء والكمال • ويتجلى فتح هذا الباب الذي يرمز الى العالم الداخلي في الصور المجردة التي رسمتها الحكمة السرية السامية • ويلمح كريشنا مورتى ذاكراً :

« ماذا تفهم حين تستعمل كلمة « أنا - ذاتي » ؟ ألا تعلم ان عدداً كبيراً من « أنا » قائم فيك ، وهو في تبدل أو تغير مستمر ؟ ذلك هو الكيان المتعدد ، حزمة الذاكرات التي يتوجب علينا فهمها وليس الكيان الوحيد الظاهري الذي يلقب « الأنا » • لذا ، لا يفتح باب الولوج الى الأبدية ما لم ينضبط الفكر ، ما لم نفهم السياق في كليته ، » (٥٣) •

في مؤلف هام خاص بالعلاقات بين اشراطات الزمان التي نالفها وما نعتبره « أبدياً » نعيد الى أذهاننا بعض التعليقات والشروح التي تقدم بها الحكيم الهندي اناندا ك • كوما راسواي وبسط في آن واحد التشابه والتكامل مع مفهوم القيم الذي تلقى صعوبة التعبير عنه ، وفي الوقت ذاته نحاول عرضه وتوضيحه • يكتب المؤلف وهو يتحدث عن الأهمية الأساسية لكلمة « الآن » :

« ذلك الذي لا يشتمل في ذاته على ماض ومستقبل ، يجب أن يكون الآن ، ولا يمكنه أن يكون غير ذلك • لكن الكلمة التي تحفل بمعنى « الزمان المنصف » تشير الى المناسبة أو الفرصة السانحة ، أي المنفذ أو الفتحة ، كما تشير الى أن هذا الفاصل يفتح ويفلق ثانية على نحو متواصل ما دام الزمان ينقضي ، ولا ندرك الفرصة السانحة لتحقيق تلك اللحظة » (٥٤) •

يضيف كوما راسواي الى ملاحظته : « ثقب الابرة » و « الباب الضيق » في جدار الفردوس • ويحرس هذا الباب الروح العليا للعقل الذي يتوجب علينا قهره ان كنا نريد الدخول • ويرشدنا الى ما يلي « تجاوز هذا المستنقع اللزج الدبق - شبكة الذاكرات - ولا تدع مجالاً لانقضاء اللحظة ، ذلك ان من يدع اللحظة تنقضي يأسف ويندم • • • » •

بالتأكيد ، تتطابق الحالة الفاصلة بين الأفكار ، التي ذكرها كريشنا مورتى ، مع رمزية « ثقب الابرة » التي تتيح سبيل التجاوز الى امتلاء جوهرنا العميق الذي يختلط مع جوهر الأشياء كلها • ويتوجب علينا المرور من « الباب الضيق » الذي يفتح ويفلق لعجب واندهال « الموعد العظيم » في ألق النور والمحبة •

نمود فنذكر ببساطة ورزانة الكلمات الثلاث التي تفوه بها حكماء الصين القديمة ليعيّنوا هذا التحقيق الذي عده الكثيرون أمراً غير قابل للتحقيق : عد الى نفسك •

## مراجع القسم الثاني

- ١ - راجع الصور الفوتوغرافية الحديثة التي تكشف ، للمرة الأولى ، عن وجود النويات الكروية في المؤلف الشهير الذي وضعه غاردنر وسنوستاد .
- ٢ - التأمل الحقيقي ، نشوء ، نمو وتحلل سراب الذات .
- ٣ - جان شارون ، الروح ذلك المجهول ١٩٧٥ .
- ٤ - ستيفان ثوباسكو ، الماديات الثلاث ١٩٧٥ .
- ٥ - روبرت لنسن ، « العلم والروحانية » و « ما بعد المصادفة والمصادفة المضادة » .
- ٦ - ديمون رويته ، « عرفان برنستون » ص ٦٥ . ١٩٧٤ .
- ٧ - ديمون رويته ، المصدر السابق .
- ٨ - ديمون رويته المصدر السابق ص ١٧٨ .
- ٩ - نيرمايانندا ولنسن ، الروعة الالهية ١٩٨١ .
- ١٠ - ج . كريشنا مورتى ، يقظة الذكاء ص ٤٨٣ و ٤٨٤ .
- ١١ - ج . كريشنا مورتى ، يقظة الذكاء ص ٧٩ .
- ١٢ - ج . كريشنا مورتى ، يقظة الذكاء ص ٥٤٧ .
- ١٣ - ج . كريشنا مورتى ، يقظة الذكاء ص ٥٥١ .
- ١٤ - الفونس ده شاتويريان ، رسالة الى العالم المسيحي المحتضر ص ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ . ١٩٥١ .
- ١٥ - كريشنا مورتى ، احاديث في الهند ص ٥٥ . ١٩٦٥ .
- ١٦ - جرار تيري ، دنو الحدث ص ٥٧ .
- ١٧ - كريشنا مورتى ، بيسيكولوجيا العصر الحديث ص ٦٨ .
- ١٨ - كريشنا مورتى ، الحرية الاولى والاخيرة ص ٢٧٨ .
- ١٩ - دافيد بوهم ، الكل والنظام المتضمن والمنطوي ١٩٨٠ .
- ٢٠ - الكوميديا السيكلوجية ص ٢٣٩ .
- ٢١ - بوهم ، كابر ، جوزفسون ، بورغار ، العلم والوعي ١٩٨٠ .
- ٢٢ - ك . فورد ، عالم الجزيئات الاولى ص ٢٠٩ .
- ٢٣ - فريتنجوف كابر ، العلم والوعي ص ٢٤٦ .
- ٢٤ - الكسندرا دافيد - نيل ، الرحلة التيبية ص ١٨٦ و ١٨٧ .
- ٢٥ - الكسندرا دافيد - نيل ، المصدر السابق ص ٢٤٩ .
- ٢٦ - ه . بولا - ده فيتلار ، مدخل الى علم الدلالة لدى كورنيليسكي .
- ٢٧ - كريشنا مورتى ، دفتر ملحوظات ١٩٧٦ .
- ٢٨ - كريشنا مورتى ، دفتر ملحوظات ص ٣٩ .
- ٢٩ - نيرمايانندا ، الروعة الالهية ص ٦٠ ، ١٩٨١ .
- ٣٠ - ج . بلوفل ، الطاوية الحية ص ٢٧٧ .
- ٣١ - حرره غولانزه ، لندن .

- ٣٢- كريشنا مورتى ، كريشنا مورتى يتحدث ص ٣٦٠
- ٣٣- كريشنا مورتى ، محادثات أوجه ص ٣٦٠
- ٣٤- كريشنا مورتى ، كريشنا مورتى يتحدث ص ٣٨٠
- ٣٥- كريشنا مورتى ، منشورات فايار باريس ١٩٧٤
- ٣٦- بوتيهوف وتارغ ، عند تغوم الروح ص ١٣٠ ، ١٥ ، ١٦ باريس ١٩٧٨
- ٣٧- ريمون روييه ، غنوص برنستون
- ٣٨- كريشنا مورتى ، دفتر ملحوظات
- ٣٩- دافيد بوهم ، الكل والنظام المنطوي لندن ١٩٨٠
- ٤٠- كريشنا مورتى ، دفتر ملحوظات لندن ١٩٧٨
- ٤١- دافيد بوهم ، المصدر السابق ص ٢٥٠
- ٤٢- واي وو واي ، كل شيء آخر عبودية ، هونغ كونغ ١٩٧١
- ٤٣- فريتهوف كابر ، طريق الفيزياء ص ٢١٥
- ٤٤- فريتهوف كابر ، العلم والوعي ص ١٠٨ ، ١٩٨٠
- ٤٥- دافيد بوهم ، المصدر السابق ص ١٢١
- ٤٦- دافيد بوهم ، المصدر السابق ص ١٠٩
- ٤٧- فريتهوف كابر ، طريق الفيزياء ص ٣١٠
- ٤٨- نيرمانيانندا ، الروعة الالهية ، باريس ١٩٨١
- ٤٩- العلم والوعي ص ١٠٥
- ٥٠- كريشنا مورتى ، المصدر السابق ص ٣٩ و ٧٦
- ٥١- تيريز بروس ، مجلة يوغا الطاقة عدد كانون الثاني - آذار ١٩٨١
- ٥٢- كريشنا مورتى ، مقالة في معرفة النفس ص ٢٢٠ باريس ١٩٧٠
- ٥٣- كريشنا مورتى ، كريشنا مورتى يتحدث ص ١١٣
- ٥٤- اندرا كوماراسواي ، الزمان والابدية ص ٤٤ ، باريس ١٩٧٧

★ ★ ★

## ملاحق :

### ملاحظات حول اللامتناهي الصغير في العالم الحي

نشهد ، ونحن نعبر عتبة الألف الثالثة ، ان الأسرار التي تكتنف  
اللانهائي الصغير للعالم الحي في طريقها الى الكشف عن أعماق حقيقتها •

وعلى هذا الأساس ، تتخذ الفيزياء والبيولوجيا وجهة أصيلة  
وأساسية ، تعمل ، كما نتمنى على حل المعضلة المرتبطة بأصول  
الكون والحياة •

ولقد سبق أن شدد الدكتور روجيه غودل على أهمية هذه الوجهة  
في مؤلفيه : « الحياة والتجديد » و « مقالات حول التجربة الحرة » (١) و (٢) •

يسير هذا الاتجاه ، على نحو الزامي ، الى المركز حيث يوجد الباطن  
العميق الذي تحيا فيه الكائنات والأشياء •

هكذا نعلم أن بحوث الفيزيائيين الرائعين ، أمثال دافيد بوهم ،  
الأستاذ في جامعة لندن (٣) ، واوجين ويفنر (٤) ، الذين بذلوا جهوداً كبرى  
لدراسة العلاقات القائمة بين جوهر المادة ، والوعي والفكر ، أقامت الدليل  
على أهمية هذا الاتجاه •

وينتج هذا الاتجاه من واقع ان تحليلنا ينطلق بالتأكيد من العالم  
الخارجي ، وأعني من السطح الذي نمكنه مركز الصدارة والأولية •  
وكما يعبر ريمون رويه ، يقودنا هذا الوضع بشكل طبيعي الى « اعتبار  
المظهر الخارجي للكائنات والأشياء » (٥) •

واذا كان الأمر كذلك ، فان اكتشافنا ينطلق ، الزامياً ، من السطح  
لكي يتوجه الى المركز أو الباطن • ويتخذ هذا الاكتشاف مساراً مغالفاً

أو معاكساً للمسار الطبيعي الذي يتخذه التطور الكوني الشامل الذي ينطلق من العالم الخفي للاظاهر ، اللامتجلي « للأعماق » إلى العالم الظاهري المتجلي الذي نألفه • وهكذا ، يتشكل هذا العالم الظاهري من ظاهرات « السطح » بحيث ان الادراكات الحسية والصور تحصل نتيجة للتداخلات ومقاييس الملاحظة المتعددة •

ولا شك ، ان الاتجاه « الى المركز » الذي تحدثنا عنه يعني اتجاهاً يعيّن وجهة الاكتشاف • ومع ذلك ، يتيح لنا هذا الاتجاه فرصة التوغل الى الينبوع أو المصدر الأولي لحقيقة واحدة تنبثق منها موضوعات وكائنات العالم الخارجي •

هكذا نؤكد ، على نحو خاص ، الواقع الذي يشير الى ان الانبثاق الصادر من أعماق العالم الميكروسكوبي ويتجه شطر العالم الماكروسكوبي الذي نألفه يسلك اتجاهاً غير قابل للعكس • وتعد هذه اللامعكوسية جوهرية في أساسها •

في هذا الخصوص ، يكتب البروفسور اليا بريغوجين(٦) : « اننا نجد أنفسنا في عالم تشكل فيه العكسية والاحتمية صورة حالات خاصة ، وتكون فيه اللامعكوسية والاحتمية الميكروسكوبية القاعدة » •

وان الوجهة التي يتخذها اكتشافنا ونحن نتوغل الى المركز تبلغ ليس عالم اللانهائي الصغير الذي يشكل ، ان كان يمكننا القول ذلك الحد بين العالم الخارجي الجلي والعالم الداخلي الباطني ، بل تصل بنا الى أعماق عالم غير متجل ، خالٍ من كل التداخلات التي نألفها • وهنالك تتكشف لنا حقيقة هي أن الحيزّات « الخالية » حيث تغيب الجزيئات القصوى ليست عدماً أو لا شيئاً •

نحن نعلم ان الجسيمات النهائية الموجودة على مستوى الداخل أو الباطن العميق للمادة تنفصل عن بعضها بحيزّات كبيرة تماثل ، ونحن نحفظ بالتناسب ، الحيزّات التي تفصل عوالم اللانهائي الكبير •

يقول دافيد بوهم(٧) ان هذا الغلاء الذي نعهده عدماً هو في حقيقته امتلاء • ويطبق هذا الغلاء ذاته ، بالطريقة ذاتها ، على الحيزّات « الخالية » للانهائي الكبير •

وتشير الفيزياء والبيولوجيا انه بقدر ما تكون الجسيمات أو العناصر التي تتألف منها الخلية مراكز ولا نهائية صغيرة ، يزداد اقترابها من الحد الفاصل بين الزمان – المكان الفيزيائي والزمان – المكان النفسي الذي أقام الدليل على وجوده فيزيائيون عديدون •

والحقيقة هي ان ما بسطناه لا يجرنا الى ترفع أو لا مبالاة ازاء المعالم الماكروسكوبية والمحيطية أو الخارجية للكون • فمن وجهة نظر الخصائص المعينة للعناصر ، يلعب المحيط أو الخارج دوراً أهم مما يلعبه المركز • وما من شيء يبلغ بنا الى فردانية الكائن البشري سوى تجمع وتجاوز لا تنامي الخصائص السطحية والمحيطية للجواهر •

أما في الفيزياء الكيميائية ، تعتمد الخصائص المعينة للعناصر على العدد وعلى ترتيب أو تنظيم الالكترونات السطحية أو المحيطية وليس على المركز •

ولا غرو أن تكون ضخامة تعقيد الجزيئات التي تحققت بفضل تنسيق الالكترونات المحيطية للجواهر التي تشكلها هي التي أدت الى توجيه التطور نحو تشكيل الكائنات البشرية القادرة على ادراك وتبيين السيرورات •

ويخص هذا الشرح خارج أو ظاهر الأشياء والكون الخارجي • « فالخارج أو الظاهر » و « الباطن أو الداخل » ، والمركز أو المحيط معلمان متكاملان • ولكن العناصر ، في هذا التكامل ، لا تحتل مركزاً واحداً • ومن وجهة النظر الاونولوجية يحتل « الباطن أو الداخل » مركز الصدارة والأولية •

يكشف لنا البروفسور دافيد بوهم ان أولوية الداخل في علاقته بالخارج أساسية في الفيزياء • ويصرح « عارفو أي غنوصيو برنستون » ان ما ندركه بوصفه عالمًا خارجيًا ليس الا القفا أو الوجه المتعدد الشكل لموضع أو حد يكون القاعدة الأصلية •

وان تحقيق الولوج الى هذه المنطقة الأساسية للكون المتجلي منوط بتطواف ينطلق من محيط أو سطح الأشياء والكائنات ويبلغ مركزها • وخلال هذا البحث والاستقصاء تتكشف لنا ضرورة قصوى تتمثل في تجرد أو تحرر من نفوذ وسلطان الادراكات « السطحية » والحسية لكي نكون متهيئين لقبول مفهوم قيم يختلف كل الاختلاف • وفي الواقع ، ان تدبكرنا

ان الكل حركة في الكون وسعينا لبلوغ مستوى الدفع المبدع الجوهرى  
الذي تتولد منه مقولات الحركة كلها ، يجعلنا ندرك ان توجيه بحثنا  
لا بد وأن يكون الى قلب وليس الى محيط المنظومات الجوهرية •

وعلى هذا الأساس ، يندر أن تكون الدراسة الدقيقة لمنظومة جوهرية  
من زاوية المقولات المختلفة للحركات قد تمت بالفعل • فلو اننا انطلقنا من  
الالكترونيات المحيطية لندخل بالخيال الى أعماق المركز ، لرأينا كيف تكشف  
لنا النواة عن عالم من الحركات التي هي حركات تحول طبيعة المتحركات  
أكثر منها حركات نقل وتحويل مألوفة لا تؤثر بشيء في طبيعة المتحركات  
المنقولة أو المنتقلة •

وعلى مستوى أكثر مركزية وأكثر عمقا تتجلى أمامنا الحركة الكلية ،  
هي حركة خلق خالص تخص الدفع الخالق المبدع ، حركة تنتشر على نحو  
لا زمني وفي تزامن كامل في الكون كله •

في هذا المنظور الفيزيائي الذي نرى فيه « المسيرة باتجاه المركز » ،  
يكون الجوهر أكثر أهمية من الذرة أو الجزيء ، كما تكون نواة الجوهر  
أكثر أهمية من الكترونات المحيط • ففي هذه النواة يتركز ٢٠٠٠/١٩٥٠  
من الكتلة الكلية للمنظومة • ومثل هذا الأمر لا يحول دون ضرورة بحث  
أو تنقيب يكشف باطن الالكترون • أما اتجاه « المركز » الذي أشرنا  
ينطبق بالتساوي ههنا • ولقد أقام جان شارون الدليل على هذا الواقع (٨) •

تكشف المكوّنات الواقعة في النوية ، والنيوترونات ، والبروتونات ،  
والميزونات - بي ، عن سيرورات تكون فيها المعاني المتضمنة أكثر أهمية ،  
من وجهة النظر الاونطولوجية ، من المجموع الشامل الكلي للجوهر •  
ولقد دفع بنا اكتشاف المكوّنات دون البروتونية أو تحت النيوترونية  
( نارك ، كوارك ، بارك الخ ) الى الأمام باتجاه الأعماق القصوى • وها  
نحن نتساءل : ماذا بعد ذلك ؟

الحقيقة ان « الجوهريين » وهم الفيزيائيون الذين يتبنّون تصوراً  
على أساسه يعد الكون صريحاً أو بناءً مكوّناً من لبنات قصوى متفردة تدعى  
« الكوارك » أخذوا يتراجعون • فلقد دلت التجارب المكتملة في  
السيكلوترونات عن وجود تنوعات كثيرة من « الكوارك » • وما ان بدأ  
الفيزيائيون بتعيين ثلاثة أنواع منها حتى وجدوا أنها تكاد تبلغ العشرين •  
ويتضح ان الموضوع لن يتوقف عند هذا الحد • لماذا ؟ لأننا نجد أنفسنا



عند هذا المستوى الأقصى لأعماق المادة ، في المنطقة الحرجية الواقعة بين العالم الخارجي المتجلي وعالم الحقل الموحد فوق الجاذبي . ولقد عرفه العلماء السوفييت بتعبير أحسنوا اختياره ، هو « محيط المادة الأولى أو الأصلية » .

أما الاكتشافات التي توغلت الى أعماق جوهر المادة فقد وضعت الفيزيائيين في وضع شبيه بوضع مراقب من خارج كوكب الأرض يكتشف محيطاتنا للمرة الأولى . ومنذ الوهلة الأولى لبخته واستقصائه ، وفي وقت هادئ نسبياً ، ينشأ انطباع فيه بأنه اكتشف العنصر المكوّن للمحيط : الموجة . لكنه بعد أن يقوم باستقصاءات مكتملة يعترف بوجود أنماط من امواج : صغيرة ، متوسطة ، وكبيرة . . .

وأخيراً ان كان المراقب يتصف بذكاء كاف يساعده على التحرر من التأثير العادي الذي تفرضه تحليلاته التجزئية ، يدرك ان حقيقة واحدة تنصدر الأولى هي : كلية المحيط . فالأمواج ليست في تنوعها سوى ظاهرات تداخلات ثانوية مع الظروف المتبدلة للوسط . تلكم هي مجازفة « الكوراك » . ولهذا السبب ، وضع الفيزيائي فريتجوف كايبرا ، في الآونة الأخيرة ، دراسة نستخلص مغزاها من عنوانها : الكواركات بدون الكواركات » .

واننا نستشف في هذه الدراسة وضوح موقف غالبية الفيزيائيين الطليعيين الذين ينضوون تحت اسم « بوتستراب » ، لأنهم أثاروا السيادة المطلقة التي يمارسها الترابط المتداخل والمشارك المتبادل للجسيمات القصوى في علاقتها بفرديتها الظاهرية .

وان ما نذكره في حقل الفيزياء بشأن أهمية المركز واللانهاشي الصغير ينطبق أيضاً في حقل البيوكيمياء الذرية . وانا نخص بالدرجة الأولى حقل ذرات د<sup>+</sup>ن<sup>+</sup> و ر<sup>+</sup>ن<sup>+</sup> .

أما الوقائع ، التي لم تشرح شروحاً كاملاً ، المتعلقة بانتقال معلومات شيفرة الوراثة والوقائع المرتبطة بشرح وتوضيح الزمان - المكان النفسي فلم تفسّر على نحو واضح الا ضمن قياس يسمح اكتمال أدواتنا باكتشاف حقل اللانهاشي الصغير في البيولوجيا ، وفي الكيمياء الحيوية الذرية اكتشافاً دقيقاً . ويخضع هذا الحقل لنظام يبلغ قياسه واحداً على عشرة ملايين من الميلمتر . وتدعى هذه الوحدة « وحدة أنغستروم » .

ونلاحظ ان التقدم في هذا الحقل خطا خطوة الى الأمام \* فمنذ عام ١٩٦٢ ، وبفضل البحوث التي قام بها كل من كريك وواطسون ، حاملي جائزة نوبل ، خاز الدور الذي تقوم به ذرة رن.١٠ الملولة والبنية التي تتكون منها ملحقا أولاً من الاعلامات \* وفي عام ١٩٨٠ برهن البروفسور غاردنر من جامعة يوتا والبروفسور سنوستاد من جامعة مينسوتا وجود كروموزوم نواة خاص جداً مشارك ل رن.١٠٠ \*

وما نحن نذكر القارئ بأن دن.١٠٠ جزيء ذو شكل لولبي لنا بضع مرتخ طويل رهيف ( انظر الرسم رقم ١ ) \* وان ساق هذا النابض يسع ل ٢٥٠ انفسثروم \* وتحتوي هذه الساق التفافاً لولبياً من جزيئات دن.١٠٠ ويتشكل جزيء دن.١٠٠ من سلم حلزوني مضاعف ( راجع الرسم رقم ٢ ) \* ويرتبط كل من هذين السلمين الحزونيين بجزيئات كبرى تشكل



Fig.1

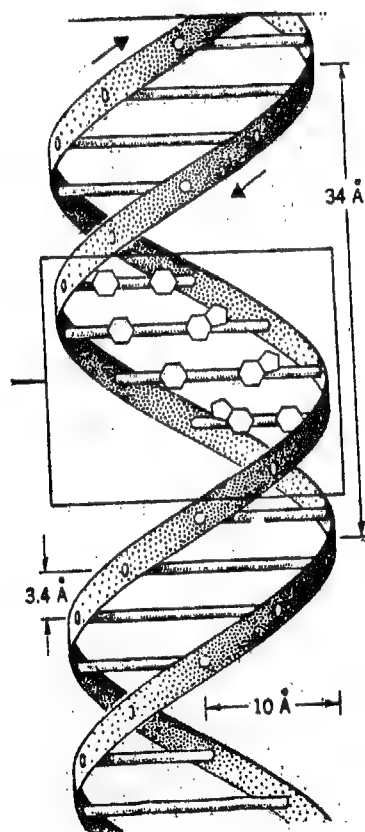


Fig.2

مجموعة قضبان • أما المسافة التي تفصل بين هذين اللولين فهي ٢٠ انغستروم تقريباً • والمسافة التي تفصل بين كل قضيب تبلغ ٣٤ انغستروم تقريباً • ويتشكل كل قضيب من سلاسل جزيئات السكر والفوسفات ( راجع الرسم رقم ٣ ) • وتشتمل هذه السلاسل على جزيئات السيتوزين والغوانين بالإضافة الى جزيئات التيامين والأدينين • وترتبط أزواج الجزيئات ببعضها بوصلات الهيدوجين ( راجع الرسم رقم ٣ ) •

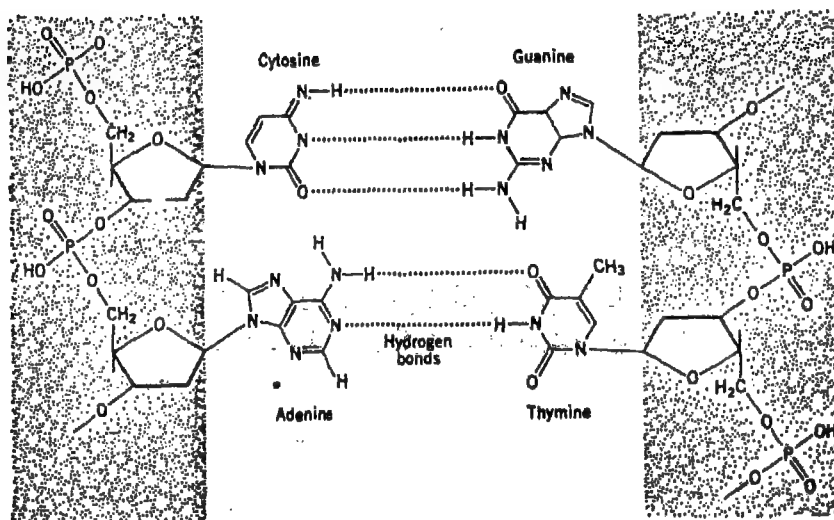


Fig. 3

أما الواقع الهام الذي نستخلصه مما تقدم فهو ما يلي : يمكننا أن نعتبر الجديلة الرئيسة التي تشكل اللولب المضاعف لجزيء DNA ، السلك المركزي الذي تربط بينهما كروموزومات النواة على هيئة خيوط مسبحة • وفي الواقع ، تحيط الجديلة الطويلة بمتتالية من كروموزومات نواة مستديرة كما يحيط جبل بسلسلة متوالية من رزم صغيرة ( راجع الرسم رقم ٤ و ٥ ) •

تؤدي هذه الرزم الصغيرة التي يبلغ قطرها ١٠٠ انغستروم ، المسماة كروموزوم النواة ، دوراً أساسياً • فهي تتألف من ثمانية بروتينات كروية

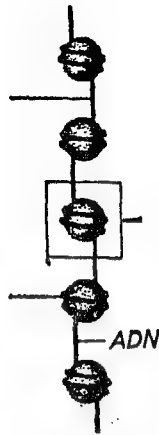


Fig. 4

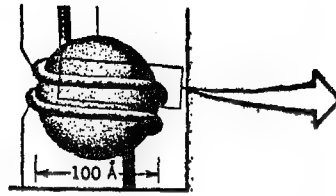


Fig. 5

بحيث ان أربعة منها محبة للماء وأربعة أخرى كارهة للماء • وتتجه رؤوس هذه البروتينات الى الداخل • ويكون الكل مرتبطاً بـ ٠١٠٠ بتفاعلات الحمض القلوي •

يقودنا التفحص الدقيق للتفاصيل المختلفة والأشكال التي تم عرضها الى خلاصتين : أولهما ، ان « قانون المركز » والدور الأصلي الجوهرى للعناصر الالامتناهية الصغر يجعلنا نأخذ بعين الاعتبار الدور الهام لكروموزوم النواة في انتقال الذاكرات أو معلومات الشيفرة الوراثية • ثانيهما ، ان الأشكال والمظاهر والسيرورات التكتيفية للتبادلات في داخل أو باطن كروموزوم النواة من جهة ، وبين كروموزومات نواة والـ ٠١٠٠ من جهة أخرى تدعّم ابداع أو خلق طوبولوجيا المكان الذي افترضه جان شارون • وكما نذكر ، تقترح هذه الفرضية وجود زمان - مكان نفسي يشمل التراث الاعلامي لذاكرات الكون • ويكبر هذا الزمان - المكان النفسي باستمرار على أثر سياق الانتروبي السالبة (١٠) •

هكذا ، تدعّم الاكتشافات المحققة في عام ١٩٨٠ الرصيد الذي يمكننا اضافته للفرضيات المتصلة بوجود زمان - مكان نفسي •

## المراجع

- ١ - روجيه غودل ، الحياة والتجديد ١٩٥٧ •
- ٢ - روجيه غودل ، مقالات في الاختيار الحر ١٩٧٦ •
- ٣ - دافيد بوهم ، الكل والنظام المنطوي ١٩٨٠ •
- ٤ - اوجين ويغر وتيريز بروس ، يوغا الطاقة ١٩٨١ •
- ٥ - ديمون روييه ، عرفان برنستون ١٩٧٤ •
- ٦ - إيليا بريفوجين ، التحالف الجديد ١٩٨١ •
- ٧ - بوهم وكابرا ، العلم والوعي ١٩٨٠ •
- ٨ - جان شاردون ، الروح ذلك المجهول ١٩٧٥ •
- ٩ - فرينجوف كابر ، طريق الفيزياء ١٩٧٩ •
- ١٠ - جان شاردون ، الروح ذلك المجهول ١٩٧٥ •

★ ★ ★

## □ كريشنا مورتى :

ولد كريشنا مورتى في الهند ، في ١٨٩٥ ، في مدينة مادانا بال ، عاصمة مدراس • كان والده جيداً و تارانيا مستخدماً في وزارة المالية أثناء وجود الانكليز في الهند • توفت والدته وهو طفل صغير •

منح الطفل اسم كريشنا مورتى لعادة يتبعها الهنود تقضي بتسمية الابن الثامن في الأسرة كريشنا مورتى • وتعد هذه التسمية تكريماً لكريشنا الذي يمثل في نظر الهندوس تجسداً للاله •

كان والد كريشنا مورتى ثيوزوفياً ؛ ترك الخدمة لدى الحكومة الانكليزية بعد أن دعتة الدكتوراة أنى بزانت للعمل في المركز العام للجمعية الشيوزوفية التي كانت ترئسها •

وفي عام ١٩١٩ ، وبعد انقضاء فترة زمنية قصيرة على اقامة السيد نارانيا في اديار ، جذب كريشنا مورتى وأخوه الأصغر نيتيا نندا انتباه القائمين على الجمعية الشيوزوفية الذين اكتشفوا المواهب والقدرات الكامنة في هذين الأخوين • وقدروا أنها قابلة ، في حال تنميتها ، للتحقيق ، وقادرة على أن تجعل من كريشنا مورتى انساناً رائعاً يتصف بنضج روحي خارق •

وعلى هذا الأساس ، نال كريشنا مورتى ثقافة خاصة أتاحت له اكمال المهمات العليا الملزمة للمرشد الروحي •

وفي السادسة عشرة من عمره غادر الهند الى أوروبا مصطحباً معه أخاه نيتيانندا • وأقام الاثنان في ضواحي باريس ، ثم انتقلا ، بعد ذلك ، الى انكلترا •

وفي عام ١٩٢٢ سافر كريشنا مورتى الى كليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية • وأمل نفسه أن يكون المناخ ملائماً لصحة أخيه الأصغر التي كانت تنحط يوماً بعد يوم • وعلى الرغم من العناية الفائقة التي حظي بها نيتيانندا ، فقد غادر هذا العالم في عام ١٩٢٥ • وأحدث وفاته ألماً كبيراً في قلب كريشنا مورتى وتحولاً روحياً أساسياً أدت الى توجيه فكره ورسالته الى العالم • ولقد كتب في وقت لاحق :

« مات أخي ، وذرفت الدموع في وحدتي » وفي كل مكان قصده ، كنت أسمع صوته وأرى ابتسامته السعيدة . كنت أحاول أن أشاهد محياه وطلعته في العابرين ( ٠٠٠ ) لكنني لم أجد التعزية في أي واحد منهم . صليت ، وتعبدت ، لكن الآلهة احتفظت بصمتها » .

اجتاز كريشنامورتي مرحلة الشك بعد أن كان قد تنكر لكل القيم التي رسّخها الثيوزوفيون في صدره وعقله . اجتاز كريشنامورتي هذه المرحلة التي لم تكن فترة قنوط زرع فيه ميلاً ونزعة إلى الشفاق على مصيره بل فترة تميزت بخيبة أمل ، ماتت في نفسه إلى الأبد . لقد عاش الوقتية الممتلئة بلحظة الحاضر مع كل ما تتميز به من كمون ثروة ضخمة . وقادته هذه الصعوبة التي اجتازها إلى عتبة التحول الروحي الأساسي الذي يدعو البعض التحرر والانعتاق ، ويدعوه البعض الآخر اليقظة الداخلية .

كتب زنيه فواره :

« ما ان بلغ كريشنامورتي حداً تمثل في أزمة الاغتراب والانسلاخ حتى بدأ في الزوال ، مفسحاً المجال للوجد والانجذاب » .

« من عمق الظلام الذي قبع فيه كريشنامورتي ، تدفّق ضوء ساطع أنار كيانه الداخلي » .

رفض كريشنامورتي العقيدة « الرسولية » التي تتميز بها الرسالة الروحية التي توقعها منه الثيوزوفيون . وواظب على تأدية هذه الرسالة ، انما بطريقة تختلف كل الاختلاف عما كان يتوقعه ويتغني منه المشرفون على تربيته وتثقيفه . وعلى حين فجأة ، تبدلت لفته ، وامتلاً باليقظة والحياة ، والثورية والارادة . وطالب بحل جميع التنظيمات الايزوتيرية والاكزوتيرية - السرية والجهرية - القائمة لكي تترقى رسالتها وتترفع الى رتبة أعلى . واعتزل الجمعية الثيوزوفية كما انفصل عن الكنيسة الكاثوليكية الحرة وحل أخوية كوكب الشرق التي تأسست بين ١٩٠٩ و ١٩١١ .

وفي مخيم أومّسن عام ١٩٢٩ ، أعلن كريشنا مورتي بلاغه الهام ، فكلّم الحاضرين قائلاً : « لا يمكنكم الدنو من الحقيقة وأنتم سائرون في درب ضيق ، أو دين ، أو طقس ، أياً كان ، كما لا يمكنكم بلوغها في احتفال

قديم أو جديد • ألا فاعلموا ان الحقيقة بلاد لا طرق فيها ؛ ولا يمكننا الوصول اليها بأي سبيل أو طريق ، بأي دين أو ملة أو طائفة » •

وبين عامي ١٩٢٩ و ١٩٣٨ عقد كريشنامورتي مؤتمرات منتظمة ، وألقى محاضرات وأعطى أحاديث في مخيم أومَن في هولاندا ، وفي انكلترا ، وإيطاليا ، والنرويج ، وأمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا •

وبين عامي ١٩٣٩ و ١٩٤٥ أقام في كليفورنيا ووضع تقنية جديدة للتمبير • واجتمع مع كل من الدوس هكسلي وشارلز مورغان • وكتب الدوس هكسلي مقدمة مؤلف كريشنامورتي الذي يحمل عنوان « الحرية الأولى والأخيرة » ، عام ١٩٤٦ • ولقد أسهمت مقدمة الكاتب الانكليزي الشهير في اشعاع واشراق فكر كريشنا مورتى في العالم قاطبة •

وفي الفترة الواقعة بين آذار وأيار من عام ١٩٥٠ ، قدم كريشنامورتي دورات من المداولات ، وألقى محاضرات في باريس ٥٠٠ كان احداها في مدرج السوربون •

وبين أعوام ١٩٥١ و ١٩٥٥ ألقى محاضرات عديدة في انكلترا ، الهند ، أمريكا ، وهولاندا ؛ وعقد لقاءات فردية خاصة كثيرة في إيطاليا وانكلترا وفرنسا •

وفي شهر حزيران من عام ١٩٥٦ ، زار بلجيكا للمرة الأولى وألقى محاضرات ست في القاعة الكبرى في قصر الفنون الجميلة في بروكسل بحضور الملكة إليزابيت ، ملكة بلجيكا ، التي اهتمت اهتماماً كبيراً بتعاليمه منذ عام ١٩٢٨ • وعقد لقاءات فردية خاصة في دارتنا ترفويرن ، قرب بروكسل •

وبين ١٩٦١ و ١٩٨١ ، عقد كريشنامورتي لقاءات يومية في سانب قرب جستاد في سويسرا • ولقد ألقى محاضراته بالانكليزية ، وترجمت الى الفرنسية والايطالية والاسبانية والألمانية والهولندية ، ولغات أخرى •

وحوالي عام ١٩٦٩ ، ابتاعت « مؤسسة كريشنامورتي » منطقة رائمة في بروكود في انكلترا لكي تقوم عليها أول مدرسة تحت على استلهاهم تعاليم كريشنامورتي في تلك البلاد • ولا شك ، ان مدارس عديدة جديدة تستلهم تعاليمه وتؤتي ثمارها موجودة في كندا ، الهند وأمريكا • أما



مدرسة بروكود فقد انتفعت من تعاون ومؤازرة الفيزيائي الشهير دافيد بوهم .

كان لقاء دافيد بوهم مع كريشنامورتي ، حوالي عام ١٩٦٥ ، نقطة انطلاق لمجموع من اللقاءات ، والمناقشات والمباحثات أسهمت في نشر تعاليم كريشنامورتي في العالم بشكل عام ، وبين عدد من العلماء ذوي الشهرة العالمية بشكل خاص .

وانطلاقاً من عام ١٩٧٤ ، وبإشراف البروفسور دافيد بوهم ، عقدت لقاءات واجتماعات في بروكود وفي أمريكا عُرفت بأهميتها التاريخية . وخلال رحلات عديدة نجد كريشنامورتي يترأس مباحثات شارك فيها علماء مختلفون لهم شهرة عالمية ينتمون الى مدارس فكرية متنوعة . وحضر هذه المباحثات علماء أفاض أمثال : كابران من جامعة بركلي ، هاستد من جامعة لندن ، أولمان المدير السابق لقسم الطب النفسي والعقلي في مركز بن ميمون الطبي ، بريبرام من جامعة ستانفورد ، شينبرغ من جامعة نيويورك ، نيدلهام من جامعة فرنيكو ، سوندرشان من جامعة تكساس ، هيلاي ومونثرو من جامعة لندن .

كانت هذه اللقاءات التي تمت بين كريشنامورتي وبوهم والعلماء الآخرين المتنوعين في حقول بحوثهم تتمخض عن دراسات وبحوث تُنشر في مطبوعات منتظمة .

وفي عام ١٩٨١ ، بلغ كريشنامورتي عامه السابع والثمانين . ولا يزال يتابع المؤتمرات والمحاضرات في العالم كله ، بوضوح ذهن ويقظة شعور .

#### □ كارل يونغ :

ولد كارل يونغ في سويسرا ، في السادس والعشرين من شهر تموز عام ١٨٧٥ . درس الطب في بال وبدأ مهنته في الطب النفسي، عام ١٩٠٠ . وقام بدور المساعد في مستشفى المعتمدين ، وهي عيادة للطب النفسي، تابعة لجامعة زوريخ ، حيث تم تعيينه رئيساً للأطباء خلال فترة قصيرة . وفي عام ١٩٠٢ ، مضى الى باريس ليكمل علومه في المعالجة النفسية النظرية . وبعد أن تتلمذ على يد بيار جانيه قفل عائداً الى زوريخ ليتابع دروس بلوبر .

ولم يمض وقت طويل حتى أعدّ بنفسه طريقة رائز أكسبته سمعة عالمية •

دعته بلدان عديدة الى منصة مداولاتها ومحاضراتها • ومنحته جامعة كلارك في الولايات المتحدة الأمريكية لقب دكتوراه فخرية • وفي عام ١٩٠٥ ، صار أستاذاً خاصاً للطب النفسي في جامعة زوريخ •

وحوالي عام ١٩٠٧ ، قام اتصال أولي شخصي بينه وبين فرويد • واهتم يونغ بالتحليل النفسي الفرويدي • لكنه عدّل رأيه حوالي عام ١٩١٢ ، ونشر كتابات نقد فيها نظريات فرويد ، الأمر الذي أدّى الى انفصالهما عام ١٩١٣ •

وازداد انجذاب يونغ الى دراسة اللاشعور وفينومولوجيته ، فقام برحلات دراسية عديدة هادفاً الى فهم دقيق للشعوب البدائية • وفي عام ١٩٢١ ، أقام في افريقيا الشمالية ، وانطلق بعد ذلك الى الولايات المتحدة الأمريكية ، بين عامي ١٩٢٤ - ١٩٢٥ ، ليدرس الشعوب الهندية القاطنة في اريزونا في ولاية مكسيكو الجديدة • وزار ، بعد ذلك ، مناطق من كينيا في افريقيا •

ولم يتوان يونغ عن الاهتمام والتعمق في دراسة الفلسفات والرموز الدينية في بلدان الشرق الأقصى • وحوالي عام ١٩٣٠ ، التقى ريتشارد ويلهلم ، مدير معهد الصين في فرانكفورت ، وانتهى لقاؤهما الى وضع دراسة تشرح النصوص الطاوية القديمة - سرّية زهرة الذهب • وأقام علاقة مع هنري زيمر الاختصاصي بالحضارة الهندية ، وكارل كريني الفيلسوف الهنغاري •

وبعد ذلك ، دعي يونغ الى زيارة الهند ، حيث مُنح ، في عام ١٩٣٧ ، دكتوراه في الآداب من جامعة بنارس ومن جامعة ماهومتان في اللاهآباد ، ودكتوراه أخرى في العلوم من جامعة كلكتوتا •

وفي عام ١٩٣٨ ، نال لقب دكتوراه في العلوم من جامعة أوكسفورد ، وصار عضواً في الجمعية الطبية الملكية في انكلترا •

وعندما بلغ ذروة نشاطه بصفتة طبيباً ومعالجاً نفسياً ، ومراسلاً ومعاوناً لمجلات ونشرات عديدة ، مُنح يونغ العضوية الفخرية في أكاديمية العلوم الطبية في سويسرا ، عام ١٩٤٣ ، وحصل على الدكتوراه الفخرية من

جامعة جنيف ، عام ١٩٤٥ • وجدير بالذكر قولنا ان يونغ مؤلف حوالى  
مئة من الكتب التي ترجمت الى لغات عديدة •

وبناء على اقتراح جمعيات سويسرية عديدة ومبادرة جمعيات أجنبية،  
تأسس معهد كارل غوستاف يونغ في زوريخ • وترأس يونغ هذا المعهد •

توفي كارل يونغ في سويسرا عام ١٩٦١ •

### □ دافيد بوهم :

ولد دافيد بوهم عام ١٩١٧ في الولايات المتحدة • درس في جامعة  
بنسلفانيا وحصل على دكتوراه العلوم عام ١٩٤٣ من جامعة كاليفورنيا  
في بركلي •

أتم عدداً من البحوث في مخبر لورانس للطاقة الاشعاعية التابع  
لبركلي ؛ وعلم الفيزياء النظرية في جامعات برنستون وسان باولو وحيفا •

وفي الوقت الحاضر يقوم دافيد بوهم بتعليم الفيزياء النظرية في  
كلية بركبك الملكية في جامعة لندن •

كان صديق ومساعد البرفسورين روبرت اوپنهايمر وألبرت  
اينشتاين ؛ وقد عقد معهما لقاءات عديدة خرج منها بنظرة سديدة ساعدته  
على القاء ضوء على المسائل الكبرى في الفيزياء النووية • أما مباحثاته مع  
اينشتاين وتبادل الآراء معه فكانت موضوع توافق كبير • وبالإضافة الى  
الدروس التي يلقيها في جامعة لندن ، يعلم دافيد بوهم الفيزياء  
والرياضيات في مدرسة كريشنامورتي الموجودة في حديقة بروكوود قرب  
وينشستر في انكلترة • وهو مؤلف كتب عديدة في الفيزياء النظرية •

يتراس دافيد بوهم ، كل عام منذ ١٩٧٤ ، حلقات دراسية يشترك  
فيها علماء العالم الشهيرون الذين يمثلون مناهج عديدة •



## الفهرس العام

- ١ - بودوان ، من الغريزة الى الروح ١٩٥٠ .
- ٢ - جان بلوقل ، معضلات التصور الاساسي للفيزياء .
- ٣ - دافيد بوهم ، المسؤولية البيولوجية ١٩٧٤ .
- ٤ - دافيد بوهم ، مقالة في الصياغة الطوبولوجية للنظرية الكوانتية ١٩٦٢ .
- ٥ - دافيد بوهم ، الكل والنظام المنطوي ١٩٨٠ .
- ٦ - دافيد بوهم ، النظام الملف - المتطور للكون والوعي ١٩٨٠ .
- ٧ - تيريز بروس ، البنية الواعية - الطاقة للانسان والكون ١٩٧٨ .
- ٨ - فريتيوف كابرا ، البوتستراب والبوذية ١٩٧١ .
- ٩ - فريتيوف كابرا طريق الفيزياء ١٩٧٩ .
- ١٠ - جورج كاهن ، فتوحات الفكر العلمي .
- ١١ - جان شارون ، الروح ذلك المجهول ١٩٧٥ .
- ١٢ - جان شارون ، نظرية النسبية المعقدة ١٩٧٧ .
- ١٣ - جان شارون ، غلبة الموت ١٩٧٩ .
- ١٤ - بول شوشار ، مبدأ الزمان والدماغ ١٩٧٦ .
- ١٥ - بول شوشار ، الارادة وضبط الدماغ ١٩٨٠ .
- ١٦ - كوماراسواي ، الزمان والابدية ١٩٧٧ .
- ١٧ - كوستاده بورغار ، الانسجام المسبق للنسبية المقيدة والكوانتا ١٩٦٠ .
- ١٨ - كوستاده بورغار ، مقدمة مؤلف تاريخ وبوتهورف ١٩٧٨ .
- ١٩ - كوستاده بورغار ، المبدأ الثاني للعلم والزمان ١٩٦٣ .
- ٢٠ - كوستاده بورغار ، الكوزموس والوعي ١٩٨٠ .
- ٢١ - الكسندرا دافيد - نيل ، البوذية ١٩٤٧ .

- ٢٢- لوي ده يروي ، المادة والضوء ١٩٣٧ •
- ٢٣- لوي ده يروي ، المتصل والمنفصل ١٩٣٦ •
- ٢٤- جورج دوبوان ، الغد واشتراكية الرخاء ١٩٤٧ •
- ٢٥- آ. دوبروف ، الجاذبية الحيوية والبسيكوترونك ١٩٧٤ •
- ٢٦- البرت اينشتاين ، كيف أدرك العالم ١٩٣٩ •
- ٢٧- اكلية جورج ، القاعدة الفيزيولوجية العصبية للعقل ١٩٥٣ •
- ٢٨- الأساسر ، الجوهر والمتعضية ١٩٦٦ •
- ٢٩- رينه فواره ، كريشنامورتى أو ثورة الحقيقي ١٩٧٠ •
- ٣٠- فونغ يو لان ، روح الفلسفة الصينية ١٩٦٢ •
- ٣١- فيرسوف فلاديمير ، الحياة ، العقل والمجرات ١٩٦٨ •
- ٣٢- غاردنر وسنوستاد ، مبادئ علم الوراثة ١٩٨٠ •
- ٣٣- روجيه غودل ، الحياة والتجديد ١٩٥٧ •
- ٣٤- هوي هواي ، الطريق الى التحقيق المفاجيء ١٩٤٨ •
- ٣٥- ورنر هايزنبرغ ، الكل والأجزاء ١٩٧٢ •
- ٣٦- ورنر هايزنبرغ ، الطبيعة في الفيزياء المعاصرة ١٩٧٠ •
- ٣٧- فريدريك هويل ، طبيعة الكون ١٩٦٢ •
- ٣٨- إي • إيكامي ، الحالات المعدلة للوعي ١٩٨٠ •
- ٣٩- ت • ايزوتسو ، المادة والوعي في الفلسفات الشرقية ١٩٨٠ •
- ٤٠- ج • جاكوبى ، بسيكولوجيا كارل يونغ •
- ٤١- ايف جانفو ، مقام الحرية ١٩٨٠ •
- ٤٢- فلاديمير كيلر ، كون الفيزيائيين ١٩٦٩ •
- ٤٣- روبير لنسن ، روحانية المادة ١٩٧٠ •
- ٤٤- روبير لنسن ، العلم والروحانية ١٩٧٥ •
- ٤٥- روبير لنسن ، عقيدة زن ١٩٦٩ •
- ٤٦- روبير لنسن ، كريشنامورتى ، بسيكولوجيا العصر الحديث ١٩٧٣ •
- ٤٧- روبير لنسن ، ما بعد المصادفة والمصادفة المضادة ١٩٧٩ •

- ٤٨- روبرت لسنس ، العودة ، التقاليد القديمة ، والالكترونية النفسانية ١٩٧٩ •
- ٤٩- س. لوباسكو ، الماديات الثلاث ١٩٦٠ •
- ٥٠- س. لوباسكو ، الطاقة والمادة النفسية ١٩٧٤ •
- ٥١- رمانا ماهارشي ، دراسات عن ر.م.آ. ١٩٤٢ •
- ٥٢- ماهادفان • آت ، فلسفة الادفيتا ١٩٤٧ •
- ٥٣- ج. • مارلو پونتي ، كوزمولوجيا القرن العشرين ١٩٦٥ •
- ٥٤- آ. ماسلو ، نحو سيكولوجيا الكيان ١٩٧٢ •
- ٥٥- ر. ماتوك ، النظرية الكوانتية للتفاعل بين الوعي والمادة ١٩٨٠ •
- ٥٦- كارل بيررام ، الروح ، الدماغ والوعي ١٩٨٠ •
- ٥٧- ريمون روييه ، غنوص برنستون ١٩٧٥ •
- ٥٨- لوي روجيه ، مجلة العقل الحديث العدد ٣ ١٩٦٧ •
- ٥٩- د. سياما ، القواعد الفيزيائية للنسبية العامة ١٩٧١ •
- ٦٠- كارلو سواريز ، الكوميديا البسيكولوجية ١٩٣٢ •
- ٦١- كارلو سواريز ، التوراة المصوبة ١٩٦٧ •
- ٦٢- إي • شوفنيال ، المصادفة المضادة ١٩٧٣ •
- ٦٣- إي • شرودفير ، ما الحياة ؟
- ٦٤- د. سوزوكي ، الا عقل
- ٦٥- تارغ وبوتنهوف ، عند تخوم الروح ١٩٧٨ •
- ٦٦- تيلار ده شاروان ، الظاهرة الانسانية •
- ٦٧- ر. توير ، نشأة الحياة •
- ٦٨- ج. • فان درفيو ، غلبة الوهم ١٩٣٦ •
- ٦٩- واي وو واي ، الكل ، باستثناء الحقيقة السامية ، عبودية ١٩٧١ •
- ٧٠- إي • ويفنر ، ملاحظات حول علاقات الروح والجسد ١٩٦٧ •
- ٧١- زدذك ، البسيكوترونك ١٩٧٤ •

## روبير لنسن - ملخص بعض مؤلفاته

### ١ - روحانية المادة :

أحدث التطور الحديث في نطاق العلوم الفيزيائية والبيولوجية والنفسية ثورة عميقة أدت الى تبدل جذري في الأفكار التقليدية المألوفة المتصلة بالمادية والروحانية .

وفي نهاية القرن العشرين الذي يضج بالحركة والقلق ، يقف الانسان أمام كون غريب تبدو فيه الطبيعة الحقّة وكأنها تتملص من محاولاته التي يهدف الى تمثيلها وتصورها وصياغتها . وفي الواقع ، لم يطرأ أي تبدل أو تحول على الكون؛ وماحدث هو ان تفسيراتنا وحدها تتطور. ومع ذلك يبين لنا هذا التطور ان تصوراتنا القديمة لا تفي بالغرض .

وتشير الحقيقة الى أنه لا يمكننا أن ننظر الى أي شيء من زاوية مادية بحصر المعنى من خلال القيم والمفاهيم التي نعزوها الى كلمة مادة . وبالإضافة الى هذا ، لا يمكننا أن ننظر الى أي شيء من زاوية روحية فقط ، معتمدين ، بهذا ، على القيم التي نضيفها على كلمة روح .

هكذا نواجه منظوراً جديداً في كتاب روبير لنسن نوجزه كما يلي :  
الوعي الجلي المنبث الذي تتميز به وحدة وتناسق الكون الذي نتأمله كلاً - واحداً . وبالفعل هذا هو المنظور الذي طرحه المفكرون القدامى من أتباع وتلامذة الادفيتا القديمة الهندية ، والطاوية ، وبوذية شان ، والأفلاطونية المحدثه ، الذين فسّروا وحدة الكون النفسية الفيزيائية .

وفي الوقت الحاضر ، تتجه المعرفة البشرية أكثر فأكثر الى تأليف يجد موضعه الى أبعد من الأطر المألوفة للمادة والروحانية من جانب ، والمنظورات التقليدية التأليهية والالحاد من جانب آخر .

ولقد أسهم عدد كبير من العوامل السائدة والكشوف في تكوين هذا



التأليف المدعو « المادية الروحية » التي يحاول هذا الكتاب الكشف عن وجوها العديدة والأخاذة \*

## ٢ - العلم والروحانية :

ينزع التطور الحديث للعلوم ، في الفيزياء والفيزيولوجيا العصبية والبارابسيكولوجيا ، الى توجيهنا نحو تأليف محايدة وتسامي أو تعالي حقيقة قصوى والهيبة تتجاوز التصورات التي نألفها والمتصلة بالتأليهية والتشخيصية والالحاد \*

ولقد دأب العلماء الذين تسنموا ذروة المعرفة العلمية في جهودهم المتواصلة لمعرفة الحدود التي يقف عندها العلم ، واعترفوا بوجود تلك الحدود ، كما أكدوا امكان تصور الخلفية التي تضم الوجود والمتمثلة في وحدته وتكامله \*

صرح ورنر هايزنبرغ :

« ينحل تصور الحقيقة الموضوعية للجزيئات الأولية في وضوح رياضيات لا تمثل سلوك الجزيء بل المعرفة التي نمتلكها عنه » \*

« يتوجب على أنصار الذرية أن يدركوا ان علمهم ليس الا حلقة من حلقات سلسلة لا متناهية من المحادثات والحوارات تنشأ بين الانسان والطبيعة ، وان هذه السلسلة اللامنتهية لا تستطيع أن تتحدث عن طبيعة في ذاتها » \*

لا تقودنا الدراسة المطروحة في هذا الكتاب الى تبني عقيدة جديدة أو منهج فلسفي ، بل توجهنا الى اقامة تأليف بين الأفكار الجديدة النسبية لطبيعة مادة مطوقة - محولة الى طاقة - من جانب ، والطاقات النفسية والروحية التي تكشف أكثر فأكثر عن قرابتها لهذه المادة المطوقة من جانب آخر \*

## ٣ - البوذية ، الطاوية ، زن :

يعد هذا الكتاب ، في قسمه الأول ، عرضاً تاريخياً للمناهج المدرجة في البوذية : الطاوي ، التانتر ، وعقيدة زن بشكل خاص . لكن المؤلف يركز ، خاصة ، على الصرح الفكري الضخم الذي يمثل البوذية ذاتها . فهو يدرس

الاشراق أو الاستنارة والطرائق العديدة التي تقربنا من الحقيقة : المعونات الخارجية ، طبيعة الأشياء ، تكاملية الفيزياء والسيكولوجيا ، قوة الاعتقاد ، ولادة الأنا ، النيرفانا والخلاء ، اللاشعور . ويخص المؤلف بعض الفصول لبحث مسألة العلاقات القائمة بين البوذية والحياة العملية ، والمسألة الاجتماعية والعالم الغربي وتفكير كريشنا مورتى . أما القسم الثاني فيدرس تحولات العلاقات البشرية ، وبالتحديد ، تبدو البوذية بأنها ، في الغالب ، فلسفة دينية . وأخيراً ، نقول ان هذا الكتاب يعد من أفضل الكتب الموضوعة عن هذا الموضوع .

#### ٤ - الحب ، الجنس والروحانية :

عديدة هي الكتب التي تفرّدت لدراسة الجنس ، وهزة الجماع - النشوة الجنسية - ومضامين الجنس النفسية ، ونشوة الحب والعاطفة . أما صلات اختلاف أو تشابه هذه التجارب الانفعالية المألوفة مع حالة محبة حقيقية فان معرفتها لا تتعدى حدود القلة .

ولقد أكد البعض ، منذ وقت طويل ، استحالة قيام علاقة بين انفعال الحب الجنسية من جانب والتجربة الروحية الناتجة من يقظة داخلية من جانب آخر .

وفي الحقيقة ، تضمن تعليم غالبية الحكماء والسريين القدامى ، الغربيين منهم والشرقيين ، كما يتضمن أيضاً ، ما معناه ان التجربة التي تقوم بها الفئة الأولى تحول دون تحقيق أو بلوغ التجربة التي تقوم بها الفئة الثانية . ومردّ هذا الى التعارض التقليدي بين الجسم والنفس ، بين الروح والجسد .

لكن هذا التعارض لا يتضمن تعارضاً في المبدأ بل يشير الى تعارض كلي يقود الى اماتة الجسد وكبح الشهوات ، والى الأشكال المختلفة للزهد ، وممارسات تعمل ضد الطبيعة .

أما حكماء مدارس الحكمة السرية وحدهم فانهم يعترفون بوجود علاقات ضيقة بين الروحانية والجنسية .

يهدف هذا الكتاب ، من بين ما يهدف ، الى اضعاف أو تحييد الصفة الاستحواذية للجنس عن طريق توضيح التقسيم الروحانية الأساسية .

وهكذا ، لا يتوفر للانسان احساس حقيقي بالحب ما لم يدرك هذه القيم الروحية الأساسية الكامنة فيه •

## ٥ - التأمل الحقيقي :

يشتمل التأمل الحقيقي في جوهره على شعور بوعي كلي لوظيفة الفكر ، وحدوده ، ودوره ، واشراطاته ونشأته •

يكشف الكائن الانساني في أن روحه ، كما يفهمها وكما تفعل ، ليست اشراطاً ، وانعكاسات لا ارادية آلية ومعقدة للذاكرات • وفي هذا الاكتشاف تكمن اليقظة الداخلية التي توحى بجلاء لا شخصي وغبطة يتعذر سبرها •

يضعنا التأمل الحقيقي في موقف يجعلنا نجيب على الأسئلة الأربعة التالية :

١ - ماذا نفكر ؟

٢ - كيف نفكر ؟

٣ - لماذا نفكر ؟

٤ - من يفكر ؟

يهدف التأمل الحقيقي الى معرفة النفس عرفاناً تاماً • ويتوجب عليها أن تتحرر من سلطان الفكر والسيادات الذاتية للذاكرة التي تشكل المادة الجوهرية الأساسية •

كل فعل يحصل عن فكر يجهل أصله وتكوّنه ، يولد صراعات ، وأخطاء تعجز عن التمييز الصحيح وتؤلف عوامل استعباد وانقياد •

ولا تعد الفرائز السابقة للعقل وحدها مسؤولة عن الاضطراب العقلي ، بل تعد أيضاً مسؤولة عن تكوين انطباع تواصل الشعور الذي نألفه ونعتبره ، قبل أي شيء آخر ، وهماً •

في هذا الكتاب ، يساعدنا المؤلف على اكتشاف كون جديد ، وبخاصة أنه يعزز رأيه بتقاليد الحكمة الألفية بقدر ما يدعمه بكشوف السيكلوجيا الماصرة •

## كتب المترجم

- ١ - رسائل في حضارة البؤس \*
- ٢ - الاشتراكية ومفهوم العدالة \*
- ٣ - النقد الفلسفي للماركسية \*
- ٤ - مقالة في العقل والنفس والروح \*
- ٥ - مقالة في الانسان \*
- ٦ - بحوث فلسفية \*
- ٧ - رد على اليهودية واليهودية - المسيحية \*
- ٨ - رد على التوراة \*
- ٩ - دراسات في المثالية الانسانية \*
- ١٠ - المادة والروح - تأليف جديد \*
- ١١ - مدخل الى مبدأ الكل \*
- ١٢ - ظاهرة الانسان ، تلار ده شاردان ، ترجمة \*
- ١٣ - موضع الانسان في الطبيعة ، تلار ده شاردان ، ترجمة \*
- ١٤ - الفكر الفلسفي الهندي ، راداكشنان ومور ، ترجمة \*
- ١٥ - نقطة مقابل نقطة ، ألدوس هكسلي ، ترجمة \*
- ١٦ - الواقع الاجتماعي ، مجموعة مؤلفين ، ترجمة \*
- ١٧ - التطور النفسي في الألف القادمة ، روبر لنسن ، ترجمة \*



ROBERT LINSSEN

LA MUTATION  
SPIRITUELLE

DU III<sup>e</sup> MILLÉNAIRE

1981



يقف العالم على عتبة الألف الثالثة القادمة ،  
ويتهياً للعبور الى طور جديد يبشر بتحول ابداعي  
خالق في طاقات الانسان النفسية والعقلية والعلمية  
والروحية •

فعلى الصعيد النفسي ، يشتمل العبور من  
خلال عتبة الألف القادمة على الانتقال من « الأنا »  
الى « الكيان » : الى معرفة النفس •

وعلى الصعيد العقلي ، يشتمل العبور على  
تجاوز ادراكاتنا الحسية الى نوع من الحدس  
والبصيرة يتحقق ، من خلالهما ، تفاعل بين الوعي  
الانساني والطاقة والكتلة •

وعلى الصعيد العلمي ، يشتمل العبور على  
وحدة الانسان والطبيعة ، وتوافق الباطن مع  
الظاهر ، كما يشير الى وجود حقيقة جوهرية واحدة  
تستمد منها الظاهرات المتعددة كينونتها •

وعلى الصعيد الروحي ، يشتمل العبور على  
« تحقيق » الطاقات الكامنة في الانسان والامكانات  
القائمة في الطبيعة • فالتطور الروحي ، في نهايته  
القصوى ، يشير الى « روحنة المادة »

تلك هي الحقيقة التي تبرز بجلاء ووضوح في  
هذا المؤلف الذي وضعه روبر لنسن •